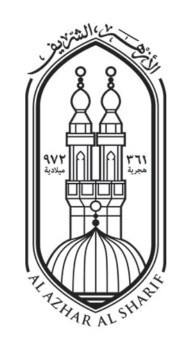


الأزهر الشريف
قطاع المعاهد الأزهرية

تاريخ الأدب العربي ونصوصه

للصف الأول الثانوي

لجنة إعداد وتطوير المناهج بالأزهر الشريف

١٤٤٢ هـ
٢٠٢٠ - ٢٠٢١م

مقدمة

تمثل دراسة تراثنا الأدبي ضرورة فنية وتاريخية ملحة، لا يمكن نكرانها، أو الارتياب فيها، فالإبداع الأدبي لا ينتهي بانتهاء عصره، وإنما يظل قيمة فنية تنبض بالحياة على مرِّ العصور، كل جيل يتأثر به، ويتفاعل معه، ويحكم عليه بما استجد من رؤى جديدة، وأفكار مستحدثة.

ويُعد الأدب العربي في عصوره الأولى ـ منذ مولده حتى نهاية العصر الأموي ـ أدب العبقرية العربية الخالصة، والوجدان العربي الأصيل، قبل أن يتأثر العرب بثقافات الأمم المفتوحة وحضاراتها تأثرًا واسعًا، ولا غرو فهو الأدب الذي يستشهد بصحته، ويُتعرف به على إعجاز القرآن الكريم.

وهذا الأدب ينقسم قسمين: الشعر والنثر، أما الشعر فديوان العرب، ومجدهم، وعنوان حضارتهم، وعلمهم الذي لم يكن لهم علم أصح منه.

وأما النثر فأحد جناحي الأدب، ويحوي من القيم الفنية الكثير.

وإذا كان ما وصلنا من الشعر الجاهلي قليلًا فإن ما وصلنا من النثر أقل منه بكثير؛ لأن العرب كانوا يحفظون أدبهم عن طريق الرواية والمشافهة التي تصلح أكثر لنقل الشعر؛ ولأنه بما توفر له من خصائص موسيقية أسهل حفظًا من النثر.

ومع كثرة الدراسات في هذا الأدب لم يزل ميدانًا بكرًا، وروضة أنفًا، ومجالًا خصبًا يحتاج إلى كثير من الدرس والفهم.

ونقدم لأبنائنا طلاب الصف الأول الثانوي بالمعاهد الأزهرية كتاب «تاريخ الأدب العربي ونصوصه» في ثوبه الجديد الذي يُعنى بربط الطالب والطالبة بتراث العرب الخُلَّص، ويطلعهم على ما كان يتمتع به أسلافهم من فصاحة وبلاغة وبيان، فهم أبناء الأمة التي نزل فيها القرآن، وتحداهم ربُّ العزة في أن يأتوا بمثله، وما كان ذلك إلا لسبقهم في هذا المضمار، وقد صدَّرنا كلَّ درسٍ بأهدافِهِ التربوية الخاصة، وأثرينا كلَّ درسٍ بتدريبات متنوعة، وراعينا تناسب التدريباتِ مع محتوى الدرسِ، وكشفها عن استيعاب الطالب.

لجنة إعداد وتطوير المناهج بالأزهر الشريف

❉ ❉ ❉

الغاية من دراسة تاريخ الأدب ونصوصه

١- غرس روح الولاء والانتماء لأمتنا العربية، وربط الطلاب والطالبات بتاريخهم، وحضارة أجدادهم.

٢-التعرف على قيم الإسلام الأصيلة من ينابيعها الصافية في عصر الرسول ﷺ، وخلفائه الراشدين، والتابعين ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ وبيان أثر ذلك في الإبداع الأدبي في هذه الحقبة.

٣ـ التعرف على الأحداث السياسية، والاجتماعية، والفكرية، التي أثَّرت في الأدب والأدباء، فخلقت مكانة تقف عليها عقول الناهضين للوصول إليها، أو لتجاوزها إلى مكانة أسمى.

٤ـ التعرف على ما أنتجته القرائح في الماضي من أساليب وأفكار وصور؛ ليتسنى للباحث درسها، لمحاكاتها، أو نقدها، وبذلك تتربى فيه ملكة النقد والتمييز.

٥ـ تهذيب الطباع، وتربية المشاعر، وتغذية الأرواح والعقول بدراسة التراث الأدبي دراسة عميقة مؤثرة.

معنى الأدب

كلمة «أدب» من الكلمات التي تطور معناها بتطور حياة الأمة العربية وانتقالها من طور البداوة إلى طور المدنية والحضارة.

فقد استعملت كلمة «أدب» في الجاهلية بمعنى: الدعوة إلى الطعام، فقد جاء على لسان طَرَفَةَ بن العبد:

نَحنُ في المَشْـتاةِ نَدْعُو الجَفَلَى *** لا ترى الآدِبَ فينـــا يَنْتَقِرْ(١)

ومعنى كلمة «الآدِبَ» في البيت هو الداعي إلى الطعام، أي: إنك لا ترى الداعي فينا إلى الطعام يخص قومًا دون آخرين.

ومن ذلك " المأدُبة " بمعنى الطعام الذي يدعى إليه الناس، واشتقوا من هذا المعنى "أدُبَ يأدُب" بمعنى: صنع مأدبةً أو دعا إليها.

(١) المشتاة: الموضع الذي يقام فيه في الشتاء، والجفلى: الدعوة العامة، وينتقر: يدعو دعوة خاصة.

واستعملت الكلمة في صدر الإسلام بمعنى التعليم والتثقيف.

وفي العصر الأموي ظلت كلمة الأدب بالمعنى الخلقي والتهذيبي، ولكنها حملت معنى تعليميًّا، فقد ظهرت طائفة من المعلمين تسمى بـ «المؤدبين» كانوا يعلمون أولاد الخلفاء فيلقنونهم الشعر والخطب وأخبار العرب وأنسابهم وأيامهم.

وفي العصر العباسي اتسعت دائرة استعمال كلمة «أدب» لتدور حول الرواية والخبر والنسب والشعر واللغة ونحوها، أي أنها صارت بمعنى أوسع، وهي الأخذ من كل علم وفن بطرف، وأصبحت لهذه الكلمة معانٍ متقاربة، واكتست معناها الذي يتبادر إلى أذهاننا اليوم، وهو: «الكلام الإنشائي البليغ الذي يقصد به إلى التأثير في عواطف القراء والسامعين؛ سواء أكان شعرًا أم نثرًا».

تاريخ الأدب العربي

تعريفه: هو علم يبحث في النتاج الأدبي ويرصد ظواهره، ويتتبع مراحل تطوره، ويعنى بالشعراء والكتاب كاشفًا عن حيواتهم، مبرزًا خصائصهم الفنية، وما أثَّرَ فيهم من عوامل اجتماعية، وسياسية، وعقلية.

عصور الأدب العربي

يُعَدُّ الأدب العربي أقدم الآداب الحيَّة في عصرنا، وأشدَّها اتصالًا بين القديم والحديث، فتاريخه يمتد لأكثر من ألف وستمائة عام ـ تقريبًا ـ وقد مرَّ بالعصور الآتية:

١ـ العصر الجاهلي: يبدأ قبل الإسلام بنحو مائتي سنة حتى بعثة النبي محمد ﷺ

٢ـ عصر صدر الإسلام: يبدأ من بعثة النبي محمد ﷺ حتى نهاية عصر الخلفاء الراشدين، باستشهاد سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه عام ٤١ هـ.

٣ـ العصر الأموي: يبدأ من تولي سيدنا معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه الحكم عام ٤١ هـ، إلى مقتل آخر خلفاء الأمويين «مروان بن محمد» عام ١٣٢ هـ.

٤ـ العصر العباسي: يبدأ من تولي أبي العباس عبد الله بن محمد الملقب بالسفاح الحكم عام ١٣٢هـ، إلى مقتل آخر الخلفاء العباسيين (المستعصم بالله) على يد التتار بعد استباحتهم بغداد عام ٦٥٦ هـ.

٥ـ العصر المملوكي: يبدأ من تولي المملوك «عزِّ الدين أيبك التركماني» حكم مصر عام ٦٤٨هـ، حتى مقتل آخر سلاطين المماليك «أبو النصر طومان باي» شنقًا على يد العثمانيين عام ٩٢٣هـ / ١٥١٧م.

٦ـ العصر العثماني: يبدأ من تولي «قنصوة الغوري» حكم مصر والشام والحجاز من قبل السلطان «سليم الأول» عام ٩٢٣ هـ / ١٥١٧م، حتى مجيء الحملة الفرنسية إلى مصر عام ١٢١٣ هـ / ١٧٩٨ م.

٧ـ العصر الحديث: يبدأ من مجيء الحملة الفرنسية إلى مصر عام ١٢١٣هـ / ١٧٩٨م حتى الآن.

أقسام الأدب الجاهلي

ينقسم الأدب في العصر الجاهلي إلى نوعين رئيسين هما:

الشعر: هو حسب ـ التعريف القديم ـ "الكلام الموزون المقفى، الدال على معنى، وقد عُرِّف حديثًا بأنه: «الأسلوب الذي يصور به الشاعر أفكاره وعواطفه معتمدًا على موسيقى الوزن والقافية.

النثر: هو الأسلوب الذي يصور به الأديب أفكاره ومعانيه بغير اعتماد على وزن أو قافية.

***

الوحدة الأولى
العصر الجاهلي

أهداف الوحدة:

بعد الانتهاء من هذه الوحدة ينبغي أن يكون الطالب قادرًا على أنْ:

١ـ يتعرف على تأثير كل من الحياة السياسية، والاجتماعية، والعلمية في النتاج الأدبي للعصر الجاهلي.

٢ـ يذكر الأسباب التى أدت إلى انتشار فن الشعر عن النثر.

٣ـ يُبيِّن أهم أغراض الشعر في العصر الجاهلي.

٤ـ يسرد ترجمة لبعض شعراء المعلقات السبع.

٥ـ يحفظ بعضـًا من نصوص المعلقات السبع، ويمتلك القدرة على شرحها.

٦ـ يحدد الخصائص الفنية للشعر في العصر الجاهلي.

٧ـ يعدد فنون النثر الجاهلي، وخصائصه الفنية.

٨ـ يوازن بين وصف امرئ القيس لفرسه، ووصف عنترة بن شداد لفرسه، وخِطاب كل منهما لمحبوبته.

الموضوع الأول

بيئة العصر الجاهلي وتأثيرها فى الحياة الأدبية

أهداف الدرس:

بنهاية الدرس يتوقع أن يكون الطالب قادرًا على أنْ:

١ـ يعرف المقصود بالجاهلية، والفترة الزمنية التي توارثنا نتاجها الأدبي.

٢ـ يذكر كيفية تأثير البيئة الجغرافية للعصر الجاهلي في النتاج الأدبي لهذا العصر.

٣ـ يشرح كيفية تأثير الحياة السياسية للعصر الجاهلي في النتاج الأدبي لهذا العصر.

٤ـ يبين كيفية تأثير الحياة الاجتماعية للعصر الجاهلي في النتاج الأدبي لهذا العصر.

٥ـ يوضح كيفية تأثير الناحية الدينية للعصر الجاهلي في النتاج الأدبي لهذا العصر.

٦ـ يحدد أهم ثقافات عرب الجاهلية، وعلومهم، وأسواقهم.

المقصود بالجاهلية:

هي الزمن الذي سبق ظهور الإسلام، والجاهلية من حيث الاشتقاق مصدر صناعي مأخوذ من الجاهلي نسبة إلى الجاهل، المشتق من الجهل، والجهل في اللغة: نقيض العلم، ولكننا لا يمكننا أن نصف الجاهلي بأنه غير العالم على الإطلاق؛ لأن ما لدينا من نصوص تثبت أنهم كانوا على درجة من الذكاء والدراية والخبرة، وإن ما يروى لهم من الشعر يدل على عبقريتهم، ويمكن أن يفسر الجهل هنا بعدم العلم بالدين والتوحيد.

العصر الجاهلي:

العصر الجاهلي أقدم العصور الأدبية، ويسميه بعض الدارسين: «عصر ما قبل الإسلام» وهو عصر موغل في القدم، بعيد العهد في الزمن والامتداد، لكنَّ الذي وصلنا من أدبه لا تتعدى بدايته مائة وخمسين إلى مائتي عام قبل الإسلام.

حياة العرب في العصر الجاهلي

يجدر بنا أن نتعرف على مظاهر الحياة في ذلك العصر؛ لأن الأدب صورة حَيَّة عن الحياة السياسية، والاجتماعية، والفكرية، يتأثر بها وقد يؤثر فيها.

البيئة الجغرافية:

شبه الجزيرة العربية (موطن العرب) تقع في قارة آسيا، وتنقسم خمسة أقسام هي: تهامة، نجد، الحجاز، اليمن، العروض، وجلُّها صحارى واسعة، وبطاح ممتدة، تحيط بها ـ أو تتخللها ـ جبال وهضاب مختلفة، منها ما يحاذي البحر الأحمر غربًا، ومنها ما يقع في اليمن جنوبًا، فضلًا عن هضبة نجد التي ترتفع ممتدة في وسط الجزيرة، لتضم سلسلة أخرى من الجبال، ويسود أرض جزيرة العرب الجفاف، ولكن حين تستقبل المطر تتحول بعض أجزائها روضاتٍ مخلبة.

وهذه المناطق جميعها كانت في العصر الجاهلي ميادين لحروب وغزوات، ولأحداث سياسية، وظواهر اجتماعية واقتصادية، أثرت في الأدب الجاهلي: شعره ونثره.

وقد تحلى العرب ـ منذ القدم ـ بالشهامة والكرم، والوفاء، والنجدة، وحب الحرية، وإباء الضيم، وكراهة الخسّة والصِّغار، تلك المناقب التي افتخروا بها، وامتدحوا من يتصف بها.

الحياة السياسية:

عاش العرب في الجاهلية تحت نمطين من أنماط الحياة السياسية:

الأول: عاش بعض العرب حياة سياسية منظمة، حيث كان يعيشن هؤلاء في مدن، مثل: مكة، وإمارات، مثل: المناذرة والغساسنة في شمال الجزيرة، وكِندة في وسطها، وسبأ وحمير في جنوبها، وهذه الإمارات تنافست في جذب الشعراء والخطباء، كلٌ يريد تخليد ذكره، وشيوع مآثره، مما جعلهم يجزلون العطاء كلما أجاد الشعراء.

الثاني: عاش بعض العرب حياة غير مستقرة حيث لم يكن لهم وضع سياسي منتظم، وإنما كانوا قبائل من البدو الرُّحَّل، وتخضع كل قبيلة لشيخها، الذي يكون عادةً فارسًا وسيدًا، يتحلى بالمثل العليا من كرم، وإقدام، ونجدة، وفصاحة، وغير ذلك من المثل، وكان لكل قبيلة مقاتلوها، وشعراؤها، وخطباؤها الذين يُلبُّون دعوة قبائلهم في السلم والحرب.

الحياة الاجتماعية:

كان عرب الجاهلية فريقين: أهل الحضر، وكانوا قلّة، وأهل البادية، وهم الكثرة. أما أهل الحضر فكانوا يعيشون حياة مستقرة، ويعملون في التجارة وبعض الزراعة والصناعة، ومن أولئك الحضر سكان مدن الحجاز، وسكان مدن اليمن، ومن أشهر حضر الجاهلية سكان مكة، وهم قريش وأحلافها.

أما أهل البادية أو أهل الوَبَر فكانت حياتهم حياة ترحال وراء منابت العشب؛ لأنهم يعيشون على ما تنتجه أنعامهم.

وكانت لعرب الجاهلية أخلاق كريمة، تمَّمَ الإسلام مكارمها وأيدها، ولهم أخلاق ذميمة أنكرها الإسلام، وعمل على محوها.

فمن أخلاقهم الكريمة: الصدق، والوفاء، والنجدة، وحماية الذمار، ومنها: الجرأة، والشجاعة، والعفاف، واحترام الجار، والكرم، وأما عاداتهم الذميمة: فكان منها الغزو، والنهب، والسلب، والعصبية الجاهلية، ووأد البنات، وشرب الخمر، ولعب القمار.

وقد قامت المرأة بدور لا ينكر في حياة العرب الاجتماعية، فكانت تشارك الرجل معيشته، وتحمل عنه بعض أعبائه، وتخرج وراءه في الحرب تشد من أزره، وتثير حميَّته للدفاع عن عرضه؛ حتى لا تقع في السبي.

وكل ما سجّله التاريخ من عادات العرب وتقاليدهم وأيامهم في حالتي سلمهم وحربهم تجده مدوّنًا في أشعارهم، فإذا أردت أن تعرف خُلُقًا، أو عادة، أو غير ذلك، فعليك بالشعر؛ فإنه ديوان العرب، وعلمهم الذي لم يكن لهم علم أصح منه.

الحياة الدينية:

كان معظم العرب وثنيين يعبدون الأصنام، ومن أصنامهم: (هُبَل، واللات، والعزّى، ومناة)، هذا إلى جانب أصنام خاصة يقتنونها في المنازل، وكان أحدهم ربما يَصْنعُ له صنمًا من التمر أو العجوة، فإذا جاع أكله، وعبدت في جزيرة العرب ـ أيضًا ـ الشمس، والقمر، والنجوم، والكواكب، والملائكة، والجن، والنار.

وكان من العرب الزنادقة، وهي: مصطلح أطلقه المسلمون لوصف أتباع الديانات المانوية والدجالين ومدعي النبوة، والذين يعتقدون بوجود قوتين أزليتين في العالم هما: النور والظلام الذين يدعون إلى إلهين: إله الخير، وإله الشر.

على أن فئة من العقلاء لم تعجبهم سخافات الوثنية؛ فعدلوا عن الأصنام، وعبدوا الله على ملّة سيدنا إبراهيم عليه السلام، وكانوا يُسمَّون الحنفاء، وقد سَجَّل تاريخ الأدب بعضًا من أشعارهمْ.

الحياة العقلية:

كان للجاهليين ثقافات وعلوم لكنها محدودة، تتناسب مع صفاء بيئة الصحراء، وعقليّة الأميين، ومن أهم ثقافاتهم وعلومهم ما يلي:

أ ـ الأدب وفصاحة القول: وقد تحداهم القرآن الكريم بأن يأتوا بسورة من مثلِهِ، فقال تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [سورة البقرة ٢٣].

ب ـ الطب: تداوى العرب بالأعشاب، والكيّ، وربما أدخلوا الشعوذة في طِبِّهم، ولكن الإسلام لم يقبل ذلك وأقرَّ الدواء.

ج ـ القيافة: وهي إما قيافة أثر، أو قيافة بشر. فبالأولى: كانوا يستدلون بوقع القدم على صاحبها، وبالثانية كانوا يعرفون نسب الرجل من صورة وجهه، وكانوا يستغلونها في حوادث الثأر والانتقام.

د ـ علم الأنساب: كان بمثابة علم التاريخ؛ فقد كانت كل قبيلة تعرف نسبها وأنساب غيرها، وتعرف الأيام والمعارك التي دارت بين العرب.

هـ ـ الكهانة والعرافة: وقد أبطلهما الإسلام، وتوعّد من يأتي كاهنًا أو عرّافًا؛ لأنهما يَدَّعِيَانِ العلم بالغيب الذي لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى.

و ـ النجوم والرياح والأنواء والسحب: حيث كانوا يستعينون بها لمعرفة مواقعهم في السفر، وتحديد الطرق، ومعرفة موعد سقوط المطر، وأوقات الزرع، وتحديد موعد الرحيل، وقد أنكر الإسلام التنجيم: وهو ادعاء علم الغيب بطريق النجوم.

الأسواق العربية وأثرها في الأدب

كان للعرب أسواق في الجاهلية يجتمعون فيها، وكانوا ينتقلون في تلك الأسواق في أشهر السنة، ولكنها قد تكون خاصة للقبائل القريبة من مكان الاجتماع مثل: سوق «هَجَر» بالبحرين، «وَدُوْمَة الجَنْدَل» بالشام، وهناك أسواق في صنعاء وعُمان وحضرموت وعدن وغيرها، وأعظم هذه الأسواق سوق «عُكَاظ»، وكانت تحرص القبائل العربية كلها على شهودها، وتقع شرقي الطائف، وبدأ الاجتماع

فيها بعد عام الفيل بخمس عشرة سنة، وظلَّ حينًا بعد ظهور الإسلام، وقد شهد النبي ﷺ وهو في صباه أحد اجتماعات سوق عُكَاظ، وسمع قُسَّ بن ساعدة الإِيَادِي يلقي خطبته المشهورة التي جاء فيها: «أيها الناس إِنَّــه من عاش مات، ومن مات فات ... إلخ»، وكذلك سوق «مجِنَّة» بالقرب من مكة حيث كانوا يجتمعون فيها حينًا ثم يرحلون إلى سوق «ذي المَجَازِ» بالقرب من جبل عرفات، فيقيمون فيها حتى يبدأ موسم الحج فيدخلون مكة لحج البيت الذي يعظمهُ الجميع.

فكانت هذه الأسواق ميدانًا فسيحًا لتبادل الآراء، وعرض الأفكار، والتشاور في مشكلات الأمور، ومجالًا للمنافرات والمفاخرات والمحاورات، ومعرضًا لإذاعة مفاخر القبيلة، وشرف الأرومة[1]، وناديًا واسعًا؛ لإلقاء روائع الشعر، والمباهاة بالفصاحة، والمفاخرة بالبلاغة، وفيها ألقيت أشهر القصائد والمعلقات العربية؛ فأنشد عمرو بن كلثوم معلقته في عُكَاظ، وكذلك فعل الأعشى الذي أنشد فيها قصيدته في مدح المُحلِّق، وكانت هذه الأسواق منابر الخطابة في الجاهلية، يقوم عليها الخطيب بخطبته، فيذيع فعاله، ويعدد مآثره، ومآثر قومه، وأيامهم عامًا بعد عام.

وكان النقاد والشعراء والرواة يجتمعون في الأسواق، فيُنْشَدُ فيها الشعر، ويَنْقُدُ النقاد، ويذيع الرواة ما سمعوه في كل مكان، وكان النابغة الذُّبْيَانِي من أشهر المُحكِّمين بسوق عُكَاْظ، وكانت تضرب له قبة في السوق، فتأتيه الشعراء ينشدونه قصائدهم؛ فيحكم لبعضهم على الآخر.

وهذا الميدان الأدبي الفسيح يحمل الشعراء والخطباء على التجويد والتهذيب والتنقيح، ويدعوهم إلى تخير الألفاظ القوية العذبة، والأساليب الرصينة، والمعاني الجلية؛ قصدًا إلى الوضوح، والإفهام، والإقناع، والإمتاع.

ذلك هو الأثر الأدبي الكبير لتلك الأسواق، فوق أثرها الطيِّب في توحيد العقائد والأخلاق والعادات واللغة العربية، والنهوض بالمجتمع العربي.

* * *

(١) الأرومة: الأصل.

تدريبات

١ـ كلمة «أدب» من الكلمات التي تطور معناها بتطور حياة الأمة العربية. اشرح ذلك.

٢ـ يمتد تاريخ الأدب العربي لأكثر من ألف وستمائة عام، وَمَرَّ بعدة عصور أدبية، اذكرها، وحدد تاريخ بداية ونهاية كل واحد منها.

٣ـ ينقسم الأدب العربي إلى قسمين رئيسين، اذكرهما، ومثل لكل منهما.

٤ـ ما المقصود بالجاهلية؟

٥ـ أثرت طبيعة بلاد العرب الجغرافية في أدبهم، وضح ذلك.

٦ـ «كان لحياة العرب في الجاهلية بنواحيها المختلفة السياسية والاجتماعية والدينية والعقلية أكبر الأثر في أدبهم» اشرح هذه العبارة في ضوء ما درست.

٧ـ على الرغم من كون الأسواق الأدبية في الجاهلية ميدانًا للتجارة، فقد أسهمت إسهامًا فعالاً في الأدب. فَصِّل القول في ذلك.

٨ـ كان للعرب فى الجاهلية أخلاق كريمة تَمَّم الإسلام مكارمها، وأخلاق ذميمة أنكرها الإسلام وعمل على محوها، وضح ذلك.

٩ـ كان للعرب في الجاهلية أسواق. تحدث عنها مبينًا أشهرها، وأثرها في الأدب.

١٠ـ حدد مفهوم الكلمات الآتية، مستعينًا بما يمكن من المراجع، وشبكة المعلومات الدولية: (القيافة ـ المنافرات ـ التنجيم ـ الأنواء ـ الوثنية ـ الحُنَفاء).

* * *

الموضوع الثاني

الشعر الجاهلي

أهداف الدرس:

بنهاية الدرس يتوقع أن يكون الطالب قادرًا على أنْ:

١ـ يحدد خطوات بناء القصيدة الجاهلية.

٢ـ يذكر قيمة الشعر الجاهلي.

٣ـ يُبيِّن خصائص الشعر الجاهلي.

٤ـ يوضح أهم مصادر الشعر الجاهلي.

٥ـ يشرح طريقة أهل العصر الجاهلي في إذاعة أشعارهم وحفظها.

نشأة الشعر الجاهلي:

لا يمكن معرفة بداية الشعر العربي بدقة؛ لعدم وجود تدوين منظم في الجاهلية، كما لا توجد وثائق تاريخية، أوقرائن قاطعة يمكن الاطمئنان إليها، وتبقى فرضية أن الشعر الجاهلي قد يعود في نشأته إلى قرن ونصف أو إلى قرنين قبل الإسلام؛ لأن ما وصل إلينا من الشعر الجاهلى يُمثلُ قمةَ النضج والوعي اللغوي، وفى هذا دلالات على أن هناك محاولات سابقة مَرَّ بها الشعر الجاهلي حتى وصل إلى هذه الدرجة .

وكان الشعر في العصر الجاهلي أكثر انتشارًا من النثر؛ وذلك لأمرين هما:

أولًا: أن الشعر يقوم على الخيال والعاطفة، أما النثر فيقوم على التفكير والمنطق.

ثانيًا: انتشار الأميَّة بين العرب، وقدرتهم العالية على حفظ الشعر.

بناء القصيدة الجاهلية:

عندما نستعرض الشعر الجاهلي نجده متشابهًا في بنائه، فالقصيدة الجاهلية تبدأ بالوقوف على الأطلال، وذكر الأحبة، ثم ينتقل الشاعر إلى وصف الطريق الذي يقطعه بما فيه من وحشة، ثم

يصف ناقته، وبعد ذلك يصل إلى غرضه من مدح أو غيره، وهذا هو المنهج الذي ينتهجه الجاهليون في معظم قصائدهم، ولا يخرج عن ذلك إلا القليل من الشعراء، فتأتي قصائدهم ذات موضوع واحد.

قيمة الشعر الجاهلي:

القيمة الفنية: إن أغلب هذا الشعر بلغ منزلة عالية من الإجادة في عناصر الشعر المختلفة: الفكر، والألفاظ والعبارات والمعانى، والصور والأخيلة، والعاطفة، والموسيقى، وهو على الرغم من مرور القرون لا يزال يُعجب ويَروق، ويُعد بحق شعر العبقرية الخالصة.

القيمة التاريخية: كان الشعر ديوان العرب، ووسيلة نقل معاناة الناس وشكواهم، فالشعر الجاهلي يُعَدُّ وثيقة تاريخية لأحوال العرب السياسية، والاجتماعية، والدينية، والعقلية.

خصائص الشعر الجاهلي

أولًا: الخصائص العامة:

الصدق: كان الشاعر يعبر عما يشعر به مما يختلج في نفسه، وإن لم يخل الشعر الجاهلي أحيانًا من المبالغة.

البعد عن التعقيد والتركيب: إن الحياة الفطرية والبدوية تجعل الشخصية الإنسانية سهلة يسيرة غير معقدة، وقد أثر ذلك على الشعر الجاهلي.

القول الجامع: كان البيت الواحد من الشعر يجمع معاني تامة، فمثلًا قالوا عن مطلع قصيدة امرئ القيس:

قفانَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيْبٍ وَمَنْزِلِ ** بِسِقطِ اللِّوى بين الدَّخولِ فَحَوْمَلِ

إنه وقف، واستوقف، وبكى، واستبكى، وذكر الحبيب، والمنزل، في بيت واحد.

الإطالة: كان يُحمد للشاعر الجاهلي أن يكون طويل النفس، أي: يطيل القصائد، وأحيانًا كان يخرج عن الموضوع الأساس ثم يعود إليه، وهذا ما يسمى بالاستطراد.

الخيال: اتساع أفق الصحراء أدى ـ فيما يبدو ـ إلى اتساع خيال الشاعر الجاهلي.

ثانيًا: خصائص الألفاظ والأساليب:

ـ المواءمة بين الألفاظ ومعانيها الموضوعة لها، واستعمال الألفاظ الجزلة القوية، واستعمال ألفاظ المجاز في مواضعها الملائمة، بلا شطط ولا إسراف، واستخدام المحسنات البديعية بلا تكلف، ومتانة الأسلوب ورصانته.

ثالثًا: خصائص المعاني والأفكار:

ـ جلاء المعاني، ومطابقتها للحقيقة،وفطرية المعاني، ووضوحها، وعدم استقصاء الأفكار، أو تحليلها إلى عناصرها الجزئية، وعدم التكلف في ترتيب الأفكار والمعاني، وتشابه الأفكار؛ لتشابه البيئة.

رابعًا: خصائص الأَخيلة والصور:

ـ صيغت البيئة البدوية الصحراوية الصور الفنية، فاعتمدت على الملاحظة الدقيقة، وتلونت الصور الكليَّة بما هو حسي يبين الحركة، واللون، والشكل، والصوت، والاعتماد في التصوير الجزئي على الألوان البيانية .

مصادر الشعر الجاهلي

وجد الباحثون المعاصرون بين أيديهم عددًا من مصادر الشعر الجاهلي التي جاءت عن طريق الرواة الأمناء الصادقين، الذين وقفوا جهودهم على التحري والتثبت، ولم يخف عليهم وجود شعر جاهلي منحول[١]، كشفوا جانبًا منه، ولقد حازت آثار أولئك الرواة القبول والتقدير، وعُدَّت مصادر أساسية للشعر الجاهلي، ومن هذه المصادر:

ـ دواوين الشعراء القدماء التي جمعت في عصر التدوين: كديوان زهير بن أبي سُلمى، والنابغة الذُّبياني، وامرئ القيس.

ـ دواوين القبائل العربية: كديوان الهذليين، الذي لم يصل إلينا كاملًا.

ـ المجموعات الشعرية الموثوق بها: كالمعلقات وشروحها، والمفضليات للمفصل الضبي، والأصمعيات للأصمعي، والنقائض وشروحها، ومنها: نقائض جرير والفرزدق شرح أبي عبيدة، والحماسات، ومنها: حماسة البحترى، وأبى تمام.

---

(١) مأخوذ بلفظه ومعناه من قول شاعر آخر.

ـ كتب الأدب، واللغة، والنحو: كالبيان والتبيين، والحيوان، وكلاهما للجاحظ، وجمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي، ومجالس ثعلب لأبى العباس أحمد بن يحى ثعلب، وعيون الأخبار لابن قتيبة، والكامل للمبرد، والأمالي لأبي علي القالي.

ـ بعض كتب المتأخرين التي احتفظت بكثير من الأشعار الجاهلية التي ضاعت أصولها: كخزانة الأدب، وشرح أبيات مغني اللبيب، وكلاهما للبغدادي، وشرح شواهد المغني للسيوطي.

ـ كتب التراجم والطبقات: كمعجم الشعراء للمرزبانى، والمؤتلف والمختلف للآمدى، وطبقات ابن سلاَّم، والشعر والشعراء لابن قتيبة، والأغاني لأبى الفرج الأصبهانى.

فهذه المصادر وأمثالها، تجعل بين أيدينا مادة وافرة للشعر الجاهلي، وهذه المادة غنية وكافية، لكي تهيئ للدارسين مجالًا واسعًا للبحث والتحليل والموازنة، في رحاب أغراض ذلك الشعر وفنونه المختلفة.

رواية الشعر الجاهلي:

كان الجاهليون يعتمدون في إذاعة أشعارهم على الرواية، فكان الشاعر يقف فينشد قصيدته، ويتلقاها عنه الناس، ويروونها مشافهة.

❊ ❊ ❊

تدريبات

١ـ علل: كان الشعر في الجاهلية أكثر انتشارًا من النثر.

٢ـ تحدث عن بناء القصيدة الجاهلية.

٣ـ «للشعر الجاهلي قيمة فنية وتاريخية» وضح ذلك.

٤ـ «للشعر الجاهلي خصائص في الألفاظ والأساليب، والمعاني والأفكار، والأَخيلة والصور، فضلاً عن سمات عامة امتاز بها». اشرح هذه العبارة.

٥ـ «وجد الباحثون المعاصرون بين أيديهم عددًا من مصادر الشعر الجاهلي التي جاءت عن طريق الرواة» تحدث عن أربعة من هذه المصادر، مع ذكر مؤلفيها.

٦ـ ما الطريقة التي اعتمد عليها الجاهليون في إذاعة نتاج أدبهم؟

٧ـ علل لخصائص الشعر الآتية:

- غلبة استعمال الألفاظ الجزلة.
- اتساع خيال الشاعر الجاهلي.
- تشابه الأفكار.

* * *

الموضوع الثالث

أغراض الشعر الجاهلي

أهداف الدرس:

بنهاية الدرس يتوقع أن يكون الطالب قادرًا على أنْ:

١ـ يحدد أهم أغراض الشعر الجاهلى

٢ـ يُبَيِّن الأسباب التي أدت إلى براعة شعراء العصر الجاهلى في المديح والهجاء.

٣ـ يذكر المقصود بالمعلقات، ويذكر أسماءها الأخرى المشهورة بها وأشهر شعرائها.

٤ـ يختار نموذجًا لإحدى المعلقات، ويشرحه.

٥ـ يستشعر طريقة حفظ أهل العصر الجاهلي أشعارهم وكيفية إذاعتها.

صَوَّرَ الشعر الجاهلي حياة العرب كلها أدق تصوير، فكانت موضوعاته وأغراضه بمثابة المرآة التي انعكست على صفحتها أخلاقهم وعاداتهم وأصول مجتمعاتهم وصور بيئاتهم ومعاركهم، ومن أهم أغراض الشعر الجاهلي ما يلي:

١ـ الغزل

يكاد الغزل يستأثر بالنصيب الأوفى بين أغراض الشعر في العصر الجاهلي؛ ذلك لأنه أعلق الفنون الشعرية بالأفئدة، وأقربها إلى النفوس ... ومن أبرز المعاني التي فُتِنَ بها شعراء الغزل في الجاهلية: التعلق بالمرأة، والسعي إلى مودتها، ووصف مفاتنها الحسية، وإمام الشعراء في ذلك هو «امرؤ القيس» الذي قضى شبابه في اللهو والشراب.

وقد ينصرف الشاعر في غزله إلى التغني بفضائل المرأة، وذكر مناقبها، وكريم سجاياها، وعفتها، ولا سيما عند وقوفه على الأطلال؛ وقد يبتغي الشاعر من غزله هذا لتهيئة القلوب وجذب الأذهان والأسماع قبل الوصول إلى غرضه الأساس.

ويرجع سبب قوة الغزل في العصر الجاهلي إلى حياة الصحراء التي تفرض على ساكنيها الترحال الذي يفرِّق المحبين، وقد كانت المرأة عفيفة؛ مما زاد من ولوع الرّجال بأخلاقها.

وينقسم الغزل في العصر الجاهلي قسمين:

الأول: صريح: يصوِّر جسد المرأة بطريقة مباشرة، ويُبيِّن علاقة الرجل بها، وفي شعر امرئ القيس، ـ ولا سيما معلقته ـ الكثير من هذا النوع.

الثاني: عفيف عُذرى: وهو الغزل السائد في العصر الجاهلي بكثرة، حيث يصوِّر حياء المرأة، وعفّتها، وأخلاقها الجميلة.

وقد امتاز الغزل العفيف بأنه: رفيع القيمة، يصوِّر حياء المرأة وَتَـأَبِّيها. ومنه قول عنترة بن شدَّاد:

وَلَــوْلاَ فَتَاةٌ في الخِيَامِ مُقيمَـــــــةٌ *** لما اخترْتُ قُرْبَ الدَّارِ يَوْمًا على البُعْدِ
مُهفْهَفَـةٌ والسِّـحرُ مـن لَحظَاتِهَــا *** إذا كلَّمَتْ مَيْتًا يَقُومُ مَنَ اللَّحْـدِ
أشارتْ إليها الشَّـمْسُ عِنْدَ غُرُوبِهَا *** تقُول: إذا اسودَّ الدُّجى فاطْلعي بَعْدِي
وقـالَ لها البدْرُ المنيرُ: ألا اسْفِـري *** فإنَّـك مثْلي في الكَمالِ وفي السَّـعْدِ
فَوَلَّتْ حَيَاءً ثمَّ أَرْخَتْ لِثَامَهَــــا *** وقـد نَثَرَتْ مِنْ خَدِّهـا رَطِبَ الوَرْدِ

٢ـ الهجاء

ظهر الهجاء في الشعر الجاهلي، بسبب الحروب، والمنازعات، والعصبيات القبلية.

وأهم خصائصه: أنه كان مهذَّبًا، خاليًا من السبِّ والشتمِ، وحظ هذا الفن في الشعر الجاهلي قليل إذا قيس بغيره كالفخر أو الغزل مثلًا، ولكن أثره كبير في النفوس، ووقعه أليم في الأفئدة؛ لأنه يقوم على إذلال المهجو، وتجريده من الفضائل، والمُثُل التي يفتخر بها القوم.

ومن صور الهجاء ما هو في مجال الحروب والغزوات: كالجبن، والفرار.

ومنها ما هو في مجال العلاقات الاجتماعية، والنقائص الخلقية: كالبخل، والاعتداء على الجار، واللؤم، والغدر، وغير ذلك.

ومن أمثلة الهجاء قول طرفة بن العبد:

أبا الجَرَامِقِ تَرْجُــو أَنْ تَدينَ لكمْ ** يا ابن الشَّـــديخِ ضِباعٌ بينَ أَجْبَاخِ
أنت ابن هندٍ فأَخْبِرْ مَنْ أَبُوكَ إذن ** لا يُصْلِحُ الملــكَ إلا كلُّ بَــذَّاخِ
إن قلتَ نَصْرٌ فَنصْرٌ كَانَ شَرَّ فَتى ** قدمَــا وأَبَيَضهُم سِرْبَــالَ طَبَّاخِ

٣ـ المدح

قام المديح ـ في الجاهلية ـ مقام السجل التاريخي لجوانب كثيرة من حياة الجاهليين، وكان يمتزج غالبًا بالإسراف والمبالغة، ويختلط فيه الواقع بالخيال، والعقل بالعاطفة؛ وقد سلك الشعراء المدَّاحون في العصر الجاهلي طريقين:

الأول: طريق الإعجاب والشعور الصادق. وحمَل لواء هذا الشعر هو زهير بن أبي سُلمى، الذي سَخَّر شعره لكل من قام بإصلاح ذات البين، أو صنع مناقب كريمة، ومن ذلك مدحه رجلين من قبيلتي عبس وذبيان، مدحًا خالصًا؛ لما قدّماه من جهود لوقف الحرب بينهما، ومنه قوله:

يميناً لَنِعْمَ السَّـيِّدانِ وُجِدْتُما ** عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحِيلٍ وَمُبْرَمِ
تَدارَكْتُما عَبْسًا وَذُبْيانَ بَعْدَما ** تَفَانَوا وَدَقُّوا بَيْنَهُمْ عِطرَ مَنْشَمِ

الثاني: طريق التكسب والاحتراف، ورائد هذا الاتجاه النابغة الذبياني، الذي سنَّ للشعراء سنَّة المديح الرسمي في تنقله بين قصور المناذرة والغساسنة ومدح ملوكهم، كما سَخَّر شعره لكل من يجود عليه، وتابعه فى ذلك الأعشى، بل أسرف في المسألة والتكسب، فأصبح يمدح كَلَّ من يُعْطِي، وَمِنْ مَدِيحِهِ لقيس ابن معدي كرب الكِندي قوله:

هُوَ الوَاهِبُ المُسْمِعاتِ الشُّرُو ** ب، بينَ الحريرِ وبينَ الكتنْ
ويقبــلُ ذو البثِّ، والراغبو ** نَ في لَيْلَةٍ، هيَ إحدى اللَّزَنْ
لِبَيْتِــكَ، إذْ بَعْضُهُــمْ بَيْتُهُ ** مِـنَ الشّرّ مَا فيهِ مِنْ مُسْـتكَنْ

٤ـ الرِّثاء:

هو فن لا يختلف عن المدح كثيرًا، لكن ذكر صفات المرثي الحميدة تقترن بالحزن والأسى، واللوعة على افتقاده، وقد ظهر هذا الغرض بسبب كثرة الحروب التي تؤدي بالأبطال، ومن ثَمَّ يُرثَون.

ومن أبرز سماته: صدق العاطفة، ورقة الإحساس، والبعد عن التهويل والكذب، والتمسك بالصبر والجَلَد.

وقد برع كثير من النساء في شعر الرثاء، وعلى رأسهن الخنساء التي عُرِفَت بمراثيها لأخيها صخر، ومن ذلك قولها:

وإنّ صَخرًا لَوالِينا وسَيِّدُنـــا ⁂ وإنّ صَخْرًا إذا نَشْتوا لَنَحّارُ

وإنّ صَخْرًا لِمقْدامٌ إذا رَكِبوا ⁂ وإنّ صَخْرًا إذا جاعوا لَعَقّارُ

وإنّ صَخــــرًا لَتأتَمَّ الهُداةُ بِهِ ⁂ كَأنّهُ عَلَمٌ في رأسِـــــهِ نارُ

٥ ـ الاعتذار:

يعدُّ النابغة الذبياني مؤسس هذا النوع من الشعر الجاهلي، فقد نشأ هذا النوع متفرعًا من المدح، وأخذ صفات الممدوح مطيّة له، وتَميَّز الاعتذار بتداخل عاطفة الخوف، والشكر، والرجاء، والتلطف، والتذلل، والاسترحام، وإظهار الحرص على المودة.

وقد اعتذر النابغة الذبياني للملك النعمان بعد أن هجاه، فكان مما قال:

فَبِتُّ كَأَنّــي سَاورتْني ضَئِيلَـــةٌ ⁂ مِنَ الرُّقْشِ في أنيابِها السُّمُّ نَاقِعُ

فإنك كالليلِ الذي هو مُدْرِكي ⁂ وإن خِلتُ أنّ المنتأى عنك واسعُ

٦ ـ الفخر:

هو المباهاة حيث كان الشاعر يفتخر بقومه، وبنفسه، وبشرف النسب، وكذا بالشجاعة، والكرم، وما يتصل به من التغني بالبطولات، وشن الغارات، وتمجيد الانتصارات، وكثرة العدد والعُدَّة، ومنازلة الأقران، ونجدة الصريخ، والحفاظ على الشرف والجار، وغير ذلك.

وهذا الفخر يكون قبليًّا تارة، ومن خير ما يمثل هذا الفخر القبلي الحماسي معلقة عمرو بن كلثوم التغلبي، التي سجل فيها انتصارات قبيلته، ومنعتها، وما يتحلى به أفرادها من شجاعة وإقدام، وسطوة وهيبة وأنفة وإباء، ومنها قوله:

أَبـا هِنْدٍ فَـلاَ تَعْجَـلْ عَلَيْنَا ⁂ وَأَنْظِرْنَا نُخَبِّـــرْكَ اليَقِينَـا

بِأَنَّا نُورِدُ الرَّايَـاتِ بِيضًـا ⁂ وَنُصْدِرُهُـنَّ حُمْرًا قَـدْ رَوِينَا

وَأَيَّـامٍ لَنَـا غُــرٍّ طِـوَالٍ ⁂ عَصَيْنَا المَلْكَ فِيهَا أَنْ نَدِينَا

ويكون الفخر تارةً أخرى ذاتيًّا، ينبعث من نفوس تهوى العزة والمجد، وتحرص على بناء المكارم، والتباهي بمآثرها الفردية، ويبدو هذا الفخر الذاتي لدى طائفة من الشعراء الفرسان والأجواد، كعنترة، وحاتم الطائي، وعمرو بن الإطنابة، والشعراء الصعاليك كالشَّنْفَرَى، وتأبط شرًّا، وفي معلقات: طرفة بن العبد، ولبيد بن ربيعة، وعنترة بن شداد، صور كثيرة من هذا الفخر الفردي. يقول طَرَفَه بن العبد:

إذا القوم قالوا: من فتى؟ خِلتُ أنني ❊❊ عُنيتُ فلمْ أكْسَلْ ولَم أتبلدِ

أحلتُ عليها بالقطيع فأجذمتْ ❊❊ وَقَدْ خَبَّ الأَمْعَزِ المُتوقِّدِ

٧ـ الحكمة

الحكمة صوت العقل؛ لأنها قول موجز يقوم على فكرة سديدة، وتكون بعد تأمل وموازنة بين الأمور، واستخلاص العبرة منها؛ ولذلك فهي تعبر عن الرأي والعقل.

وقد عُرِفَ زهير بن أبي سُلمى بحِكَمِهِ التي كان ينثرها في قصائده، ومن ذلك قوله في معلقته:

وَمَنْ لَمْ يُصَانِعْ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ ❊❊ يُضَرَّسْ بِأَنْيَابٍ وَيُوْطَأْ بِمَنْسِمِ

وَمَنْ يَجْعَلِ المَعْروفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ ❊❊ يَفِرْهُ وَمَنْ لا يَتَّقِ الشَّتْمَ يُشْتَمِ

وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ المَنَايَا يَنَلْنَهُ ❊❊ وَإِنْ يَرْقَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسُلَّمِ

وَمَهما تَكُن عِندَ امرِئٍ مِن خَليقَةٍ ❊❊ وَإِن خالَها تَخفى عَلى الناسِ تُعلَمِ

لِسَانُ الفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفٌ فُؤَادُهُ ❊❊ فَلَمْ يَبْقَ إلا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالدَّمِ

٨ـ الوصف

الوصف يغلب على جُلِّ أبواب الشعر إن لم يكن كلها، فهو باب واسع، يشمل كل ما يقع تحت الحواس من ظواهر طبيعية: حية وصامتة، وهكذا كان عند شعراء الجاهلية الذين عايشوا الصحراء في حلهم وترحالهم، وألفوا القفار الموحشة، وما فيها من جبال ووديان ومياه وحيوانات أليفة وغير أليفة، فوصفوا ذلك كله؛ لأنه وثيق الصلة بحياتهم وتقلباتهم.

وكذلك مظاهر الطبيعة حولهم كالليل، والسحاب، والرعد، والبرق، ووصفوا الخمر، ومجالس الشرب، واللهو، والحرب وأسلحتها المختلفة، وصفوا ذلك كله بدقة، وصدق في التعبير عن المشاعر

والأحاسيس، ومن وصفهم الرائع قول عنترة في الروضة:

وكأنَّ فَـارَةَ تَاجِـرٍ بِقَسِـيمَةٍ ❊ سَبقَتْ عَوَارِضَها إليكَ مِنَ الفَمِ

أَوْ روْضَةً أُنُفاً تَضَمَّنَ نَبْتُهَا ❊ غيْثٌ قليلُ الدِّمنِ ليسَ بِمُعْلَمِ

جَادَتْ عَليـهِ كُلُّ بِكرٍ حُرَّةٍ ❊ فتَرَكنَ كُلَّ قرارَةٍ كَالدِرهَمِ

سَحّاً وتسْـكاباً فَكلَّ عشيَّةٍ ❊ يجري عليها المـاءُ لم يَتَصَرَّمِ

❊ ❊ ❊

المعلقات

تعريف المعلقات:

هي: قصائد جاهليّة بلغ عددها السبع، أو العشر على قولٍ برزت فيها خصائص الشعر الجاهلي بوضوح؛ حتّى عدّت أفضل ما بلغنا من شعر فهي من أدقّه معنى، وأبعده خيالًا، وأبرعه وزنًا، وأروعه تصويرًا للحياة التي كان يعيشها العرب في الجاهلية، وتمتاز بالطول، وجزالة الألفاظ، وثراء المعاني، وتنوع الفنون والأغراض، وبروز شخصيات الشعراء.

لهذه الأسباب وغيرها عدّها النقّاد والرواة قديمًا قمّة الشعر العربي؛ لذلك اهتم العلماء بها، ودونوها، وكتبوا شروحًا لها، وهي غالبًا ما تبدأ بذكر الأطلال، وتذكر ديار محبوبة الشاعر.

وقد قام باختيارها وجمعها رَاوِيَةُ الكوفة المشهور حماد الراوية (ت ١٥٦هـ).

أسماء المعلقات

المعلقات: وهو أكثر الأسماء دلالة عليها حيث يرى كثير من النقاد أنها سميت بالمعلقات؛ لأنهم لما استحسنوها كتبوها بماء الذهب وعلقوها على أستار الكعبة أو لعلوقها بأذهانهم، وهناك أسماء أخرى لها، لكنها أقل ذيوعًا وجريانًا على الألسنة، منها:

السبع الطوال؛ لأبرز صفاتها، وهو الطول.

السُّموط؛ تشبيهًا لها بالقلائد والعقود التي تعلقها المرأة على جيدها للزينة.

المذَهَّبات؛ لكتابتها بماء الذهب.

القصائد السبع المشهورات؛ لقول حماد الراوية: هذه المشهورات.

عددها وأسماء شعرائها:

كما اختلف العلماء والرواة في تسميتها، اختلفوا في عددها، وأسماء شعرائها، فبعد أن اتّفقوا على خمس منها هي: امرئ القيس، وزهير، ولبيد، وطرفة، وعمرو ابن كلثوم. اختلفوا في البقيّة، فمنهم من يعدّ بينها معلّقتي: عنترة، والحارث بن حلزة، ومنهم من يدخل فيها قصيدتي: النابغة، والأعشى، ومنهم من جعل فيها قصيدة عبيد بن الأبرص، فتكون المعلّقات عندئذ عشرًا.

السبع المشهورة هي:

١ـ معلقة امرئِ القيس.
٢ـ معلقة طرفة بن العبد.
٣ـ معلقة زهير بن أبي سُلمى.
٤ـ معلقة عنترة بن شداد.
٥ـ معلقة عمرو بن كلثوم.
٦ـ معلقة الحارث بن حِلِّزة.
٧ـ معلقة لبيد بن ربيعة.

والثلاث الأخرى هي:

٨ ـ معلقة النابغة الذبياني.
٩ـ معلقة الأعشى.
١٠ ـ معلقة عبيد بن الأبرص.

نماذج مختارة من المعلّقات مع التعريف بشعرائها

معلقة امرئ القيس

التعريف بالشاعر:

اسمه: امرؤ القيس، حندج، عدي، مُلَيْكة، لكنّه عُرِفَ بالاسم الأوَّل.

أبوه: حجر بن الحارث، آخر ملوك تلك الأسرة التي كانت تبسط نفوذها وسيطرتها على منطقة نجد من منتصف القرن الخامس الميلادي حتى منتصف القرن السادس.

أُمّه: فاطمة بنت ربيعة، أُخت كليب، زعيم قبيلة ربيعة من تغلب، وأُخت المُهَلهِل بطل حرب البسوس.

حياته: من أهل نجد من الطبقة الأُولى، وكان يعدّ من عشّاق العرب، وكان يشبّب[(١)] بالنساء، وقد طرده أبوه على أثر ذلك، وظل سادرًا في لهوه إلى أن بلغه مقتل أبيه وهو بدمّون[(٢)] فقال: "ضيّعني صغيرًا، وحمّلني دمه كبيرًا، لا صحو اليوم ولا سكرَ غدًا، اليوم خمرٌ وغدًا أمرٌ"، ثمّ آل[(٣)] ألا يأكل لحماً ولا يشرب خمرًا حتّى يثأر لأبيه، وهنا تبدأ مرحلة جديدة من حياته، وفيها خرج إلى طلب الثأر من بني أسد قتلة أبيه، وذلك بجمع السلاح، وإعداد الناس، وتهيئتهم للمسير معه، وبلغ به ذلك المسير

(١) يشبّب: يتغزل.
(٢) دَمّون : اسم موضع بحضر موت.
(٣) آل : خلف.

إلى ملك الروم، فبعث معه جيشًا، لكنه لّما صار إلى مدينة بالروم تُدعى: أنقرة، أقام بها حتّى مات سنة ٤٥٠م، وقبره هناك، ويقال: إنه مات بسبب ارتدائه حُلَّة[1] مسمومة أهداه إياها قيصر.

وصف معلقته:

نظمها على البحر الطويل، وقافية اللام المكسورة، ووصف فيها الأطلال والظعائن، وتحدث عن مغامراته العاطفية، وصور الليل، والخيل، والسيل، وأجاد في كل ذلك وأبدع، ولاغرو، فهو أمير الشعر في العصر الجاهلي، كما أطلق عليه النقاد، يقول في مطلعها:

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ ** بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فحَوْمَلِ

معلقة لبيد بن ربيعة

التعريف بالشاعر: هو لبيد بن ربيعة بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب ابن ربيعة الكلابي، وكنيته: «أبو عقيل»، ويبدو أنه ولد في حوالى سنة ٥٦٠م.

حياته: كان فارسًا شجاعًا سخيًّا، قال الشعر في الجاهلية دهرًا.

وأمّا أبوه فقد عرف بربيعة المقترين لسخائه، وقد قُتل والده وهو صغير السّنّ، فتكفّل أعمامُهُ تربيتَه. وكان شريفًا في الجاهلية والإسلام، و قد نذر أن لا تهبّ الصَّبا إلاّ نحر وأطعم، ثمّ نزل الكوفة، وكان المغيرة بن شعبة إذا هبّت الصَّبا يقول: أعينوا أبا عقيل على مروءته.

ولبيد مِنَ الشعراء الّذين ترفعوا عن مدح الناس؛ لنيل جوائزهم وصِلاتهم، كما أنّه كان من الشعراء المتقدّمين في الشعر.

وأمّا إسلامه فقد أجمعت الرواة على إقبال لبيد على الإسلام من كلّ قلبه، وعلى تمسّكه بدينه تمسّكًا شديدًا، ولا سيما حينما يشعر بتأثير وطأة الشيخوخة عليه، وبقرب دنوّ أجله؛ ويظهر أنّ شيخوخته قد أبعدته عن الإسهام في الأحداث السياسية التي وقعت في أيّامه، فابتعد عن السياسة، وابتعد عن الخوض في الأحداث السياسية، ولهذا لا نجد في شعره شيئًا، ولا فيما روي عنه من أخبار أنّه تحزّب لأحد أو خاصم أحدًا.

وقيل: إنّه مات بالكوفة «٤١ هـ» على الراجح.

(١) حُلَّة: ثوب جَيِّد غليظ أو رقيق.

وصف معلقته:

نظمها على البحر الكامل، وقافية الميم المضمومة، وَصَوَّر فيها ديار الحبيبة، وبعدها عنه، وأثر ذلك عليه، ووصف الناقة، وفخر بذاته وقبيلته، وكان بارًّا بقومه، يحبّهم ويؤثرهم، ويشيد بمآثرهم، ويسجّل مكرماتهم، ويفخر بأيّامهم وأحسابهم، ومن ذلك قوله:

إنّـا إذا التقـتِ المجَامِـعُ لَمْ يَزَلْ *** مِنّـا لِـزَازُ عَظِيمـةٍ جَشّـامُها
مِـنْ مَعْشَرٍ سَـنَّتْ لَهُـمْ آباؤهُمْ *** وَلِـكُلِّ قَـومٍ سُـنَّةٌ وإمامُهَـا
لا يَطْبَعُـونَ ولا يَبُـورُ فِعَالُهُـمْ *** إِذْ لاَ تمِيـلُ مَـعَ الهَـوَى أَحْلاَمُهَا
وهُمُ السُّعَاةُ إذا العَشِيْرَةُ أُفْظِعَتْ *** وَهُـمُ فَوَارِسُـهَا وَهُـمْ حُكّامُهَـا
وهـمُ رَبِيْـعٌ للمُجَـاوِرِ فِيهِـمُ *** والمرْمِـلاَتِ إذا تَطَـاوَلَ عَامُهـا

معلقة زهير بن أبي سُلمى

التعريف بالشاعر: هو زهير بن أبي سلمى ـ واسم أبي سلمى: ربيعة بن رباح المزني من مزينة بن أد بن طابخة،كانت محلّتهم في بلاد غطفان، وهو أحد الشعراء الثلاثة الفحول المقدّمين على سائر الشعراء بالاتّفاق، وهم: امرؤ القيس، وزهير، والنابغة، ويقال: إنّه لم يتصل الشعر في ولد أحد من الفحول في الجاهلية ما اتصل في ولد زهير، وكان والد زهير شاعرًا، وأُخته "سلمى" شاعرة، وأُخته "الخنساء" شاعرة، وابناه "كعب وبجير" شاعران، وكان خال "زهير أسعد بن الغدير" شاعرًا، والغدير أُمه، وبها عرف، وكان أخوه "بشامة بن الغدير" شاعرًا كثير الشعر.

ويظهر من بيت له في معلقته أنّه عاش طويلًا، إذ يقول متأفّفًا منها ومشقّاتها:حتّى سئم الحياة:

سَئِمْتُ تَكَالِيفَ الحياةِ وَمَنْ يَعِشْ *** ثَمانِينَ حَوْلًا لا أبا لَكَ يَسْـــأَمِ

مميزات شعره: امتاز زهير بمدائحه، وحِكَمِهِ، وبلاغته، وتجويده شعره، وتثقيفه، فهو من مدرسة الصنعة؛ إذ كان يبقي القصيدة عنده عامًا كاملًا، يعدل فيها وينقح حتى تستوي وتنضج.

وصف معلقته

نظمها على البحر الطويل، وقافية الميم المكسورة، ووصف فيها الأطلال والظعائن، وذم الحرب، ومدح الساعين بالسلام، وبث فيها حكمه، وخلاصة تجربته. ومما قاله عن الحرب:

وَمـا الحَربُ إِلّا ما عَلِمتُمْ وَذُقْتُمُ ** وَمَا هُـوَ عَنها بِالحَديـثِ المُرَجَّمِ
مَتى تَبعَثُوهَـــا تَبعَثوها ذَميمَةً ** وَتَــضْرَ إِذا ضَرَّيتُمُوها فَتَضْرَمِ
فَتَعْرُكـكُم عَرْكَ الرَّحى بِثِفالِها ** وَتَلْقَحْ كِشَــافًا ثُمَّ تَحمِل فَتُتْئِمِ
فَتُنتَجْ لَكُم غِلمانَ أَشــأَمَ كُلُّهُمْ ** كَأَحمَرِ عادٍ ثُــمَّ تُرضِع فَتَفْطِمِ

معلقة عنترة بن شَدَّاد العبسي

التعريف بالشاعر: هو عنترة بن عمرو بن شدّاد بن عمرو العبسي، ادّعاه أبوه بعد الكبر؛ وذلك لأنّه كان لأمة سوداء يقال لها: زبيبة، وكانت العرب في الجاهلية إذا كان للرجل منهم وَلَدٌ مِنْ أَمَةٍ استعبده.

حياته: كان عنترة من أقوى أهل زمانه، وأجودهم بما ملكت يداه، وكان لا يقول من الشعر إلا البيتين والثلاثة حتّى سابّه رجل من بني عبس، فذكر سواده، وسواد أُمِّهِ وسواد إخوته، وعيّره بذلك؛ فقال عنترة قصيدته (المعلّقة) التي تسمّى بالمذهّبة، وهي من أجود شعره، وقد شهد حرب داحس والغبراء، فحسن فيها بلاؤه.

أحبّ ابنة عمّه عبلة حبًّا شديدًا، ولكنّ عمّه منعه من الزواج بها، وقد ذكرها في شعره مرارًا، وذكر بطولاته أمامها، وفي معلّقته نماذج من ذلك.

وصف معلقته:

نظمها على البحر الكامل، ووصف فيها الأطلال، وَبُعْد الحبيبة، وأَثَرُه في نفسه، وتغزل فيها، وفخر بشجاعته وإقدامه، ومن هذا الفخر قوله:

لما رَأَيْتُ القَوْمَ أَقْبَلَ جَمْعُهُـــمْ ** يَتَـذَامَرُونَ كَرَرْتُ غَيْرَ مُذَمَّمِ
يَدْعُـــونَ عَنْتَرَ والرِّماحُ كأَنَّهـا ** أَشْطَـانُ بِئْـــرٍ في لَبانِ الأَدْهَـمِ
مازِلْـتُ أَرْميهِـمْ بِثُغْرَةِ نَحْـرِهِ ** وَلَبـانِهِ حَتَّـــى تَسَرْبَلَ بِالـدَّمِ
فَـازْوَرَّ مِنْ وَقْـــعِ القَنا بِلَبانِـهِ ** وشَـكَا إِلَيَّ بِعَبْـــرَةٍ وَتَحَمْحُـمِ
لو كانَ يَدْرِي مَا المُحاوَرَةُ اشْتَكَى ** وَلَـكانَ (لوعَلِمَ الكَلامَ) مُكَلِّمِـي
ولقَـدْ شَفَى نَفْسي وَأَبْرَأَ سُقْمَهَـا ** قِيْلُ الفَـوارِسِ: وَيْكَ عَنْتَرَ أَقْدِمِ

* * *

تدريبات

١- لماذا استأثر الغزل بالنصيب الأوفى بين أغراض الشعر في العصر الجاهلي؟

٢- ما سبب قوة شعر الغزل في العصر الجاهلي؟

٣- ينقسم الغزل في العصر الجاهلي إلى قسمين، اذكرهما، ومثل لهما.

٤- الهجاء نوعان، اذكرهما، ومثل لهما.

٥- سلك الشعراء المداحون في العصر الجاهلي طريقين، اذكرهما، ومثل لكل منهما.

٦- علل: لا يختلف الرثاء عن المديح كثيرًا.

٧- مَنْ مؤسس فن الاعتذار في العصر الجاهلي؟ وماذا تعرف عنه؟

٨- علل: يغلب الوصف على كل أغراض الشعر العربي.

٩- لم كانت الحكمة صوت العقل؟

١٠- قد يكون الفخر قبليًّا، وقد يكون ذاتيًّا، فما الفرق بين النوعين؟

١١- برز الشعراء الجاهليون في وصف الطبيعة، اكتب ما تحفظ من الأبيات في هذا الفن.

١٢- ما المعلقات؟ ولماذا سميت بهذا الاسم؟ وكم عددها؟

١٣- ماذا تعرف عن امرىء القيس؟ وما مطلع معلقته؟ وما الأغراض التى تشتمل عليها؟

١٤- للبيئة أثر واضح فى شاعرية زهير بن أبى سُلمى. وضح ذلك.

١٥- فى كل غرض من أغراض الشعر السابقة بعض أبيات شعرية غير مشروحة. فقم بإيضاح مفرداتها الصعبة، وشرح أبياتها بأسلوب فصيح، وتعرف على ما فيها من أسرار بلاغية.

***

الموضوع الرابع

النثر الجاهلي

أهداف الدرس:

بنهاية الدرس يتوقع أن يكون الطالب قادرًا على أنْ:

١ – يذكر الأسباب التي أدت إلى قلة النثر في العصر الجاهلي.

٢ – يحدد أهم أغراض النثر فى العصر الجاهلي

٣– يعدد خصائص النثر في العصر الجاهلي.

٤ – يوازن بين المثل والحكمة في العصر الجاهلي.

تعريف النثر:

هو الكلام المنمق الخالي من الأوزان المعروفة، الذى روعي فيه تنسيق الألفاظ وترتيب الجمل، والاعتماد على العقل فى تخير المعاني وإبرازها.

أسباب قلة النثر في العصر الجاهلي:

برع العرب في النثر كما برعوا في الشعر، لكنَّ الذي وصلنا منه قليل؛ وذلك لسببين:

الأول: أن العرب كانوا أميين، ولم يعرف الكتابة منهم إلا القليل، لكن هؤلاء أيضًا لم يهتموا بتدوين هذا النثر.

الثاني: أن حفظ الشعر أسهل من حفظ النثر؛ وذلك لابتنائه على الأوزان والقوافي بخلاف النثر.

أغراض النثر الفني في الجاهلية:

تعددت أغراض النثر الفني في الجاهلية، وكثرت موضوعاته، وارتبطت بطبيعة حياتهم في البادية والحاضرة. ومن تلك الأغراض:

١ـ التحريض على القتال، والأخذ بالثأر.

٢ـ الدعوة إلى السِّلم، وإصلاح ذات البين.

٣ـ السفارات والوفود.

٤ـ خطب النكاح.

٥ـ الوعظ والتوجيه، ولا سيما من الحنفاء.

سمات النثر الجاهلي الفنية:

رقي الأفكار والمعاني، ودقة الألفاظ، وصحة التراكيب، والاهتمام بالمحسنات البديعية، وبخاصة السجع، والتنوع في الأسلوب بين الخبري والإنشائي،وصدق العاطفة، وجودة الصورة، واللجوء إلى الخيال أحيانًا.

أنواع النثر الفني في العصر الجاهلي:

١ـ الخطابة. ٢ـ القصص ٣ـ الأمثال ٤ـ الحكم

٥ـ الوصايا ٦ـ المنافرات والمفاخرات ٧ـ سجع الكهان.

الخطابة

هي قطعة من النثر الرفيع، قد تطول أو تقصر حسب الحاجة إليها، وهي من أقدم فنون النثر؛ لأنها تعتمد على المشافهة، وهي فن مخاطبة الجمهور بأسلوب يعتمد على الاستمالة والإقناع.

أما الاستمالة فتكون بإثارة عواطف السامعين، وجذب انتباههم، وتحريك مشاعرهم، وذلك يقتضي من الخطيب تنوع الأسلوب، وجودة الإلقاء، وتحسين الصوت ونطق الإشارة.

وأما الإقناع فيقوم على مخاطبة العقل، وذلك يقتضي من الخطيب ضرب الأمثلة، وتقديم الأدلة والبراهين، التي تقنع السامعين.

مميزات الخطبة في الجاهلية وأهدافها:

تمتاز الخطابة فى الجاهلية بالبدء في الموضوع بشكل مباشر، والعبارات القصيرة، والتنوع في الموضوعات، والاهتمام بالمحسنات البديعية وبخاصة السجع، وفصاحة الألفاظ واستعمال الأمثال والحكم .

ومن أهدافها:

التأثير في المخاطبين، وتوجيههم عن طريق الإفهام والإقناع.

أسباب ازدهار الخطابة:

وجود الأسواق التي كانت تتجمع فيها العرب لإبراز مواهبهم من خطابة وغيره، وحرية القول، وكثرة دواعي الخطابة كالحرب والصلح وغيرهما،وامتلاك الخطباء أعنَّة الفصاحة.

ومن أشهر خطباء العصر الجاهلي:

قُسُّ بن ساعدة الإيادي، وخارجة بن سنان خطيب داحس والغبراء، وخويلد بن عمر، والقطفاني خطيب يوم الفجار، وأكثم بن صيفي.

أنواع الخطابة:

تختلف باختلاف الموضوع والمضمون فمنها:

١ـ الخطابة الدينية: التي تعتمد على النصح والإرشاد، والدعوة إلى حالة السلم، ومحاولة حقن الدماء.

٢ـ الخطابة الاجتماعية: وهي التي تعالج قضايا المجتمع كالزواج وغيره، وفيها بعض العِظات، والتوجيهات الاجتماعية.

٣ـ الخطابة السياسية: وهي التي اشتهرت في تلك الفترة وتستعمل لخدمة أغراض القبيلة.

الأمثال

أبدع معظم العرب في ضرب الأمثال في مختلف المواقف والأحداث؛ وذلك لحاجة الناس إليها، فهي أصدق دليل عن الأمة وتفكيرها، وعاداتها وتقاليدها، وهي أقوى دلالة من الشعر في ذلك؛ لأنه لغة طائفة ممتازة، أما هي فلغة جميع الطبقات.

تعريف المثل:

هو قول محكم الصياغة، قليل اللفظ، موجز العبارة، بليغ التعبير، يوجز تجربة إنسانية عميقة، مضمرة ومختزلة بألفاظه، نتجت عن حادثة أو قصة قيل فيها المثل.

ولكل مثل مورد، ومضرب، فأما المورد فهو المناسبة الأولى التي قيل فيها المثل، وأما المضرب فهو الحالة التي يُتَمَثل بها في أي مناسبة تشبه المناسبة الأولى وينطبق عليها المثل.

من أسباب انتشار الأمثال:

خفتها، وحسن عبارتها، وعمق ما فيها من حكمة، لاستخلاص العبر، وإصابتها الغرض المنشود منها، والحاجة إليها، وصدق تمثيلها للحياة العامة، ولأخلاق الشعوب.

خصائص الأمثال:

إن خصائص المثل لا تكاد تجتمع في غيره من الكلام وهى: «إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكناية، إضافة إلى قوة العبارة والتأثير، فهو نهاية البلاغة».

والأمثال في الغالب أصلها قصص، لكنَّ الفروق الزمنية التي تمتد لعدة قرون بين ظهور الأمثال، ومحاولة شرحها أدت إلى احتفاظ الناس بالمثل؛ لجمال إيقاعه، وخفة ألفاظه، وسهولة حفظه، وتركوا القصص التي أدت إلى ضربها. وأحيانًا تغلب روح الأسطورة على الأمثال التي تدور في القصص الجاهلية.

ومن أمثال العرب الجاهليين المشهورة (رَجَع بخُفَّي حُنين).

ومورد هذا المثل:

اختلف أعرابي مع صانع أحذية في مدينة الحيرة بالعراق، يدعى (حُنَيْن) على ثمن حذاء، وبعد طول جدال ومساومة، اتفق معه على سعر، وإذا بالأعرابي يترك الحذاء ويذهب، فغضب (حُنَيْن) وأراد الكيد له، فأخذ فردة من الحذاء وألقى بها في طريق الأعرابي وألقى بالأخرى بعيدًا عنها، واختبأ حتى جاء الأعرابي، فوجد الفردة الأولى فقال: لو كانت معها الثانية لأخذتها، ثم استمر في طريقه، حتى وجد الثانية، فترك ناقته وعاد مسرعًا ليأخذ الفردة الأولى، فأخذ (حُنَيْن) الناقة وهرب، ورجع الأعرابي إلى أهله بِخُفي حُنَيْن.

ومضرب هذا المثل: يضرب لكل من يرجع من مهمته بالفشل، والخيبة.

الحكم

الحكمة قول موجز مشهور، صائب الفكرة، رائع التعبير، يتضمن معنى مسلمًا به، يهدف عادة إلى الخير والصواب، به تجربة إنسانية عميقة.

أوجه الاختلاف بين المثل والحكمة:

تتفق الحكمة مع المثل في: الإيجاز، والصدق، وقوة التعبير، وسلامة الفكرة.

تختلف الحكمة عن المثل في أمرين:

١ـ الحكمة لا ترتبط في أساسها بحادثة أو قصة.

٢ـ أنها تصدر غالبًا عن طائفة خاصة من الناس لها خبرتها، وتجاربها، وثقافتها.

أسباب انتشارها:

شاعت الحكمة علي ألسنة العرب؛ لاعتمادها علي التجارب، واستخلاص العظة من الحوادث، ونفاذ البصيرة، والتمكن من ناصية البلاغة. ومن حِكَم العرب: «آخر الدواءِ الكَيُّ»[١]، «خير الأعوان من لم يُراءِ بالنصيحة»[٢].

الوصايا

الوصية لون من ألوان النثر، التي عرفها العرب في الجاهلية؛ وهي قولٌ حكيمٌ صادرٌ عن مجرّب خبير، يوجهه إلى من يحب لينتفع به، أو من هو أقل منه تجربة.

أوجه التشابه بين الوصايا والحكم والأمثال يمكن إلحاق الوصايا بالحكم والأمثال لتضمنها كثيرًا من تلك الأقوال الموجزة النابعة من التجربة، حتى لكأن الوصايا أحيانًا قائمة على جملة من الحكم والأقوال المأثورة.

قائل الوصايا: تُروَى هذه الوصايا عادة على ألسنة طوائف من الحكماء والمعمرين، الذين عُرفوا بكثرة تجاربهم وخبرتهم في الحياة، من أمثال: ذي الإصبع العدواني، وزهير بن جناب الكلبي، وعامر ابن الظرب العدواني، وحصن بن حذيفة الفزاري.

موضوع الوصايا

يمكن تقسيم الوصايا من حيث الموضوع إلى نوعين:

النوع الأول: وصايا اجتماعية: كالوصايا المتعلقة بالزواج، والمال، والصداقة، والعناية بالخيل وإكرامها، ومكارم الأخلاق كتهذيب اللسان، وتربية النفس، والحث على الصدق، والبذل والجود .

ومن شواهدها وصية ذي الإصبع العدواني ـ لما احتضر ـ لابنه أسيد.

---

(١) حار الأطباء قديماً في بعض الأدواء فأعياهم طبها، وكان الكي بالنار هو آخر دواء لجأ إليه الطب فأجدى، ولكن هذا الدواء لا يلجأ إليه إلا حيث يستعصى الداء.

(٢) يتخذ الملوك والرؤساء أعوانًا، والكثير منهم يزين للراعي عيوبه إلى قلبه، وهؤلاء شر الأعوان، أما النصاح الذين يكشفون للرعاة عن عيوبهم ولا يراءونهم فهم خير أعوان.

النوع الثاني: وصايا سياسية: تكون بين الراعي والرعية، والدعوة إلى الحرب، والدعوة إلى السلم والتحذير من التنازع.

والطابع العام للوصايا هو الأسلوب المرسل، الذي يترك فيه الموصي نفسه على سجيتها، من دون تنميق أو زخرفة، مؤثرًا وضوح العبارات، ورشاقة التراكيب، وقصر الجمل، بما يحقق المناسبة بين المعنى واللفظ، وطبيعة المقام الذي تقال فيه الوصية.

الفرق بين الوصية والخطبة:

ثمة فرق بين الوصية والخطبة، وهو: أن الخطبة فن مخاطبة الجماهير؛ لاستمالتهم وإقناعهم، أما الوصية فهي قول حكيم؛ لإنسان مجرب، يوصي به من يحب؛ لينتفع به في حياته.

أجزاء الوصية:

١ـ المقدمة: وفيها تمهيد وتهيئة لقبولها.

٢ـ الموضوع: وفيه عرض للأفكار بوضوح وإقناع هادئ.

٣ـ الخاتمة: وفيها إجمال موجز لهدف الوصية.

أنموذج من وصايا العرب:

أَوْصَى زُهَيرُ بنُ جَنَابٍ الكَلبي بَنِيهِ فَقَالَ: «يَا بَنِيَّ: قَدْ كَبُرَتْ سِنِّي، وَبَلَغْتُ حَرْسًا مِنْ دَهْرِي، فَأَحْكَمَتْنِي التَّجَارُبُ، وَالأُمُورُ تَجْرِبَةٌ وَاخْتِبَار، فَاحْفَظُوا عَنِّي مَا أَقُولُ وَعُوهُ: إِيَّاكُم وَالخَوَرَ عِندَ المَصائِبِ وَالتَّواكُلَ عندَ النَّوائِبِ؛ فَإِنَّ ذَلكَ دَاعِيةٌ لِلغَمِّ، وشَماتَةٌ للعَدُوِّ، وسوءُ ظَنٍّ بالرَّبِّ، وَإِيَّاكم أَن تَكُونُوا بِالأَحْدَاثِ مُغْتَرِّينَ، وَلَهَا آمِنِينَ، وَمِنْهَا سَاخِرِينَ؛ فَإِنَّهُ مِا سَخِرَ قَومٌ مِن قومٍ قَطُّ إِلَّا ابْتُلُوا، ولكنْ تَوَقَّعُوهَا، فَإِنَّ الإنسانَ فِي الدُّنيَا غَرَضٌ تَعاوَرَهُ الرُّمَاة، فَمُقَصِّرٌ دُونَهُ، وَمُجَاوِزٌ لِمَوضِعِهِ، وَوَاقِعٌ عَن يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ، ثُمَّ لابُدَّ أَنْ يُصِيبَهُ»[(١)].

---

(١) حَرْسًا: مدة طويلة، وفي الصحاح: الحرْس: الدهر، فَأَحْكَمَتْنِي التَّجَارِبُ: أى جعلتني التجارب ذا حكمة، عُوهُ: أى افهموه، من قولهم: (وَعَى الحَدِيثَ) بمعنى فَهِمَهُ، وَالخَوَرَ: الضعف بعد الشدة، المَصائِب: جمع مفردها مصيبة. والنَّوائبِ: جمع مفردها نائبة، تَوَقَّعُوهَا: استعدوا لمصائب الدنيا ولا تغتروا بها، والتَّواكُلُ: الخُمُولِ والاسْتِسْلامُ، دَاعِيةٌ لِلغَمِّ: سببا له، والغمّ: الحزن، مُغْتَرِّينَ: غافلين مخدوعين، من قولهم: اغترّ الرجل بالشيء: خُدِعَ به، آمِنِينَ: أمن الشيء أى اطمئن به، ووثق في أنه لا يضره، سَاخِرِينَ: مستهزئين غير عابئين بها.

غَرَضٌ تَعَاوَرَهُ الرُّمَاة: الغرض ما ينصبه الرماة، ثم يرمونه بالسهام ونحوها. شبه الناس فى هذه الحياة بالهدف الذي يرمى فيه، ثم لا بد أن يصيبه سهم المنية، فيموت.

المنافرات

وهي مفاخرات كانت تحدث بين اثنين أو أكثر من سادات العرب وأشرافهم، وفيها يشيد كل من المتفاخرين بحسبه، ونسبه، ومجده، وسجاياه، أمام حَكَمٍ من أشراف العرب أو كهانهم، ليكون له القول الفصل في تفضيل أحد الطرفين على الآخر. ولكن الحكم يسعى في كثير من الأحيان إلى الصلح بين المتنافرين؛ تفاديًا للشر، ويتحاشى الحُكْمَ لأحدهما على الآخر، ويلقي عليهما كلامًا بليغًا يدعوهما فيه إلى السلام والصفاء.

ومن ذلك ما كان من هرم بن قطبة الفزاري، حين تنافر إليه عامر بن الطفيل، وعلقمة بن علاثة، بعد أن اشتد النزاع بينهما، فجعل هرم يطاولهما، ويمهد للصلح بينهما، حتى قال لهما أخيرًا: «أنتما كركبتي البعير، تقعان إلى الأرض معًا، وتقومان معًا».، فرضيا بقوله، وانصرف كل منهما إلى قومه.

واشتهر من هؤلاء الحكام أيضًا: ربيعة بن حذار، والأقرع بن حابس، ونفيل بن عبد العزى، وهاشم ابن عبد مناف.

وربما جرت المنافرة بين قبيلتين: كربيعة ومضر، أو قيس وتميم، وهذا ما يحيل المنافرة إلى صورة من صور الخطابة، إذ يقف كل سيد ليعدد مآثر قومه أمام الحَكَم، بحضور سادة القبائل وأشرافها، ويحاول التأثير في السامعين؛ ليحوز الإعجاب والحُكْمَ له بالغلبة على خصمه، وإذا فصل الحكم بين المتنافرين، سجع في كلامه حينًا، وأرسله حينًا آخر، وهو يحرص على السجع والقسم، ولاسيما إذا كان من الكهان.

سجع الكهان

تعريفه: لون فني يعمد إلى ترديد قطع نثرية قصيرة، مسجعة ومتتالية، تعتمد في تكوينها على الوزن الإيقاعي أو اللفظي، وقوة المعنى.

أسلوب السجع: من مميزاته أنه يأتي محكم البناء، جزل الأسلوب، شديد الأسر، ذا روعة في الأداء، وقوة في البيان، ونضارة في البلاغة، وتمتاز لغته بالتعقيد، وأنها كثيرة الصنعة، كثيرة الزخارف في أصواتها وإيقاعها.

لذلك فالنثر المسجوع يأتي في مرحلة النضج.

وظاهرة السجع المبالغ فيه في النثر الجاهلي، قد ارتبطت بطقوس مشربة بسحر الكهنة، ومعتقدات الجدود؛ لذلك يكثر ترديد القطع النثرية القصيرة المسجعة أثناء الحج في الجاهلية، وحول مواكب الجنائز، مثل قول أحدهم:

«من الملك الأشهب، الغلاب غير المغلَّب، في الإبل كأنها الربرب، لا يعلق رأسه الصخب، هذا دمه يشحب، وهذا غدا أول من يسلب»، ويتصف هذا النثر إجمالًا باستعمال وحدات إيقاعية قصيرة تتراوح بين أربعة مقاطع لفظية وثمانية تنتهي بفاصلة، ودون لزوم التساوي بين الجمل أو المقاطع.

وقد ظهر في العرب عدد من هؤلاء الكهان، وفيهم من كانوا حكامًا في المنافرات أيضًا. ومنهم: سطيح الذئبي، وشق الأنماري، وسلمة بن أبي حيّة، المشهور باسم عُزّى سلمة، وعوف الأسدي، بل كان فيهم نساء كاهنات أيضًا، من أمثال: فاطمة الخثعمية، وطريفة اليمنية، وزبراء.



تدريبات

١ـ للنثر الفني في العصر الجاهلي عدة أغراض، اذكرها.

٢ـ ما سمات النثر الجاهلي الفنية؟ وما أنواعه؟

٣ـ ما الأجزاء التي تشتمل عليها الخطبة؟ وما الأهداف التي تتغيَّاها؟

٤ـ ما الوصايا؟ وما السمات الفنية لها؟

٥ـ ما الحكمة؟ وما هدفها؟ وما سماتها؟

٦ـ اذكر بعض الحِكَم النثرية.

٧ـ ما الفرق بين الخطبة والوصيَّة؟

٨ـ ما الفرق بين الحكمةِ والمثل؟

٩ـ علل للظواهر الأدبية الآتية:

ـ قلة النثر في العصر الجاهلي.

ـ يمكن إلحاق الوصايا بالحكم والأمثال.

١٠ـ اذكر أسباب انتشار الأمثال وذيوعها.

١١ـ ما المنافرات؟ وما نوع طرفيها؟ اذكر ثلاثة من أشهر محكميها فى العصر الجاهلي.

١٢ـ للأمثال خصائص لا تجتمع فى غيرها من الكلام. وضح ذلك.

١٣ـ من أنواع النثر الفنى: المنافرات ـ الوصايا. عَرِّف كلًّا منهما. مع ذكر نماذج توضحها.

* * *

الموضوع الخامس

نماذج من الشعر والنثر للعصر الجاهلي

١ـ في وصف الفرس والصيد لامرئ القيس

أهداف الدرس:

بنهاية الدرس يتوقع أن يكون الطالب قادرًا على أنْ:

١ـ يذكر ترجمة لامرئ القيس.

٢ـ يعدد الأوصاف التي وصف بها امرؤ القيس فرسه.

٣ـ يحدد سمات شخصية الشاعر، وخصائص أسلوبه.

٤ـ يشرح أبيات القصيدة بأسلوبه الخاص.

٥ـ يذكر أثر البيئة فى النص.

٦ـ يحفظ الأبيات المقررة من القصيدة.

يقول امرؤ القيس[1] في معلقته:

وَقَـدْ أَغْتَـدِي والطَّـيْرُ فِي وُكُنَاتِهَـا ** بِمُنْجَـرِدٍ قَيْـدِ الأَوَابِـدِ هَيْـكَلِ
مِكَـرٍّ مِفَـرٍّ مُقْبِـلٍ مُدْبِـرٍ مَعًـا ** كَجُلْمُوْدِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ
كُمَيْتٍ يَـزِلّ اللِّبْدُ عَـنْ حَـالِ مَتْنِهِ ** كَـمَا زَلَّـتِ الصَّفْـوَاءُ بِالْمُتَنَـزَّلِ
عَـلَى الذَّبْـلِ جَيَّـاشٍ كأَنَّ اهْتِزَامَـهُ ** إِذَا جَـاشَ فِيـهِ حَمْيُـهُ غَـلْيُ مِرْجَـلِ
مِسَـحٍّ إِذَا مَا السَّـابِحَاتُ عَلَى الوَنَى ** أَثَـرْنَ الغُبَـارَ بِالكَدِيـدِ الْمُـرَكَّلِ
يَـزِلُّ الغُـلامُ الخِـفّ عَـنْ صَهَوَاتِـهِ ** وَيُلْـوِي بِأَثْـوَابِ العَنِيـفِ الْمُثَقَّـلِ
دَرِيـرٍ كَخُـذْرُوفِ الوَلِيـدِ أَمَـرَّهُ ** تَتَابُـعُ كَفَّيْـهِ بِخَيْـطٍ مُوَصَّـلِ
لَـهُ أَيْطَـلا ظَبْـيٍ، وَسَـاقَا نَعَامَـةٍ ** وإِرْخَـاءُ سِرْحَـانٍ، وَتَقْرِيـبُ تَتْفُلِ

(١) سبق التعريف بالشاعر عند الحديث عن معلقته.

ضَليعٍ إِذَا اسْتَدْبَرْتَهُ سَدَّ فَرْجَهُ ** بِضَافٍ فُوَيقَ الأَرْضِ لَيسَ بِأَعْزَلِ
كَأَنَّ عَلَى المتنين مِنْهُ إِذَا انْتَحَى ** مَدَاكَ عَرُوسٍ أَوْ صَلايَةَ حَنْظَلِ
كَأَنَّ دِمَاءَ الهَادِيَاتِ بِنَحْرِهِ ** عُصَارَةُ حِنَّاءٍ بِشَيْبٍ مُرَجَّلِ
فَعَنَّ لَنَا سِرْبٌ كَأَنَّ نِعَاجَهُ ** عَذَارَى دَوَارٍ فِي مُلاءٍ مُذَيَّلِ
فَأَدْبَرْنَ كَالجِزْعِ المُفَصَّلِ بَيْنَهُ ** بِجِيدٍ مُعَمٍّ فِي العَشِيرَةِ مُخْوَلِ
فَأَلْحَقَنَا بِالهَادِيَاتِ وَدُوْنَهُ ** جَوَاحِرُهَا فِي صَرَّةٍ لَمْ تُزَيَّلِ
فَعَادَى عِدَاءً بَيْنَ ثَوْرٍ وَنَعْجَةٍ ** دِرَاكاً، وَلَمْ يَنْضَحْ بِمَاءٍ فَيُغْسَلِ
فَظَلَّ طُهَاةُ اللَّحْمِ ما بَيْنَ مُنْضِجٍ ** صَفِيفَ شِوَاءٍ أَوْ قَدِيرٍ مُعَجَّلِ
وَرُحْنَا يَكادُ الطَّرْفُ يَقْصُرُ دُوْنَهُ ** مَتَى مَا تَرَقَّ العَيْنُ فِيهِ تَسَفَّلِ
فَبَاتَ عَلَيْهِ سَرْجُهُ ولِجَامُهُ ** وَبَاتَ بِعَيْنِي قَائِماً غَيْرَ مُرْسَلِ

تحليل القصيدة: الأبيات (من ١ ـ ٧): وصف الفرس بالسرعة

وَقَدْ أَغْتَدِي والطَّيْرُ فِي وُكُنَاتِهَا ** بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الأَوَابِدِ هَيْكَلِ
مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعاً ** كَجُلْمُوْدِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ
كُمَيْتٍ يَزِلُّ اللِّبْدُ عَنْ حَالِ مَتْنِهِ ** كَمَا زَلَّتِ الصَّفْوَاءُ بِالمُتَنَزَّلِ
عَلَى الذَّبْلِ جَيَّاشٍ كأَنَّ اهْتِزَامَهُ ** إِذَا جَاشَ فِيهِ حَمْيُهُ غَلْيُ مِرْجَلِ
مِسَحٍّ إِذَا مَا السَّابِحَاتُ عَلَى الوَنَى ** أَثَرْنَ الغُبَارَ بِالكَدِيدِ المُرَكَّلِ
يزل الغُلامُ الخِفُّ عَنْ صَهَوَاتِهِ ** وَيُلْوِي بِأَثْوَابِ العَنِيفِ المُثَقَّلِ
دَرِيرٍ كَخُذْرُوفِ الوَلِيدِ أَمَرَّهُ ** تَتَابُعُ كَفَّيْهِ بِخَيْطٍ مُوَصَّلِ

معاني المفردات:

"أَغْتدي": أذهب في الغدوة، وهي: البكور من الفجر إلى طلوع الشمس، "الوكنات": جمع وكنة وهي: بيت الطير، "المنْجَرد": الفرس الماضي في السير، وقيل: قليل الشعر، "الأَوَابد": الوحوش. "الهَيْكَل": عظيم الجرم، "مكرٍّ": مبالغة في الكرّ، "مِفَرٍّ": الصيغة نفسها من الفرّ، "الجُلْمُود": الحجر العظيم، "حَطَّه": ألقاه،

من عل: من فوق، "الفرس الكُمَيْت": ما في لونه كمتة، "الكُمْتُة": القرب من الحمرة، "يَزِل": يسقط، "حال متنه": مقعد الفارس، "الصَّفْوَاء": الحجرالصلب، "المتنزَّل": المطر، "الذَّبل": الذبول، ولعل المراد هنا: ضمور الوسط لأنه وصف الفرس قبل ذلك بأنه ضخم، "جيَّاش": الجيشان الغلي، والمراد الحيوية وقوة الحركة، "الاهْتِزَام": التكسر والمرونة، "الحمي": الحرارة من الغيظ ونحوه، "المِرْجَل": القدر من نحاس أو حديد، "مِسَحٍّ": من سح يسح بمعنى: انصب. "السَّابِحَات": الأفراس السريعة التي تمد أيديها وأرجلها كأنها تسبح، "الوَنَى": الفتور، الكديد: الأرض الصُّلبة، "المُرَكَّل": الذي ركل كثيرًا ضربًا بالقدم، "الخِفَّ": الخفيف، "الصَهَوَات": جمع صهوة وهي: مقعد الفارس من ظهر الفرس، "يلْوِي بالشيء": يذهب به، "العَنِيف": ضد الرقيق. "المُثَقَّل": الثقيل، "درير": من در اللبن ونحوه، أي انساب وتتابع، "الخُذْرُوف": حصاة مثقوبة يجعل الصبيان فيها خيطًا يلعبون بها.

الشرح:

١ ـ وصف امرؤ القيس فرسه فقال: إنه يغدو باكرًا قبل أن تهجر الطيور وكناتها، فيعتلي صهوة جواد قد انحسر شعره، لشدة سمنه، وهو ماضٍ لا يقف، سريع يسبق الوحوش الأوابد، فيقيدها بسرعته، وما تستطيع منه فكاكًا.

٢ ـ وهو يكر فلا يُلحَق، ويفر فلا يُسبَق، يقبل ويدبر، شديد الحركة عظيم القوة، ينطلق كالحجر الكبير حين يسقطه السيل من أعالي الجبال.

٣ ـ وهو ضخم في جثته، مكتنز اللحم حتى ليسقط اللبد عن ظهره سقوط الماء على الصخرة الملساء.

٤ ـ ويهدر في ركضه كما يجيش المرجل بالماء.

٥ ـ ويصف جواده بسرعة العدو، وبأنه ليس كالسابحات الضعاف اللائي يثرن الغبار بالكديد.

٦، ٧ ـ فلا يثبت الغلام الخفيف على صهواته، ويسرع كاللعبة في يد الصبي. يريد: أن هذا الفرس لا يذل لغير سيده.

من مواطن الجمال:

١ـ وصف الشاعر فرسه بأربع صفات في البيت الثاني هي:

(مكر، مفر، مقبل، مدبر معًا)، فجاءت هذه الصفات مفصولة في تتابع سريع، وهذا التتابع هو الذي يناسب السرعة الشديدة التي يصف بها فرسه، ومن ثم اختفت (الواو) العاطفة، وفي قوله: (وقد

أغتدي، والطير في وكناتها) كناية عن التبكير، فهو يسبق الطيور التي لا تزال قابعة في أعشاشها لما تغادرها.

٢ ـ في الأبيات عدة تشبيهات:

ـ في البيت الأول: استعارة، فقد جعل الفرس قيدًا للوحوش يشل حركتها ويثبتها في مكانها، وهو مبتدع هذه الصورة.

ـ وفي الثاني: شَبَّه سرعة فرسه بالصخرة المنحدرة مع السيل من علٍ.

ـ وفي الثالث: شَبَّه انزلاق اللبد من على ظهر فرسه بانزلاق المطر على صخرة ملساء.

ـ وفي الرابع: شَبَّه صهيل فرسه في تكسر صوته بالمرجل حين يغلي، وفيه كناية عن سرعته ونشاطه، وهنا تمتزج الكناية بالتشبيه؛ لتبرز المعنى وتعمقه.

ـ وفي السابع: شَبَّه فرسه في سرعته بخذروف الوليد، وهي: حَصَاة مثقوبة يجعل الصبي فيها خيوطًا، ثم يدخل الصبي أصابعه في أطراف الخيوط، ثم يجذبها فتدور، حتى لا تضبطه العين من شدة دورانه، ويسمع له رنين وحفيف.

الأبيات (من ٨ ـ ١١): وصف جسم الفرس

لَـهُ أيْطَـلا ظَبْـيٍ، وَسَـاقَا نَعَامَـةٍ ** وإرْخَـاءُ سِرْحَـانٍ، وَتَقْرِيـبُ تَتْفُلِ
ضَلِيعٍ إِذَا اسْـتَدْبَرْتَهُ سَـدَّ فَرْجَـهُ ** بِضَـافٍ فُوَيْـقَ الأَرْضِ لَيْسَ بِأَعْزَلِ
كَـأَنَّ عَلَـى المتنين مِنْهُ إِذَا انْتَحَى ** مَـدَاكُ عَـرُوسٍ أَوْ صَلايَـةَ حَنْظَـلِ
كَأَنَّ دِمَـاءَ الهَادِيَـاتِ بِنَحْـرِهِ ** عُصَـارَةُ حِنَّـاءٍ بِشَـيْبٍ مُرَجَّـلِ

معاني المفردات:

"أَيْطَلا": مثنى أيطل، وهو: الخاصرة، "الإِرْخَاء": نوع من العدو والجري، "السِّرْحَان": الذئب، "التَّقْرِيب": وضع الرجلين موضع اليدين في الجري. "التَّتفلُ": ولد الثعلب، "ضَلِيع": عظيم الأضلاع. "الاستدبار": الاتجاه إلى الخلف، "الفَرْج": الفضاء بين اليدين والرجلين، "الضافي": السابغ الطويل. "فُويق": تصغير فوق، "الأعزل من الخيل": المائل الذنب، "المتنان": مثنى متن وهما جانبا الفقار، "انتحى": اعتمد، "المَدَاك": الحجر الذي يسحق به الطيب وغيره، والفعل منه: داك يدوك، "الصلاية":

الحجر الأملس الذي يسحق عليه الشيء، "الحَنْظَل": نبات مكور الثمرة، تحوي ثماره بذورًا شديدة المرارة تسمى: الهبيد، "الهاديات": المتقدمات، "مُرَجل": ممشط، والترجيل: تسريح الشعر.

الشرح:

٨ ـ لهذا الفرس خاصرتا ظبي وساقا نعامة، يسير كما يسير الذئب، ويجري كالثعلب الوليد.

٩ ـ وهو على ضموره عظيم الأضلاع إذا تأملته مستدبرًا رأيته يسد الفضاء بين قائمتيه بذنبه الطويل.

١٠ ـ وإذا نظرت إليه بغير سرج وجدته يلتمع جلده كما تلمع الحجارة التي يسحق بها الطيب.

١١ ـ كأن دماء أوائل الصيد على نحر هذا الفرس عصارة حناء خُضب بها شعرُه.

من مواطن الجمال:

ـ في البيت الثامن: شَبَّه ساقَي الفرس بساقَي النعامة في الانتصاب، والطول، وشَبَّه خاصِرتيه بخاصرتي الظبي، وشَبَّه عَدْوَه بإرخاء الذئب، وتقريبه بتقريب ولد الثعلب، فقد جمع فيه أربعة تشبيهات كلها من التشبيه البليغ؛ وذلك يدل على اقتدار الشاعر، ومهارته في ضبط المعنى.

ـ وفي التاسع: جاءت كلمتا (ضليع، ضافٍ) نكرتين للتعظيم.

ـ وفي العاشر: تشبيه حيث شَبَّه كتفي حصانه في بريقهما وصلابتهما بالحجر الذي يُسحق عليه الطيب، أو الحنظلة الصفراء البراقة، وخص حجر العروس؛ لأنه قريب عهد بسحق الطيب.

ـ وفي الحادي عشر: تشبيه حيث شَبَّه الدم الجامد على نحره فرسه بما جف من عصارة الحناء على شعر الأشيب.

الأبيات (من ١٢ ـ ١٨): وصف الفرس بالقوة والجمال

فَعَنَّ لَنَا سِرْبٌ كَأَنَّ نِعَاجَهُ ** عَذَارَى دَوَارٍ فِي مُلاءٍ مُذَيَّلِ

فَأَدْبَرْنَ كَالجِزْعِ الْمُفَصَّلِ بَيْنَهُ ** بِجِيدٍ مُعَمٍّ فِي العَشِيرَةِ مُخْوِلِ

فَأَلْحَقَنَا بِالهَادِيَاتِ وَدُونَهُ ** جَوَاحِرُهَا فِي صَرَّةٍ لَمْ تُزَيَّلِ

فَعَادَى عِدَاءً بَيْنَ ثَوْرٍ وَنَعْجَةٍ ** دِرَاكاً، وَلَمْ يَنْضَحْ بِمَاءٍ فَيُغْسَلِ

فَظَلَّ طُهَاةُ اللَّحْمِ مِن بَيْنِ مُنْضِجٍ ** صَفِيفَ شِوَاءٍ أَوْ قَدِيرٍ مُعَجَّلِ

وَرُحْـنَـا يَكَادُ الـطَّـرْفُ يَقْصُرُ دُوْنَهُ *** مَتَـى مَـا تَـرَقَّ العَـيْنُ فِيـهِ تَسَـفَّلِ
فَبَـاتَ عَلَيْـهِ سَرْجُـهُ وَلِجَامُـهُ *** وَبَـاتَ بِعَيْنِـي قَائِـماً غَـيرَ مُرْسَـلِ

معاني المفردات:

"عَنَّ": عرض وظهر، "السِّرْبُ": القطيع من الظباء أو أبقار الوحش، "النِّعَاج": اسم لإناث الضأن وبقر الوحش. "العَذَارَى": الأبكار، "الدَّوَار": حجر كان لأهل الجاهلية ينصبونه ويطوفون حوله، "المُلاَءَ": جمع ملاءة، وهي الكساء الخارجي الذي تتزمل به المرأة. "المُذَيّل": الذي أُطيل ذيله وأرخى، "الجَزْع": نوع من الخرز. "الجِيد": العنق. "المُعَم": الكريم الأعمام. "المُخْوِل": الكريم الأخوال، "الجواحر": المتخلفات، وهي التي تقابل المتقدمات. "الصَّرَّة": الصيحة. "لم تزيل": أصلها: لم تتزيل حذفت إحدى التائين، "ومعنى التزيل": التفرق، "عادى عداء": تَابَعَ العداء واستمر فيه. "الدراك": المتابعة، "الطَّهْو والطَّهْي": الإنضاج. "القدير من اللحم": المطبوخ في القدر، "الطرف": الكريم من الخيل، "متى ما تَرَقَّ العَيْن فيه تَسَفَّل": أصلها: تترق وتتسفل بتاءين حذفت إحداهما، "وتَرَقَّ": تصعد إلى أعلى، "وتسفل": تنخفض إلى أسفل.

الشرح:

١٢ـ ظهر قطيع من بقر الوحش، إناثه كأنهن عذارى نساء يطفن حول حَجَرٍ منصوب، في ملاء طويل ذيولها.

١٣ـ فأدبرن في صف مسرعات كالخرز اليماني.

١٤ـ فألحقنا هذا الفرس بأوائلهن، بل جاوز بنا المتخلفات منهن فأدركهن، وقتلهن قبل أن يعرق عرقًا مفرطًا.

١٥ـ أسرع ذلك الحصان إلى الوحش، حتى جال جولة بين الثور والنعجة، فجمع بينهما، وأدركهما معاً، وهو في رحلته هذه لم يتعب، ولم يظهر العرق على جسمه.

١٦ـ عندما توافر الصيد وكثر اللحم بدأ الطباخون في عمل الشرائح الرقيقة، فوضعوها على النار، ثم أعدوا القدور، لطبخ اللحم، فاللحم كثير، منه ما يشوى ومنه ما يطبخ، وظل المنضجون اللحم يشوون ويطبخون.

١٧ـ إنه فرس كامل الحسن، رائع الصورة، تكاد العيون تقصر عن كنه حسنه، ومهما نظرت العيون إلى أعالي خلْقه اشتهت النظر إلى أسافله.

١٨ـ ذلك الحصان يُعد للصيد قبل أوانه، فإذا نوى صاحبه الصيد جعله يبيت مُسرجًا ومُلجمًا وصاحبه يراقبه من وقت لآخر.

من مواطن الجمال:

ـ في البيت الثاني عشر: تشبيه حيث شَبَّه المها في بياض ألوانها بالعذارى، وشَبَّه طولَ أذيالها وسبوغ شعرها بالملاء المذيل، وشَبَّه حسن مشيها بحسن تبختر العذارى في مَشْيِهنَّ.

تعليق عام على القصيدة:

هذه الأبيات من معلقة امرئ القيس تُعد من أجود شعره، فقد وصف فيها فرسه وصفًا يدل على اهتمامه به وحرصه عليه، فهو فرسٌ مثال جمع كل خصائص القوة والجمال، وهذا يناسب حياة امرئ القيس الذي كان أميرًا لاهيًا، يعشق اللهو والمتعة، ويستمرئ اللذائذ والشهوات.

❊ ❊ ❊

تدريبات

١ـ بأي الأشياء شَبَّه الشاعر فرسه؟ وأي التشبيهات أجمل؟ وبأي شيء شَبَّه سرب البقر؟ وما قيمة هذا التشبيه؟

٢ـ اشرح البيت الثالث عشر شرحًا أدبيًّا تظهر فيه بلاغة التعبير.

٣ـ بين المشبه، والمشبه به، ووجه الشبه وسرَّ جمال التشبيه في البيت الثامن.

٤ـ في البيت السادس صور الشاعر جواده بصورتين، اذكرهما وبين سرَّ جمالهما.

٥ـ قال الشاعر:

وَقَدْ أغْتَـدِي والطَّـيْرُ............. ⁂ ....

أكمل البيت السابق، واكتب بيتًا بعده، واستخرج منهما الصور الجمالية.

٦ـ قال الشاعر:

مِكَـرٍّ مِفَـرٍّ مُقْبِـلٍ مُدْبِـرٍ مَعـاً ⁂ كَجُلْمُوْدِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ

اشتمل البيت السابق على محسن بديعي، وصورة بيانية، وضح ذلك مُبَيّنًا سرَّ الجمال في كُلٍّ.

٧ـ قال الشاعر:

فَعَـنَّ لَنَـا سِرْبٌ كَأَنَّ نِعَاجَـهُ ⁂ عَـذَارَى دَوَارٍ فِـي مُـلاءٍ مُـذَيَّـل

فَأَدْبَـرْنَ كَالجِـزْعِ المُفَصَّـلِ بَيْنَـهُ ⁂ بِجِيـدٍ مُعَـمٍّ فِي العَشِـيرَةِ مُخْـوَلِ

(أ) اشتمل البيتان السابقان على تشبيهين، بيّنهما، موضحًا ما فيهما من جمال.

(ب) بين معاني الكلمات الآتية: «عذارى، جيد، مخول».

❊ ❊ ❊

٢ـ الفخر لعنترة بن شدَّاد

أهداف الدرس:

بنهاية الدرس يتوقع أن يكون الطالب قادرًا على أنْ:

١ـ يذكر ترجمة لعنترة بن شدَّاد.

٢ـ يعدد الأوصاف التي وصف بها عنترة فرسه.

٣ـ يحدد سمات شخصية الشاعر، وخصائص أسلوبه.

٤ـ يشرح أبيات القصيدة بأسلوبه الخاص.

٥ـ يذكر أثر البيئة في النص.

٦ـ يحفظ الأبيات المقررة من القصيدة.

يقول عنترة بن شداد[١]:

ومُـدَجَّجٍ كَـرِهَ الكُماةُ نِزالَـهُ ** لا مُمْعـنٍ هَـرَبًا ولا مُسْتَسْلِمِ
جَـادَتْ يَدايَ لهُ بِعاجِلِ طَعْنَةٍ ** بِمُثَقَّـفٍ صَدْقِ الكُعُوبِ مُقَـوَّمِ
فَشَكَكْـتُ بِالرُّمحِ الأَصَمِّ ثِيابَهُ ** لَيـسَ الكَريمُ على القَنا بِمُحَرَّمِ
فتَـركْتُهُ جَزرَ السِّبَـاعِ يَنُشْنَهُ ** مَا بَـيْنَ قُلَّـةِ رَأْسِـهِ وَالمِعْصَمِ
لـمَّا رَأيْتُ القَوْمَ أَقْبَلَ جَمْعُهُـمْ ** يَتَـذَامَرُونَ كَرَرْتُ غَيْرَ مُذَمَّمِ
يَدْعُـونَ عَنْتَرَ، والرِّمَاحُ كأَنَّها ** أَشْطَـانُ بِئْـرٍ في لَبَانِ الأَدْهَمِ
ما زِلْـتُ أَرْمِيهِـمْ بِثُغْرَةِ نَحْرِهِ ** وَلَبَـانِهِ حَتَّى تَسَـرْبَلَ بِالـدَّمِ
فَـازْوَرَّ مِنْ وَقْـعِ القَنا، فَزَجَرْتُهُ، ** فشَـكَا إِلَيَّ بِعَبْـرَةٍ، وَتَحَمْحُمِ
لو كانَ يَدْرِي مَا المُحاوَرَةُ اشْتكَى، ** وَلَكانَ لو عَلِـمَ الكَلامَ ـ مُكَلِّمِي
ولقَـدْ شَفَى نَفْسِي، وأَبْرَأَ سُقْمَهَا ** قِيلُ الفَـوارِسِ: " وَيْكَ عَنْتَرَ ! أَقْدِمِ

(١) سبق التعريف بالشاعر عند الحديث عن معلقته، فارجع إليه.

مناسبة النص:

يبدو أن حب عنترة ابنة عمه مالك بن قُراد كان السبب في نظم هذه القصيدة، ففاضت قريحته بها، دلالة على شاعرية سهلة العطاء، وفخرًا ببطولة نادرة، واعتدادًا بشممٍ وطموحٍ وبذلٍ، فتعتز عبلة بحبه، وتقف في وجه المعيِّرين، مرفوعة الرأس، وضّاءةَ الجبين.

معاني المفردات:

"المدجَّج": مَنْ عليه سلاح تام، "الكُماةُ": جمع كميٍّ بزنة (فَعِيل) المقاتل المستعد، "المثقف": الرمح المقوَّم. "الصَدْقِ": الأصمِّ الصُّلْب، "الكُعُوب": العُقَدُ، "جزر السباع": قطع ممزقة تأكلها الوحوش. "يَنُشْنَهُ": ناشه "وانْتَاشَه": تناوله ونهشه، "قُلة الشيء وقمته": أعلاه، "القوم": الأعداء. "يتذامرون": يتحاضون، "أَشْطان": جمع شطن، أي: الحبل. "اللَّبان": الصدر، "الأدهم": الأسود، وهو صفة للجواد. "ثُغْرة النَّحْر": نقرة في أسفل العنق، "تَسَرْبَل": لبس السربال أي الثوب، "ازْورَّ": مال معرضًا. "التَّحَمْحُم": صوت استعطاف من الفرس، "وَيْكَ": وي: اسم فعل للتعجب، أو للزجر، أو بمعنى ويل، والكاف حرف خطاب.

الشرح:

في الأبيات يصف عنترة حادثة معينة من المعارك، انتهت بانتصاره على خصمه وقرنه المدجج بالسلاح، الموصوف لنا في قمة الرجولة والقوة، فهو خصم يهابه مُنازِلُه، يبعث الرعب في قلوب المحاربين الأبطال، ولكن عنترة لم يهبه، ولم يتردد في منازلته، حتى قضى عليه وانتصر، في بسالة وشجاعة وحكمة حربية بارعة، ويرينا عنترة صورة خصمه، مُقَطَّعًا مُمَزَّقًا تتناوله سباع الطير والوحوش، من رأسه إلى كفيه.

ثم يوضح لنا عنترة حاجة الشجعان من قومه إلى نجدته في حلبة القتال، كل واحد يدفع الآخر إلى التقدم، ويحمس بعضهم بعضًا، فلما رأى ذلك المشهد اندفع إلى ساحة القتال من دون دعوة، فقاتل بفرسه الأدهم، يعدو به صاعدًا وهابطًا، ورماح الأعداء تنهال موجهة إلى صدر فرسه، كأنها حبال البئر من كثرتها وتتابعها، وعلى الرغم من ذلك لم يتراجع عنترة، بل ظل يدفع بفرسه نحو أعدائه، حتى اصطبغ بالدم من كثرة الجراح، فراح هذا الفرس يحول وجهه إليه، وفي جوفه صوت يتردد بحمحمة تلفت الانتباه، وتلك شكوى من هذا الفرس لفارسه، الذي تربطه به أوثق العواطف، ولو كان هذا الفرس يعرف سبيلاً لبيان حاله غير هذه السبيل لسلكها، ولو كان يعرف الحديث لتحدث لفارسه، مبينًا عن آلامه بأوضح عبارة.

من مواطن الجمال:

وفي قوله: (فشككت ... ثيابه) في كلمة (ثيابه) مجاز مرسل علاقته المحلية باعتبار أن الثياب محل لابسها، ويجوز أن تكون العلاقة المجاورة باعتبار أن الثياب لاصقة للابسها إذ المراد بالثياب هنا: القلب في جسده.

وفي قوله: (والرماح كأنها أشطان بئر ...) تشبيه تمثيلٍ حيث شَبَّه الرماح المنهالة على فرسه في حركات متضادةٍ، بالحبال المتتابعة من البئر وإليها.

وفي قوله: (تسربل بالدم) استعارة مكنية، حيث شَبَّه الدم المصبوغ به الفرس من كثرة الجراح بالثوب، ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو (تسربل).

وفي قوله: (اشتكى) استعارة مكنية، حيث أسمعنا فرسه شاكيًا جراحه.

وفي قوله: (كره الكماة نزاله) كناية، عن مهابة الخصم له لفرط قوته.

وفي قوله: (كررت غير مذمم) كناية عن تفوقه باقتحام الوغى دون تحريض.

وفي قوله: (أرميهم بثغرة نحره ولبانه) كناية عن قرب عنترة من العدو بدفعه فرسه فيهم.

وفي قوله: (ليس الكريم على القنا بمحرم) تذييل جارٍ مجرى المثل.

التعليق على القصيدة

الأساليب والألفاظ والمعانى:

الجمل جُلها في الأبيات خبرية، وقد خرجت الأخبار عن مقتضى الظاهر إلى الفخر الفردي.

والألفاظ مختارة بعناية فائقة، ومعبرة عن نفس الشاعر، وعن واقع وصف المعركة، وقوية تناسب جو القتال. والتراكيب المؤلفة من تلك الألفاظ منسجمة على أتم صورة بين المعنى والمبنى.

والأسلوب في جملته جاء يحمل طابع الفخامة والجزالة، مع وضوح المعنى. وخلا الأسلوب في الأبيات من أي تعقيد أو تنافر، سواء في اللفظ أو المعنى.

❊ ❊ ❊

تدريبات

١ـ قال الشاعر:

ومُـــدَّجِّجٍ كَــــرِهَ الكُماةُ نِزالَـهُ ** لا مُمْعـــنٍ هَـــرَبًا ولا مُسْتَسْلِـمِ
جَـــادَتْ يَداي لهُ بِعاجِلِ طَعْنةٍ ** بِمُثَقَّـــفٍ صَدْقِ الكُعُوبِ مُقَـوَّمِ
فَشَكَكْـــتُ بِالرُّمْحِ الأَصَمِّ ثِيابَهُ ** ليـــسَ الكَريمُ على القَنا بِمُحَـرَّمِ
فتَـــركْتُهُ جَزرَ السِّبَـــاعِ يَنُشْنَهُ ** مَا بَـيْنَ قُلَّـــةِ رَأْسِـهِ وَالمِعْصَمِ

(أ) ما معنى (المدجح)؟ وما جمع (الرُّمح) وما نوع المجاز في كلمة (ثيابه)؟

(ب) ما نوع الصورة البيانية.. في قوله: «جادت يداي»؟ وما قيمتها الفنية؟

(جـ) استخرج من الأبيات محسنًا بديعيًّا، وبَيِّن أثره في أداء المعنى.

٢ـ قال الشاعر:

لـــمَّا رَأَيْتُ القَوْمَ أَقْبَلَ جَمْعُهُـــمْ ** يَتَـــذَامَرُونَ كَرَرْتُ غَيْرَ مُذَمَّـمِ
يَدْعُـــونَ عَنْتَرَ، والرِّمَاحُ كَأَنَّهَـا ** أَشْطَـــانُ بِئْـــرٍ في لَبَانِ الأَدْهَـمِ
ما زِلْـتُ أَرْمِيهِـــمْ بِثُغْرَةِ نَحْـرِهِ ** ولِبـــانِهِ حَتَّـى تَسَـــرْبَلَ بِالـدَّمِ
فَـازْوَرَّ مِنْ وَقْـــعِ القَنا، فَزَجَرْتُهُ، ** فشَـــكَا إِلَيَّ بِعَبْـــرَةٍ، وَتَحَمْحُـمِ
لو كانَ يَدْرِي مَا المُحاوَرَةُ اشْـتَكَى، ** وَلَـكَانَ - لو عَلِمَ الكَلامَ - مُكَلِّمِـي
ولقَـدْ شَفَى نَفْسِي، وأَبْرَأَ سُقْمَهَـا ** قِيلُ الفَـوارِسِ: "وَيْكَ عَنْتَرَ! أَقْـدِمِ

(أ) (أشطان، سقمها) ما مفرد الأولى، ومضاد الثانية؟

(ب) استخرج من الأبيات: صورة بيانية.

(جـ) بم توحي الكلمات الآتية: (اشتكى، ثغرة نحره، ويك)؟

٣ـ أكمل الإجابة الصحيحة فى ضوء دراستك للنص:

كان عنترة من الشعراء .... واسم حبيبته هو .... وكانت درجة قرابتها له ....

٣ـ عُروة بن الورد يحاور زوجه

أهداف الدرس:

بنهاية الدرس يتوقع أن يكون الطالب قادرًا على أنْ:

١ـ يذكر ترجمة لعروة بن الورد.

٢ـ يعرّف المقصود بالصعاليك، ومنهجهم فى الحياة.

٣ـ يحدد سمات شخصية الشاعر، وخصائص أسلوبه.

٤ـ يشرح أبيات القصيدة بأسلوبه الخاص.

٥ـ يحفظ الأبيات المقررة من القصيدة.

٦ـ يوازن بين محاورة عنترة لعبلة، ومحاورة عروة لزوجه.

التعريف بالشاعر:

اسمه: عروة بن الورد بن عمرو بن زيد.

نسبه: ينتهي إلى قبيلة عبس.

شهرته: عُرف عروة بن الورد بأنه زعيم طائفة تعرف باسم: "الصعاليك"، ومنهم: الشَّنْفَرَى، وتَأَبـَّطَ شرًّا، والسُّليك بن السُّلَكة، وهم صنف من العرب القدماءُ كان لهم منهج خاص فى الحياة؛ فقد كانوا يحترفون الغارات على أماكن الخصبِ ثائرين على الأغنياء والبخلاء، وكانوا يعودون بما يغنمون على الفقراء، والمحتاجين، كما كانوا يمتازون بقدرات بدنية ونفسية عجيبة كالشجاعة، والصبر، والإباء، والبأس، وتحمل المشاق، والعَدْو السريع.

صفاته: كان سخيًّا كريمًا، لا يضيق على الناس بشيء مما يغنم؛ بل يقوم بقسمته كله على الفقراء، والمحتاجين.

وكان يغلب عليه الخلق الإنساني؛ فهو لا يغزو لأجل السلب والنهب كغيره من الصعاليك؛ بل يقوم بذلك؛ ليعود بما يكسبه على مَنْ لا يستطيعون الغزو.

القصيدة

قال عُرْوَةُ بن الوَرْد:

أَقِلِّي عَلَيَّ اللَّوْمَ يَـــا ابْنَةَ مُنْذِرِ ❊❊❊ ونَامِي، فإنْ لم تَشْتَهِي النَّومَ فاسْهَرِي
ذَرِيني ونَفسِي أُمَّ حَسَّـــانَ إنَّني ❊❊❊ بِهَـا قَبلَ ألا أملكَ البيعَ مُشـتَرِي
أحاديثُ تَبْقَى والفتَى غيرُ خالِدٍ ❊❊❊ إذَا هُوَ أمسَـــى هامةً تَحتَ صَيِّرِ
تُجَاوِبُ أحْجَارَ الكِنَاسِ وتَشْتكِي ❊❊❊ إلَى كُلِّ معرُوفٍ تَـــرَاهُ ومُنْكَرِ
ذَرِيني أُطَـــوِّفْ فِي البلادِ لَعَلَّنِي ❊❊❊ أُخَلِّيكِ أو أُغْنِيكِ عَنْ سُوءِ مَحْضَرِ
فإنْ فاز ســـهمٌ للمنيَّةِ لم أكن ❊❊❊ جَزُوعًا وهَلْ عَنْ ذاك من مُتَأَخرِ
وإنْ فازَ سَهْمِي كَفَّكُمْ عَنْ مَقاعدٍ ❊❊❊ لَكُمْ خَلْفَ أدبارِ البيُوتِ ومنظَرِ
تقُولُ: لكَ الويلاتُ هلْ أنتَ تارِكٌ ❊❊❊ ضُبُوءًا بِرَجْلٍ تـــارةً وبِمنسرِ
ومُســـتَثبِتٌ في مالِكَ العامَ إنَّني ❊❊❊ أَرَاكَ عَلَى أقْتَـــادِ صَرْمَاءَ مُذْكِرِ
فَجُوعٍ بهـــا لِلصَّالِحِـــينَ مَزِلَّة ❊❊❊ مَخوفٍ رداهَا أنْ تُصِيبكَ فاحذَرِ
أبَى الخَفْضَ مَنْ يَغْشاكِ مِنْ ذِي قرابَةٍ ❊❊❊ ومِنْ كُلِّ سَوداءِ المعاصِمِ تعتَرِي
ومُســـتهنِئٌ زيدٌ أبُوهُ فَلا أرَى ❊❊❊ لَهُ مَدْفَعًا فاقني حياءَكِ واصبِرِي
لَحَى اللهُ صُعْلُوكًا إذَا جَنَّ ليلُهُ ❊❊❊ مَضَى فِي المَشَاشِ آلفًا كلَّ مَجْزَرِ
يَعُدُّ الغِنَى مِنْ دهـــرِهِ كُلَّ لَيلَةٍ ❊❊❊ أَصـابَ قِراهَا مِـنْ صَدِيقٍ مُيَسَّرِ
قَليلَ التِماسِ المالِ إلّا لِنَفسِـــهِ ❊❊❊ إذَا هوَ أَضحَى كَالعَرِيشِ المُجَوَّرِ
يَنامُ عِشَـــاءً ثُمَّ يُصبِحُ قاعِدًا ❊❊❊ يَحُتُّ الحَصَى عَـــنْ جَنبِهِ المُتَعَفِّرِ
يُعِينُ نســـاءَ الحَيِّ مَا يَسْـــتَعِنَّهُ ❊❊❊ فيُضْحِي طَلِيحًا كالبعيرِ المُحَسَّرِ
ولله صُعلُـوكٌ صَفِيحَـةُ وجهِـهِ ❊❊❊ كَضَوْءِ شِهَابِ القابسِ المُتَنَوِّرِ
مُطِلًّا عَلَى أعْدَائِـــهِ يَزجُرُونَهُ ❊❊❊ بســـاحتِهِمْ زجرَ المنيحِ المُشَهَّرِ
وإنْ بَعُدُوا لا يَأْمَنُـــونَ اقْتِرَابَهُ ❊❊❊ تَشَـــوُّفَ أهلِ الغائِبِ المُتَنَظَّرِ
فذلـــكَ إنْ يَلْقَ المنيّـــةَ يلْقَهَا ❊❊❊ حَمِيدًا، وإنْ يَسْـتَغْنِ يومًا فَأَجْدِرِ

جو القصيدة:

هذه القصيدة تصور منهج الصعاليك في حياتهم، حيث الإغارة من أجل الحصول على المال، ثم تقديمه للمحتاجين، وبذله للضيوف.

منهج القصيدة:

منهج القصيدة يعتمد على الحوار بين عروة وزوجه؛ فنرى عروة مُصرًّا على الاستمرار في ذلك اللون الذي اعتاده في حياته، كما نرى امرأته تحاول جاهدة ردَّه عن ذلك، وكل منهما يجتهد في تقديم أعذاره وحججه للآخر، كي يثنيه عن رأيه، لكنَّ حجة عروة كانت أقوى وأغلب.

تحليل القصيدة:

الأبيات من (١ـ ٧): دعينى أصنع لنفسى ذكرا

أَقِلِّي عَلَيَّ اللوْمَ يَا ابْنَةَ مُنْذِرِ *** ونَامِي،فإنْ لمْ تَشْتَهِي النَّومَ فاسْهَرِي

ذَرِيني ونَفسِي أُمَّ حَسَّانَ إنَّني *** بهَا قَبلَ ألا أملكَ البيعَ مُشتَرِي

أحاديثُ تَبْقَى والفَتَى غيرُ خالِدٍ *** إذَا هُوَ أمسَى هامةً تَحتَ صَيِّرِ

تُجَاوِبُ أحْجارَ الكِنَاسِ وتَشْتكِي *** إلَى كُلِّ معرُوفٍ تَرَاهُ ومُنْكَرِ

ذَرِيني أُطَوِّفْ فِي البلادِ لعلَّني *** أُخَلِّيكِ أو أُغْنِيكِ عَنْ سُوءِ مَحْضَرِ

فإنْ فاز سهمٌ للمنيَّةِ لم أكن *** جَزُوعًا وهَلْ عَنْ ذاك من مُتَأخرِ

وإنْ فازَ سهمي كفَّكُمْ عَنْ مَقاعدٍ *** لَكُمْ خَلْفَ أدبارِ البيُوتِ ومنظَرِ

معاني المفردات:

"ابنة مُنْذر": زوج الشاعر، "أُمَّ حَسَّان": كنيتها، "البيع": المقصود الشراء، "هامة": يقصد الموت، "صيِّر": الصير: القبر، "الكِنَاس": المقصود القبر أيضًا، وأصله بيت الظبي، "أخَلِّيك": أتركك حرة طليقة، "سُوء مَحْضَر": موقف تكونين فيه ذليلة، "فاز سهم للمنية": أدركني الموت في تلك الغارات، "جَزُوعًا": خائفا مُرَوَّعًا، "إن فاز سهمي": نجوت، وعدت لك حيًّا، "كَفَّكُم عَنْ مقاعد": وقاكم القعود في أماكن لا ترضونها.

الشرح:

١ـ يخاطب الشاعر زوجه قائلًا: تمهلي، ودعي هذا اللوم، والعتاب، ولا تأْسَي من كثرة إغاراتي في البلاد، ولا تجعلي هذه الأمور تؤرق مضاجعك؛ بل عليك أن تنامي ملء جفنيك في اطمئنان.

٢ـ ودعيني أصنع لنفسي ذكرًا قبل أن يأتي اليوم الذي لا أستطيع أن أصنع فيه هذا الذكر.

٣، ٤ـ فالإنسان ليس سوى ذكريات يرددها الناس بعد رحيله.

٥، ٦ـ دعيني أجوب البلاد، فلن تخسري من إغاراتي شيئًا؛ فإن أمت فسوف تملكين أمرك، وتختارين من يقوم مقامي.

٧ـ أمَّا إذا عدت لك، وقد أدركت بغيتي؛ فسأغنيك عما يسوء إلى نفسك، ويوقفك مواقف الذل، والهون.

من مواطن الجمال:

ـ في قوله: (أقلي، نامي، اسهري) أفعال أمر، خرجت عن معناها الحقيقي إلى معنى مجازي هو: الرجاء. وفيه محسنان بديعيان هما: الطباق بين (نامي، واسهري)، يبرز المعنى ويؤكده، والجناس بين: (اللوم، والنوم) يضفي جرسًا موسيقيًّا أخاذًا.وبين قوله: (معروف، ومنكر). طباق، يوضح المعنى ويؤكده، وفي قوله: (فإن فاز سهم للمنية) كناية عن موته.

ـ وفي قوله: (فإن فاز سهمي ...)، كناية عن نجاته، وفوزه.

الأبيات من (٨ ـ ١٢): واجبى نحو المحتاجين مُقَدَّم على راحتي

تقُولُ لكَ الويلاتُ هلْ أنتَ تارِكٌ ** ضُبُوءًا بِرَجْلٍ تـارةً وبِمنسِرِ
ومُســتَثبِتٌ في مالِكَ العامَ إنَّني ** أرَاكَ عَلَى أقْتَـادِ صَرْماءَ مُذْكِرِ
فَجُوعٍ بهــا لِلصَّالِحِــينَ مَزِلَّة ** مَخُوفٍ ردَاهَا أنْ تُصِيبَكَ فاحذَرِ
أبَى الخفضَ مَنْ يَغْشاكِ مِنْ ذِي قرابَةٍ ** ومِنْ كُلِّ سوداءِ المعاصِمِ تَعتَرِي
ومُســتهنِئٌ زيدٌ أَبُوهُ فَلا أرَى ** لَهُ مَدْفَعًا فاقني حياءكِ واصبِرِي

معاني المفردات:

"لك الوَيْلاتُ": تقصد أن تحثه على ترك إصراره على الغارات، "ضُبُوءًا": التخفي والاستتار، "رَجْل": يقصد مع أناس راجلين، "مَنسِر": أي مع أناس راكبين خيولهم ينقضُّون على الضحية كما تنقض النسور

على الفريسة، "أَقْتَاد": خشب الرحل الذي يوضع على ظهر البعير، "صرماء": قليلة اللبن، "مُذْكِر": الناقة التي تلد الذكور، "فَجُوع": التي تفجع الناس بكثرة، "الصالحين": خير الناس، "مزلة": أي تزل بأهلها، مأخوذة من الزلل، والمقصود أنها موضع الزلل، "الخَفْض": لين العيش، "من يَغْشَاك": من ينزل عندك ضيفًا، "سوداء المعاصم": المرأة التي اسودت يداها بسبب ممارسة الأعمال الصعبة، "تَعْتَرِي": تأتيك طالبة معروفًا، "ومستهنئ": أي الذي يطلب المعونة، والمساعدة، "زيد أبوه": كل رجل ينتمي إلى زيد، وهو جد الشاعر، "لا أرى له مدفعًا": لا أستطيع أن أقدم له عطاء، ولا عذرًا، "فاقني حياءك": فاحفظي حياءك، واصبري على ما أنت فيه من خوف عليّ.

الشرح:

٨، ٩، ١٠ هذه الأبيات تسأل فيها المرأة زوجها: إلى متى ستبقى على هذا النهج في حياتك؟ وتحثه أن يدع هذا النهج، وأن يهتم بماله؛ لأنها تخشى عليه نتيجة ما هو فيه؛ فالأخطار محيطة به من كل جانب.

١١، ١٢ يرد عليها في هذين البيتين فيقول: أُسلِّم لك بأن في وجودي بجوارك السلامة، والبعد عن المخاطر، والاستمتاع بالحياة؛ ولكن ما حيلتي وهناك ما يمنعني من الإقلاع عن إيثار هذا النهج الذي التزمته في حياتي؛ فالمحتاجون والمعوزون كثيرو الطَّرْق لبابنا طلبًا لمساعدتهم، وإعانتهم؛ فما صنيعي إذا طرقوا بابنا، وليس عندي ما أقدمه لهم؟ فلا بد أن أقوم بما يحقق هذا الواجب الذي التزمت به، ولا بد أن تصبري على فراقي إياك، وأن تحفظي حياءك، وتطمئني.

من مواطن الجمال:

في قوله: (رجل، ومنسر)، طباق، يوضح المعنى ويؤكده. وفي قوله: (تارك، وتارة) : جناس، يضفي وقْعاً موسيقيًّا على الأبيات ترتاح له الأذن وتطرب به النفس. وفي قوله: (صرماء، فجوع، مزلة، مخوف رداها)، كناية، وهي صفات للناقة المتخيلة، وهي كناية عن ركوب الشاعر أشد أنواع الخطر، وفي قوله: (سوداء المعاصم) كناية عن المرأة التي تزاول الأعمال الخشنة، وفي قوله: (هل أنت تارك ...؟ ومستثبت في مالك العام) الاستفهام خرج عن معناه الحقيقي، وهو طلب الفهم إلى معنى مجازي، وهو التمني والرجاء.

الأبيات من (١٣ـ ١٧): عزة النفس تأبى المذلة والمهانة

لحى اللهُ صُعْلُـــوكًا إذا جَنَّ ليلُهُ ** مضى في المَشَاش آلفًا كلَّ مَجْزَرِ

يَعُدُّ الغِنَى مِنْ دهـــرِهِ كُلَّ لَيلَةٍ ** أَصـابَ قِراهَا مِـنْ صَدِيقٍ مُيَسَّرِ

قَليلَ التِماسِ المالِ إلّا لِنَفسِـــهِ ** إذا هوَ أضحَى كَالعَريشِ المُجَوَّرِ
يَنامُ عِشـــاءً ثُمَّ يُصبِحُ قاعِدًا ** يَحُتُّ الحَصَى عَـــنْ جَنبِهِ المُتَعَفِّرِ
يُعِينُ نسـاءَ الحَيِّ مَا يَسْـتَعِنَّهُ ** فيُضْحي طليحًا كالبعيرِ المُحَسَّرِ

معاني المفردات:

"لحى الله صُعْلوكًا": قبحه الله ولعنه، "إذا جَنَّ ليلُه": إذ أتى ليله، "المشَاش": رؤوس العظام التي يسهل مضغها ومصها، "مَجْزَرِ": مكان نحر الإبل، "القِرى": ما يقدم للضيف من الطعام، "العريش المجوَّر": الخيمة الساقطة المتهدمة، "طليحًا": أصابه الإعياء والتعب، "المحسَّر": التعب الشديد.

الشرح:

يقول الشاعر: إن من الصعاليك من يتصف بسقوط همته، وخلوه من المروءة، ويعيش عالة على الناس، ومن هؤلاء ذلك الذي يتتبع فضلات الطعام في كل مكان؛ ليأكل ما تبقى من الناس، ومثل هذا لا يريد أن يتعب نفسه ليحصل على لقمته بعزة نفس وإباء وكرامة، إنه يؤثر أن يبقى في خدمة النساء؛ فهو يتعب حقًّا؛ ولكنه تعب في أمر لا يتناسب مع كل رجل أبيّ النفس عزيزها.

من مواطن الجمال:

في قوله: (إذا هو أضحى كالعريش المجور) تشبيه حيث شَبَّه الصعلوك الخامل بالخيمة المتهدمة الساقطة، ووجه الشبه: عدم الفائدة في كل، فكما أن الخيمة المتهدمة لا فائدة منها، كذلك هذا الصعلوك لا خير منه يرجى.

وفي قوله:(يحت الحصى عن جنبه المتعفر) كناية عن كثرة نومه، وخموله الشديد، وهي كناية عن صفة، وسِرُّ جمالها؛ أنها تؤدي المعنى مصحوبًا بالدليل فى إيجاز وتجسيم وهو (حت الحصا الملاصق لجنبه، والناتج عن كثرة نومه).

وفي قوله: (يضحي طليحًا كالبعير المحسر) تشبيه حيث شَبَّه الصعلوك الذي أصابه الإعياء، والتعب من كثرة خدمة النساء بالبعير المجهد المتعب، ووجه الشبه: قلة الحركة، والشعور بالآلام في كلٍّ.

الأبيات من (١٨ـ ٢١): الشجاعة ترفع صاحبها فى الدنيا وبعد الموت

وللهِ صُعلُــوكٌ صفيحَةُ وجهِهِ *** كَضَوْءِ شِهَابِ القابِسِ المُتَنَوِّرِ
مُطِلا عَلَى أعْدَائِــهِ يَزجُرُونَهُ *** بســاحتِهِمْ زجرَ المنيحِ المُشَهَّرِ
وإنْ بَعُدُوا لا يَأْمَنُــونَ اقْتِرَابَهُ *** تَشَــوُّفَ أهلِ الغائِبِ المُتَنَظَّرِ
فذلــكَ إنْ يَلْقَ المنيّــةَ يلْقَها *** حَميدًا، وإنْ يَسْتَغْنِ يومًا فَأَجْدِرِ

معاني المفردات:

"ولله صعلوك": تعبير دعائي، الغرض منه إظهار الإعجاب من هذا الصعلوك المثالي، "صفيحة وجهه": بشرة وجهه، "الشهاب": الشعلة الساطعة، "القابس": من يقوم بإشعال الشعلة، "المتنور": المنير المضيء، "مطلًا على أعدائه": مغيرًا عليهم غازيًا لهم، "يزجرونه": يصيحون به طاردين إياه، "المنيح": نوع من قداح الميسر، "تشوف": ترقب وانتظار، "المتنظر": الذي يُنتظر حضوره، "حميدًا": محمودًا (فعيلًا بمعنى مفعول).

الشرح:

١٨ـ يبدي الشاعر إعجابه بهذا الصعلوك الذي يراه مثاليًّا؛ حيث يرى على وجهه علامات القوة إلى حد أنها تكاد تضيء تحت بشرته.

١٩ـ وهو مقاتل وليس كالصعلوك الذي عرفناه في الأبيات السابقة؛ فهو هنا قوي تخشى جانبه الأعداء، وهم في رعب دائم من اقترابه من حماهم.

٢٠ـ وهذا الرعب ملازم لهم لا يغادرهم حتى وهو بعيد عنهم؛ ولذلك هم دائما في حذر منه، وانطلاقا من هذا يراقبون حدودهم مراقبة مستمرة، وهم على تلك الحال من الخوف والحذر.

٢١ـ هذا الصعلوك شأنه أن يحمد في حياته وبعد مماته؛ فإذا مات كان محمودًا بذكراه الطيبة، وإذا بقي حيًّا، وأصاب المال واليسر كان جديرًا بما أصاب وحقق؛ لأنه لم يتوان؛ بل قدم ما قدم من عمل جاد حقق له ما أراد.

من مواطن الجمال:

في الأبيات ثلاثة تشبيهات:

الأول: تشبيهه بشرة وجه الصعلوك بضوء الشهاب، وذلك من دلائل بهائه وجماله.**والثاني:** تشبيه صوت زجرهم له بصوت قدح الميسر.

والثالث: تشبيه ترقبهم له بترقب أهل الغائب الذين ينتظرون عودته، وكلاهما يدل على شدة التَّرقُّب.

وفي قوله: **(يزجرونه زجر)** جناس، وفائدته إضفاء جرس موسيقي ترتاح له الأذن، وتأنس به النفس.

وبين قوله: **(بعدوا، واقترابه)** طباق،يوضح المعنى ويؤكده.

تعليق عام على القصيدة:

ـ تمثِّل هذه القصيدة منهج طائفة الصعاليك في صوغ شعرهم، فالشاعر يعبر عن ذاته وحياته أصدق تعبير وأوفاه.

ـ تقوم القصيدة على الحوار بين الشاعر وزوجه، مما جعل أبياتها مترابطة متماسكة، بما يعني أن الوحدة العضوية تحققت فيها تحققًا رائعًا في الموضوع، والأفكار، والمعاني الجزئية.

ـ امتازت القصيدة بطرافة التجربة، وقوة العاطفة، وجزالة الألفاظ وقوتها، ورصانة التراكيب، وروعة التصوير.

❊ ❊ ❊

تدريبات

١ـ قال الشاعر:

تقُولُ لكَ الويلاتُ هلْ أنتَ تارِكٌ ** ضُبُوءًا بِرَجْلٍ تـــارة ً وبِمنسرِ
ومُســـتَثبِتٌ في مالِكَ العامَ إنَّني ** أرَاكَ عَلَى أقْتَـــادِ صَرْماءَ مُذْكِرِ
فَجُوعٍ بهـــا لِلصَّالِحِـــينَ مَزِلَّة ** مَخوفٍ ردَاهَا أنْ تصيبكَ فاحذَرِ

(أ) (ضبوءًا ـ صرماء ـ رجل) ما مرادف الكلمة الأولى، وجمع الثانية، ومضاد الثالثة؟

(ب) استخرج من الأبيات محسنًا بديعيًّا وبين أثره فى المعنى.

(جـ) بم توحي كلمة: «الويلات»؟

(د) ما الفكرة التي تدور حولها الأبيات السابقة؟

(هـ) انثر الأبيات السابقة بأسلوب أدبي.

٢ـ قال الشاعر:

لَحَى اللهُ صُعْلُوكًا إذَا جَنَّ ليلُهُ ** مَضَى فِي المَشَاشِ آلفًا كلَّ مَجْزَرِ
يَعُدُّ الغِنَى مِنْ دهــــرِهِ كُلَّ لَيلَةٍ ** أَصــابَ قِراهَا مِـنْ صَدِيقٍ مُيَسَّرِ
قَليلَ التِماسِ المالِ إلّا لِنفسِـــهِ ** إِذَا هوَ أضحَى كَالعَرِيشِ المُجَوَّرِ

(أ)ما معنى كلمة"المَشَاشِ"؟ وما مضاد " المُحَسَّرَ"؟

(ب) ما الصور البيانية فى البيت الثانى؟

(جـ) انثر الأبيات نثرًا أدبيًّا.

٣- عروة بن الورد من الشعراء الصعاليك. وضح أهم خصائص شعرهم.

٤ - تحدث عن المنهج العام لهذه القصيدة.

***

٤ـ من خطب قُسٍّ بن ساعدة

أهداف الدرس:

بنهاية الدرس يتوقع أن يكون الطالب قادرًا على أنْ:

١ـ يذكر ترجمة قُسٍّ بن ساعدة.
٢ـ يوضح مناسبة الخطبة.
٣ـ يحدد سمات شخصية الخطيب، وخصائص أسلوبه.
٤ـ يشرح الخطبة بأسلوبه الخاص.
٥ـ يحفظ الفقرات المقررة من الخطبة.
٦ـ يبين أثر البيئة فى أسلوب الخطيب.

التعريف بالخطيب:

قُسُّ بن ساعدة الإيادي ينتمي إلى قبيلة إياد بنجران، خطيب العرب، وحكيمهم، ضرب به المثل في البلاغة، والموعظة الحسنة؛ يقال: «أبلغ من قُسٍّ» وكان يؤمن بالتوحيد، إذ كانت له نظرات صائبة في الكون، استدل بها على وجود الله، وكان يدعو العرب إلى ذلك. وهو أول من قال في خطبته أما بعد، وأول من اتكأ على السيف وهو يخطب في سوق عكاظ، وقد سمعه الرسول ﷺ وهو يخطب في سوق عكاظ، فأثنى عليه. وكان من المُعمَّرين.

مناسبة الخطبة:

كان العرب يجتمعون في سوق عكاظ، وهي سوق أدبية ينشدون فيها الأشعار، ويلقون الخطب، ثم يتناولون ذلك بالتعقيب والنقد، وتفخر كل قبيلة بشاعرها أو خطيبها. ومن الخطب التي قالها قس بن ساعدة هذه الخطبة التي يدعو فيها قومه للتفكر في الكون والحياة، ويذكرهم بالخالق ـ عز وجل ـ ويعلمهم أن مصير الخلق الفناء.

الخُطْبَة:

أيها الناس، اسمعوا وعوا، إنه من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آتٍ آتٍ، ليلٌ داجٍ، ونهارٌ ساجٍ، وسماءُ ذات أبراجٍ، ونجومٌ تزهر، وبحارٌ تزخر.

إن في السماء لخبرًا، وإن في الأرض لعبرًا. ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون؟ أرضوا بالمقام فأقاموا أم تركوا هناك فناموا؟! يا معشر إياد: أين الآباء والأجداد؟ وأين الفراعنة الشداد؟ ألم يكونوا أكثر منكم مالًا، وأطول آجالًا...؟ طحنهم الدهر بكلكله، ومزقهم بتطاوله.

معاني المفردات:

"وعوا": افهموا جيدًا؛ حتى تدركوا الحقيقة، هو فعل معتل الأول والآخر، ماضيه وعى، ومضارعه يعي، "والأمر: عِ": على وزن: عِ، بحذف فاء الكلمة ولامها، داج: مظلم، "ساج": يذهب ويجيء، "أبراج": حزام دائري، توهمه القدماء في السماء، وقسموه اثني عشر برجًا (الثور، الأسد، السرطان، الجوزاء، العذراء، الحمل، العقرب، القوس، الميزان، الحوت، الدلو، الجدي) "تزهر": تتلألأ وتشرق، "تزخر": تمتلئ وتفيض، "عبرًا": مواعظ، "بال": حال وشأن، "يذهبون": المراد: يموتون ويرحلون، "المقام": الإقامة، "الفراعنة": مفرده: فرعون وهو كل عاتٍ متكبر جبَّار، معشر: جماعة أو قبيلة، "إياد": هي قبيلة قس بن ساعدة، "الشداد": الأقوياء، "آجالًا": أعمارًا، "طحنهم": أهلكهم وأماتهم وحطمهم وقضى عليهم، "الدهر": الزمن، "كلكله": صدره، "تطاوله": طوله "مزقهم": فرقهم.

الشرح:

ينبه الخطيب الناس جميعًا، ويحثهم على الإنصات لقوله وسماعه وفهمه فهمًا جيدًا. أيها الناس اسمعوا وعوا: كل حي مصيره الموت، وحكمة الحياة مقترنة بكلمة الموت، وكل من مات مضى وانتهى، فالموت قادم لا محالة، ولا راد له، ومن لم يمت اليوم فسيموت غدًا. ويتأمل مظاهر الكون والحياة، فياله من ليل مظلم يتعاقب مع النهار، لا يستقر على حال، فهو في ذهاب وإياب، وفوقكم السماء وما بها من أبراج متعددة، ونجوم تتلألأ، وبحار مُسخرة، فاضت مياهها! فمن أبدع ذلك؟ ! إن علو السماء وكل ما حوته من أبراج لدليل قاطع على قدرة الخالق وعظمته، وإنَّ الأرض وما على سطحها من ظواهر لآية وعبرة، فمن بسطها، وأجرى أنهارها وملأ بحارها؟. إن الذين يرحلون عن الدنيا لا يعودون إليها مرة أخرى!! فهل أعجبتهم الحياة والإقامة ففضلوا البقاء هناك، أم أنهم تركوا وأصبحوا في طي النسيان

فظلوا نائمين؟! ويسأل قس... ما مصير مَنْ سبقونا من آباء وأجداد، ومن فراعنة شداد؟ لقد كانوا أكثر منكم قوة ومالا، وأطول أعمارًا..لقد أهلكهم الدهر ومزقت شملهم الأيام وحطمهم الزمن بشدة طوله وقوته.

من مواطن الجمال:

في قوله: «أيها الناس»: إنشاء، نوعه نداء، غرضه التنبيه، وحذفت الأداة: (يا) دلالةً على قربهم منه وفي «اسمعوا وعوا»: إنشاء، نوعه أمر، غرضه النصح والإرشاد.وفي قوله: «إنه من عاش مات»: أسلوب خبري مؤكد بإنَّ، غرضه التقرير، يؤكد أن الموت مصير كل حي. وفي قوله: "ومن مات فات، وكل ما هو آت آت:" حكمة بليغة صادقة. وفي قوله: «اسمعوا وعوا»: عطف الثاني على الأول؛ لأنه مرتب عليه، فالإنسان يسمع، ثم يفهم، ولا قيمة للسمع بدون فهم.

وبين قوله: (عاش مات): طباق، وبين (مات، فات): جناس غير تام، وبين قوله: (مات، فات، آت): سجع.

وبين قوله: (ليل داج، ونهار ساج): ازدواج، وبين قوله: (ليل، نهار): طباق، وبين قوله: (داج، ساج):جناس غير تام، وبين قوله: (داج، ساج، أبراج): سجع.

وبين قوله: (نجوم تزهر، وبحار تزخر): ازدواج وسجع، وبين قوله: (تزهر، تزخر): جناس غير تام، في قوله: «ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون؟»: إنشاء، نوعه استفهام، غرضه التعجب.وفي قوله: «أرضوا بالمقام فأقاموا؟! أم تركوا هناك فناموا؟!»: إنشاء، نوعه استفهام، غرضه الحيرة والقلق. وفي قوله: «يا معشر إياد»: إنشاء، نوعه نداء، غرضه التنبيه والإثارة. وفي قوله: «أين الأباء والأجداد؟ وأين الفراعنة الشداد؟» إنشاء، نوعه استفهام، غرضه التنبيه والتشويق،وفي قوله: «ألم يكونوا أكثر منكم مالا، وأطول آجالا»: إنشاء، نوعه استفهام، غرضه التقرير.وفي قوله: «ألم يكونوا أكثر منكم مالا»: قصر طريقه تقديم، الجار والمجرور (منكم) يفيد التخصيص،وفي قوله: «خبرًا، عبرًا»: جناس غير تام، وسجع. وبين قوله: (السماء والأرض): طباق،وفي قوله: «فأقاموا، فناموا»: سجع،وقوله: (تُركوا): مبني للمجهول، يفيد القهر، وفقد الإرادة.

وفي قوله: «إياد، الأجداد، الشداد»: سجع، وفي قوله: «الأجداد، الشداد»: جناس غير تام.وفي قوله: «مالًا، آجالًا»:وقوله: (طحنهم الدهر بكلكله، ومزقهم بتطاوله): سجع.وفيه: استعارة مكنية، حيث

شَبَّه الدهرَ في طوله وقوته بـجمل ضخم له كلكل يطحن، وشَبَّه الناسَ بـالحبوب التى تطحن. وسرُّ جمالها التجسيم والتوضيح. وفي قوله: «مزقهم بتطاوله»: استعارة مكنية، حيث شَبَّه الدهرَ بوحش، أو جمل شتت الجماعات جيلًا بعد جيل، وشبه الناس بثياب ممزقة، وسرُّ جمالها التوضيح.

التعليق العام:

الأسلوب: تراوح بين الخبر والإنشاء، لتقرير الحقائق، وتأكيدها، وجذب انتباه السامعين وامتازت الخطبة بقصر الجمل، والتأثير العاطفي.

الألفاظ: سهلة واضحة، لا غموض فيها.

المحسنات: جاءت طبعية، غير متكلفة؛ لتوضيح المعنى وتقويته.

الصور: جاءت قليلة؛ لاعتماد الخطيب على إقناع مستمعيه بذكر الحقائق والأدلة، ومخاطبة العقل.

الموسيقى: ظاهرة في السجع والجناس والطباق، ولها أثر موسيقي ممتع ومقنع.

شخصية الخطيب:

اتسمت شخصيته بعدَّة خصائص، منها: رجاحة العقل، وسداد الرأي، وامتلاك ناصية الفصاحة والبلاغة. واطِّلاعه على الأديان السماوية من يهودية و مسيحية. واهتداؤه بفطرته الثاقبة، وعقله الذكي إلى وجود الله، ووحدانيته، وعظيم قدرته. وكان حكيمًا متأمِّلًا في الوجود، مُحبًّا لقومه، ناصحًا، أمينًا لهم.

ملامح البيئة:

- إقامة الأسواق الأدبية، حيث يعرض الأدباء أحسن ما لديهم من نتاج أدبي.
- معرفة العرب بعلم الفلك والأبراج السماوية.
- بعضهم كان يؤمن بالله، وبوحدانيته، وعظيم قدرته.

* * *

تدريبات

١ـ «أيها الناس، اسمعوا وعوا، إنه من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آتٍ آتٍ. ليل داج، ونهار ساج، وسماء ذات أبراج، ونجوم تزهر، وبحار تزخر».

(أ) اختر الإجابة الصحيحة من بين الأقواس:

ـ قُسُّ بن ساعدة من: (الطائف ـ نجران ـ مكة)

ـ ضُرِب المثلُ بقُسِّ بن ساعدة في: (الشجاعة ـ الكرم ـ البلاغة)

ـ (اسمعوا وعوا)تفيد: (الاهتمام ـ الإصغاء والتفكير ـ الحرص ـ العناية)

ـ أيها الناس نداء غرضه: (التعظيم ـ التحقير ـ التنبيه ـ الحسرة)

ـ (عاش، مات) محسن بديعي نوعه: (طباق ـ سجع ـ جناس)

ـ (من عاش مات، ومن مات فات): بين الجملتين (طباق ـ مقابلة ـ سجع)

(ب) وضح الفكرة الرئيسة للفقرة السابقة، مفصلًا لما تقول.

(جـ) إلام يدعو (قُسُّ) قومه في الخطبة؟

(د) لم استهل الخطيب خطبته بقوله: أيها الناس؟ ولم أعقب ذلك بقوله: اسمعوا وعوا؟

(هـ) انثر الفقرة بأسلوبك، مبينًا أهم ما ورد بها من أفكار.

(و) تكشف الفقرة السابقة عن حقيقة ثابتة. فما هي؟

(ز) مظاهر الكون تدل على وجود الخالق: اشرح فكرة الخطيب، وبين كيف استدل عليها؟

(ح) ماذا طلب قُسُّ بن ساعدة الإيادي من الناس؟

(ط) استخرج من هذه الفقرة لونًا بديعيًّا، وبين نوعه وأثره.

(ي) استخرج من الفقرة أسلوبًا إنشائيًّا، وبين نوعه وغرضه.

(ك) هل ترى ضرورة لكلمة عُوا بعد اسمعوا؟ علل.

(ل) ما الغرض من النداء في (أيها الناس)؟ والأمر في (اسمعوا وعوا)؟

(م) أيهما أجمل (ليل داج) أم (ليل مظلم) ولماذا؟

٢ـ «إن في السماء لخبرًا، وإن في الأرض لعبرًا. ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون أرضوا بالمقام فأقاموا أم تركوا هناك فناموا»؟.

(أ) ما الخبر الذي في السماء؟ وما العبر التي في الأرض؟

(ب) انثر الفقرة بأسلوبك، مبينًا أهم ما ورد بها من أفكار.

(جـ) استخرج أسلوبًا مؤكدًا، بأكثر من وسيلة.

٣ـ «يا معشر إياد: أين الآباء والأجداد؟ وأين الفراعنة الشداد؟ ألم يكونوا أكثر منكم مالا، وأطوال آجالاً...؟ طحنهم الدهر بكلكله، ومزقهم بتطاوله».

(أ) ما الفكرة التي تضمنتها الفقرة؟ وما دلالتها على شخصية قائلها؟

(ب) انثر الفقرة بأسلوبك، مبينا أهم ما ورد بها من أفكار.

(جـ) يكشف النص عن ملامح شخصية الخطيب. اذكر بعض هذه الملامح

(د) ماذا يفيد النداء فى قوله: (يا معشر إياد)؟ والاستفهام فى قوله: (ألم يكونوا أكثر منكم مالا)؟

(هـ) في الخطبة صور منتزعة من البيئة. وضِّحها، وبيِّن قيمتها الفنية.

(و) استخرج منها صورًا بلاغية، موضحًا سرَّ جمالها.

❊ ❊ ❊

٥ـ ذو الإِصبعِ العَدْوَاني يُوصِي ابْنَهُ

أهداف الدرس:

بنهاية الدرس يتوقع أن يكون الطالب قادرًا على أنْ:

١ـ يوضح مناسبة الوصية.

٢ـ يحدد سمات شخصية الأديب، وخصائص أسلوبه.

٣ـ يشرح الوصية بأسلوبه الخاص.

٤ـ يحفظ الفقرات المقررة من الوصية.

٥ـ يكشف عن مواطن الجمال فى الوصية.

التعريف بالموصي:

هو: حُرثان بن محرِّث العَدْوَاني: نسبه إلى (عَدْوَان) المضريَّة، ناثرٌ وشاعرٌ من العصر الجاهلي، وسُمِّي ذا الإصبعِ لأنَّه كانت برجله إصبع زائدة، وقيل: إنَّ سبب التسمية أنَّ حيَّةً نهشت إبهام رجله فقطعها، وقد عُمِّر طويلاً، واشتهر بالفروسية والحِكَمِ.

مناسبة الوصية:

لما تقدَّمت سِنُّ ذي الإصبع، وأحَسَّ قرب أجله، أخَذ يُوصي ابنه أُسيدًا بطائفةٍ من الوصايا النافعة، المستخلصة من تجاربه في الحياة، لعل ابنه ينتفع بها في مستقبل حياته، ويتهيأ بها للسيادة والشرف.

الوصية: يقول ذو الإصبع: (يا بُنَيَّ إنَّ أبَاكَ قَدْ فَنِيَ وَهُوَ حَيٌّ، وَعَاشَ حَتَّى سَئِمَ العَيْشَ، وإنني مُوصِيكَ بِمَا إنْ حَفِظْتَهُ بَلَغْتَ فِي قَوْمِكَ مَا بَلَغْتُهُ، فاحْفَظْ عَنِّي: أَلِنْ جَانِبَكَ لِقَوْمِكَ يُحِبُّوكَ، وَتَواضَعْ لَهُمْ يَرْفَعُوكَ، وابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ يُطِيعُوكَ، وَلا تَسْتَأْثِرْ عَلَيْهِمْ بِشَيءٍ يُسَوِّدُوكَ، وأَكْرِمْ صِغَارَهُمْ كَمَا تُكْرِمُ كِبَارَهُمْ، يُكْرِمْكَ كِبَارُهُم، ويَكبُرْ عَلَى مَوَدَّتِكَ صِغَارُهُمْ، واسْمَحْ بِمَالِكَ، واحْمِ حَرِيمَكَ، وأعزِزْ جَارَكَ، وأَعِنْ مَنْ اسْتَعَانَ بِكَ، وَأَكْرِمْ ضَيْفَكَ، وأَسْرِع النَّهضَةَ فِي الصَّرِيخِ، فإنَّ لَكَ أَجَلًا لا يَعْدُوكَ، وَصُنْ وَجْهَكَ عَنْ مَسْأَلَةِ أَحَدٍ شَيْئًا، فَبِذَلِكَ يَتِمُّ سُؤْدَدُكَ.)

معاني المفردات:

"فني": المقصود أنه كبرت سنه، سئم: مل، "العيش": الحياة، "حفظته": علمته، وعملت به، "ألن جانبك": كن متواضعًا، "ابسط وجهك": كن باشًّا في لقائك، "تستأثر": تخص، "يسودوك": يجعلونك سيدًا عليهم، "اسمح بمالك": كن سخيًّا جوادًا، "الحريم": كل ما يلزم الإنسان الدفاع عنه من أهل ومال ووطن، "أعزز": انصر، "النهضة": الاستعداد والقيام، "الصريخ": المستغيث، "أجلًا": وقتًا محددًا للموت، "لا يعدوك": لا يتجاوزك، "صن": احفظ، "مسألة": سؤال، "سؤددك": شرفك ومجدك.

أفكار الوصية:

١ـ استهل ذو الإصبع كلامه باستمالة ابنه إلى تلقي الوصية بالرضا والقبول الحسن.

٢ـ الأب يقبل على الموت، وتوشك زعامة القبيلة أن تنتقل إلى ابنه، الذي يرجوه أن ينتفع بوصيته في مستقبل حياته؛ ليحافظ على زعامة قومه، وسيادته فيهم.

٣ـ نصح الأب ابنه بما يأتي:

أ ـ أن يعامل قومه باللين، وأن يترفق بهم ليحبوه.

ب ـ أن يلقاهم بوجه طلق وصدر منشرح، وأن يتواضع لهم ليرفعوه ويطيعوه.

جـ ـ تحذيره من الأنانية واختصاص نفسه بشيء دون قومه، وامتثال ذلك طريق للسيادة والزعامة.

د ـ أن يكرم صغار قومه كما يكرم كبارهم، وذلك مدعاة لأن يكرمه الكبار، وينشأ على محبته الصغار.

هـ ـ أن يتحلى بالكرم؛ فالبخيل لا يسود قومه، ولا مكان له بينهم، وأن يذود عن الحمى، وإعزاز الجار، ونصرة الضعيف، وأن يسرع في إنقاذ المستجير.

٤ـ الجبن لا يطيل العمر، كما أن الشجاعة لا تسرع بالموت.

٥ـ من صفات السيد الشريف:

البذل والسخاء،وأن يكون عزيزًا يحمي جاره ويرعى حقوقه،وأن يخف للنجدة،وأن يصون وجهه عن ذُل السؤال.

ما يستفاد من هذه الوصية:

١ـ طول العمر يكسب الخبرة النافعة.

٢ـ الرفق بالناس يحقق الحب بينهم.

٣ـ التواضع من أسباب رفعة الإنسان.

٤ـ البشاشة عند اللقاء تدعو إلى الطاعة والمحبة.

٥ـ الإيثار طريق السيادة والمجد.

٦ـ إكرام الصغار والعطف عليهم يجعلهم يكبرون على حب الكبار واحترامهم.

من مواطن الجمال:

١ ـ تحتوي الوصية على بعض الكلمات الموحية مثل:

(بُني): توحي بالمحبة الداعية للحرص على الخير من الأب، وصغر الابن وحاجته للنصيحة، و(أباك): لفظ يشير إلى الرابطة التي تدعو إلى النصيحة ولزوم تمسك الابن بها، و(ألن): توحي بالرفق، و(ابسط): توحي بالبشاشة، و(تستأثر): توحي بالأنانية. (شيء): توحي بالتقليل.

٢ـ تشتمل الوصية على بعض الصور البيانية في قوله:(إن أباك قد فَنِـي وهو حي، وعاش حتى سئم العيش) كناية عن طول العمر، وشدة الضعف. وفي قوله: (ألن جانبك): كناية عن حسن المعاملة. وفي قوله: (ابسط لهم وجهك): كناية عن حسن اللقاء، وَسِرُّ جمالها أنها تأتي بالمعنى مصحوبًا بالدليل.وفي قوله: (أكرم صغارهم كما تكرم كبارهم): تشبيه مجمل.

٣ـ وفي الوصية بعض المحسنات البديعية، التى جاءت مطبوعة غير متكلفة، منها الطباق بين قوله: (فَنِـيَ، حي)، وبين قوله: (تواضع، يرفعوك)، وبين قوله: (صغارهم، كبارهم) يوضح المعنى.

٤ـ تنوعت الأساليب في الوصية بين الخبرية والإنشائية: فقوله: (إن أباك...): أسلوب خبري، غرضه إظهار الضعف وقرب انتهاء الأجل، وهو مؤكد بـ (إنَّ وقد)، وقوله: (ألن جانبك، تواضع لهم، ابسط): أساليب إنشائية، نوعها: أمرٌ، غرضها: النصح والإرشاد، وقوله: (لا تستأثر): إنشاء، نوعه: نهي، غرضه: التحذير، وقوله:(أكرم ... اسمح ... احم ... اعزز ... أعن ... صن ...): أساليب إنشائية، نوعها: أمرٌ، غرضها: النصح والتوجيه.

تعليق:

١ـ الوصية: نصائح يسديها أصحاب الخبرة والتجارب في الحياة إلى من هم أصغر منهم سنًّا، وغالبًا ما تكون من الآباء والأمهات إلى أبنائهم وبناتهم.

٢ـ وفق ذو الإصبع حين مَهَّد لكلامهِ بما يثير في نفس ابنه الاهتمام، ويدفعه إلى الاستجابة لما يسمع.

٣ـ قَلَّ الخيالُ في هذا النص؛ لأنه وصية تعتمد على نقل الخبرة المبنية على الحقائق، ولم يخل من بعض الصور البلاغية التي وضحت المعاني وحسنتها.

الخصائص الفنية لأسلوب المُوصِي:

١ـ نوَّع الحكيم الموصي بين الأسلوبين: الخبري والإنشائي.

٢ـ استعمل بعض الصور البيانية والمحسنات البديعية للتوضيح.

٣ـ أفكاره واضحة، وألفاظه معبرة.

٤ـ مال إلى الإقناع وحسن التعليل.

٥ـ استخدم الجمل القصيرة، والإيجاز، والدقة في التعبير.

شخصية ذي الأصبُع من خلال وصيته:

١ـ زعيم قوم يتحلى بعلامات السيادة والرئاسة.

٢ـ يحب ابنه، ويحرص على مستقبله.

٣ـ رجل اجتماعي يعرف كيفية التعامل بين الناس.

٤ـ زعيم محبوب عند عشيرته وأهله، تفكيره يدل على قوة شخصيته، ورجاحة عقله.

❊ ❊ ❊

تدريبات

١ـ لماذا بدأ الأب وصيته بالنداء؟

٢ـ لماذا تُعدُّ هذه الوصيَّة من الأدب الخالد؟

٣ـ من أي فنون النثر هذا النص؟ وما خصائصه الفنية؟

٤ـ هل لك أن تصور شخصية ذي الإصبع، من خلال وَصَيَّته؟

٥ـ (يتم سؤددك ـ يتحقق سؤددك) أي التعبيرين أدق؟ ولماذا؟.

٦ـ استخرج من الوصيَّـة ثلاث صور بيانية مختلفة، وبين أثرها، وقيمتها.

٧ـ لم بنى الموصي أسلوبه على أسلوب الشرط؟

٨ـ ما العلاقة بين (يحبوك) و (ألن)؟

٩ـ كيف يتم السؤدد والشرف من وجهة نظر الموصي؟

١٠ـاختر الإجابة الصحيحة من بين الأقواس:

ـ «فَني»، معناها: ....

(هلك ـ كبر سنه ـ مات).

ـ «موصيك» اسم مشتق نوعه ....

(اسم فاعل ـ اسم مفعول ـ صيغة مبالغة).

ـ «ألن» مفردة توحي بـ ....

(الغلظة ـ السهولة ـ الرفق).

ـ «تستأثر» توحي بـ ....

(الطمع ـ الأنانية ـ الحب).

***

الوحدة الثانية
عصر صدر الإسلام

أهداف الوحدة الثانية

بعد الانتهاء من هذه الوحدة ينبغي أن يكون الطالب قادرًا على أنْ:

١ـ يتعرف على تأثير كل من الحياة السياسية والاجتماعية، والعلمية فى النتاج الأدبى. لعصر صدر الإسلام.

٢ـ يحدد أثر الإسلام فى الشعر.

٣ـ يحدد العوامل التي أدت إلى انتشار الفنون الشعرية والنثرية في عصر صدر الإسلام.

٤ـ يذكر الأسباب التي أدت إلى ظهور بعض الفنون الأدبية في عصر صدر الإسلام.

٥ـ يسرد ترجمة لبعض أدباء هذا العصر.

٦ـ يحفظ بعضًا من نصوص هذا العصر، ويمتلك القدرة على شرحها.

٧ـ يحدد خصائص الشعر والنثر في عصر صدر الإسلام.

مقدمة

عصر صدر الإسلام يمثل الفترة التي تلت الجاهلية، وتبدأ ببعثة النبي ﷺ وتشمل عهد الرسول ﷺ بمكة والمدينة، وعهد الخلفاء الراشدين، وتنتهي بقيام الدولة الأموية سنة (٤١ هجرية). وهذا العصر يعد من أعظم العصور في التاريخ أثرًا، حيث شهد تغييرًا كبيرًا فى العقلية العربية، ورسم الإسلام للمجتمع صورة جديدة تُشكِّل ملامحُها قيمًا روحيةً واجتماعية، تخالف ما كان سائدًا لدى العرب في جاهليتهم.

مفهوم كلمة أدب فى عصر صدر الإسلام:

يقصد بالأدب في عصر صدر الإسلام: النتاج الأدبي من لغة وشعر ونثر خلال الفترة من بعثة النبي محمد ﷺ إلى آخر أيام الخلفاء الراشدين، والذي ينتهي باستشهاد سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه عام ٤٠ هـ.

أثر الإِسلام في اللغة والأدب:

جاء الإسلام وغيّر الحياة الجاهلية، وأخرج العرب من الظلمات إلى النور، وأثّر في حياتهم تأثيرًا كبيرًا، ورسم لهم طريقًا جديدًا، ونبذ مالا يتفق وتعاليم الإسلام.

والأدب بشعره ونثره مظهر من مظاهر الحياة المختلفة، أثّر فيه الإسلام كما أثّر في غيره من نواحي الحياة.

واللغة هي وعاء الأدب، فلا يمكن أن نتصور أدبًا من دون لغة، ومن هنا فإن اللغة تأثرت بالإسلام تأثرًا ملموسًا في طرق التعبير المختلفة، سواء أكان ذلك في المفردات، أم في التراكيب، أم في البناء العام. وقد رقّق الإسلام ألفاظ اللغة، وأبعدها عن الجفاء والغلظة، كما حوّل أساليبها إلى العذوبة والسلاسة.

والإسلام رسم الطريق للأدب ووضحه، فمن الأدباء من انتفع بذلك المنهج الإلهي المرسوم؛ فسار على نهجه كحسان بن ثابت، وعبد الله بن رواحة، وكعب ابن مالك رضي الله عنهم. ومن الأدباء من لم ينتفع بما رسمه الإسلام، وإنما رجع إلى تقليد الجاهليين والسير على نهجهم، كما حصل من بعض الشعراء في صدر الإسلام، وما بعده من العصور.

وقد أسهم المسلمون في رقي أدب اللغة العربية، فبرز شعراء وخطباء وكُتّاب أسهموا بنصيب كبير

في توسع الأدب، وتعدد أغراضه، ولما جاء الإِسلام بفكر جديد يحتاج إلى شرح وتوضيح، فقد برزت الخطابة بأساليبها الجديدة، كما توسع كتَّاب الرسائل في التفنن في أساليبهم، وبرزت المناظرات بفنونها الأدبية والبلاغية، فأثر الإسلام في اللغة والأدب ظاهر جلي.

* * *

الموضوع الأول

الشعر في عصر صدر الإسلام

أهداف الدرس:

بنهاية الدرس يتوقع أن يكون الطالب قادرًا على أنْ:

١ـ يبين موقف الإسلام من الشعر.

٢ـ يذكر أسلوب الشعر فى صدر الإسلام.

٣ـ يشرح تطور الشعر فى صدر الإسلام.

٤ـ يعدد خصائص الشعر فى صدر الإسلام.

٥ـ يذكر أعلام الشعر فى صدر الإسلام.

٦ـ يحددأغراض الشعر فى صدر الإسلام.

موقف الإسلام من الشعر:

يظن بعض الدارسين للأدب أن الإسلام حارب الشعر، لكنَّ الصحيح أنه لم يحاربه لذاته، وإنما حارب الفاسد من مناهج الشعراء، و يتمثل هذا المعنى في الآية الكريمة التي صنفت الشعراء إلى فئتين: فئة ضالة، وأخرى مهتدية؛ حيث يقول تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾، بل إن الإسلام ذهب إلى أبعد من هذا، حين اتخذ الشعر سلاحًا من أسلحة الدعوة، وعَدَّه نوعًا من أنواع الجهاد؛ فجعل الشاعر على ثغرة من ثغور الإسلام لا يسدها إلا هو وأمثاله من الأدباء.

وقد أدرك الإسلام قيمة الكلمة الشعرية، وشدة تأثيرها؛ ولذا كان النبي ﷺ يشجع الشعر الجيد المنطوي على مثل عليا، وكان يستمع إليه ويعجب بما اشتمل عليه من حكمة حتى قال ﷺ «إن من البيان لسحرًا، وإن من الشعر لحكمة» ولما استأذن حسان بن ثابت رضي الله عنه في الرد على المشركين أذن له،

وقال: «اهجهم ومعك روح القدس»كما كان ﷺ يستزيد الخنساء من الشعر؛ فيقول: «هيه هيه يا خناس» وهكذا كان الصحابة رضي الله عنهم حيث كانت سيرتهم تبعًا لما جاء به الرسول ﷺ، فقد اقتفوا أثره، وتحروا سنته، فما نفع من الشعر أو حسن قبلوه، وشجَّعوا عليه، وما كان فيه ضرر أو قبح نبذوه، وحاسبوا عليه.

وخلاصة القول: إن الإسلام وقف من الشعر موقفًا وسطًا، فلم يؤيده ولم يعارضه، وإنما عدَّه كلامًا كأي كلام، فحسنه حسن وهو مقبول، وقبيحه قبيح، وهو مرفوض، وما يقال عن الشعر يقال عن بقية فنون الأدب الأخرى.

حال الشعر في صدر الإسلام:

صادف الإسلام في العرب قلوبًا قاسية فأَلانها، وطباعًا جافية فرققها، ومن ثم صار الشعراء يختارون من الكلمات ألينها، ومن الأساليب أسهلها، وابتعدوا عن الألفاظ الجافة الغليظة، والتراكيب الوعرة. وشعر حسان في الجاهلية والإسلام خير شاهد على ذلك. لكن هذا لايمنع أن الشعر قد تعرض لبعض الركود ولا سيما في أوائل هذا العصر؛ وذلك للأسباب الآتية:

١ـ انبهار العرب ببلاغة القرآن، وانشغالهم بالجهاد والفتوحات، وتثبيت أركان الدين الجديد. كل ذلك صرفهم عن قول الشعر إلا قليلًا.

٢ـ حاجة الدعوة إلى الخطابة أكثر من حاجتها إلى الشعر، أدى إلى خفوت صوت الشعراء.

٣ـ أمر النبي ﷺ بترك رواية شعر نَفَرٍ من الشعراء الذين ظلوا على الشرك، وهجوا رسول الله ﷺ من أمثال عبد الله بن الزبعرى.

٤ـ إن الإسلام حارب العصبيات، وحرم الخمر، وقاوم الهجاء المقذع، والغزل الفاحش، وكل هذه الأمور كانت وقودًا جزلًا لشعلة الشعر، فاقتصرت أغراض شعر المخضرمين على مناقضة شعراء المشركين، وعلى مدح الرسول ﷺ وأصحابه ... ومع هذا لم يخل هذا العصر من أصوات شعرية متمكنة من أمثال: حسان بن ثابت، وكعب بن زهير، وعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك، وغيرهم.

أما أسلوب الشعر في هذا العصر:

فقد اختلف بشكل يسير عن أسلوب الشعر الجاهلي؛ لأن شعراء هذا العصر هم أنفسهم شعراء العصر الجاهلي، ولهذا فقد كانوا يُسَمَّون بالمخضرمين، لكنَّ هذا لا يمنع أن يكون قد حدث شيء من

التغيير في أسلوب الشعر ومعانيه، وذلك من خلال تأثره بأسلوب القرآن الكريم، وأسلوب الحديث الشريف، وتأثره بعاطفة المسلم الرقيقة؛ فالورع والتقوى ومخافة الله أوجدت أسلوبًا يبتعد عن الجفاء والغلظة والخشونة.

ومن هنا فقد صار الشاعر الإسلامي يختار الألفاظ اللينة، والتراكيب السهلة الواضحة، التي تؤدي المعنى بشكل دقيق.

أما أوزان الشعر، وأخيلته، ونظام القصيدة:

فقد بقيت على ما كانت عليه في العصر الجاهلي؛ لأن مثل هذا التغيير يتطلب وقتًا ليس بالقصير.

وأما معاني الشعر:

فقد اختلفت بشكل كبير عن معاني الشعر الجاهلي، الذي لم يكن يقف عند فكر محدد، ومن ثم صار الشاعر في هذا العصر يختار من المعاني ما يخدم الإسلام، ويدعو إليه مستقيًا معظم هذه المعاني من القرآن الكريم، والحديث الشريف، وليس معنى ذلك أن معاني الشعر الإسلامي قد انفصلت انفصالًا تامًّا عن معاني الشعر الجاهلي. فالشعر الإسلامي لم يهمل إلا المعاني التي نبذها الإسلام، ولم تعد صالحة للبقاء كالشعر الذي يدعو للعصبية، وكالغزل الفاحش، والهجاء المقذع، والمدح الكاذب، ووصف الخمر ... أما المعاني التي لم ينبذها الإسلام فقد بقيت متداولة لدى الشعراء، مع تغير القيم التي يعتمدون عليها في تلك المعاني، فقد جمع الشاعر بين القيم القديمة، والقيم الجديدة التي جاء بها الإسلام.

وهناك موضوعات جدَّت في هذا العصر، كشعر الدعوة، ووصف الفتوحات الإسلامية، وأماكن الجهاد، كما وجدت في هذا العصر البذرة الأولى للشعر السياسي، الذي برز فيما بعد في عصر بني أمية؛ بسبب تعدد الأحزاب السياسية.

تطور الشعر في صدر الإسلام:

ظل الشعر يتبوأ المنزلة الأولى في صدر الإسلام، شأنه في العصر الجاهلي، ولكنه تطور في أغراضه ومعانيه تطورًا ملحوظًا، فقد أوجد الإسلام أغراضًا جديدة، كشعر الجهاد، والفتوح، والزهد، والوعظ، والشعر السياسي.

وتضاءلت بعض فنون الشعر التي كانت سائدة في الجاهلية، كالشعر القبلي القائم على العصبية القبلية، والمتصل بالأيام والوقائع والمفاخرات. فقد ألغى الإسلام دواعي الشعر القبلي حين وحَّد

القبائل العربية في أمة واحدة، تسوس أمورها مرجعية واحدة، وانصرف شعراء الحواضر إلى أغراض تلائم بيئتهم المترفة، فاتجهت طائفة منهم إلى الشعر الغزلي، واتجهت طائفة أخرى إلى الشعر الديني والوعظي.

خصائص الشعر في صدر الإسلام:

لم يطرأ على الشعر كبير تغيير في صدر الإسلام، من حيث أساليبه، وطرائقه الفنية؛ لأن الشعر فن يقوم على المحاكاة، فالشاعر يحتذي خطا أسلافه. وفي الغالب كان الشاعر يتتلمذ لشاعر مشهور، فيكون راوية له، ويأخذ عنه طريقته، ويحاكيه في أسلوبه. فنجد مثلًا الحطيئة يقر بسيره على نهج زهير ابن أبي سلمى.

يضاف إلى ذلك أن الكثرة من شعراء صدر الإسلام كانوا من مخضرمي الجاهلية والإسلام، ومن هؤلاء: الحطيئة، وكعب بن زهير، والخنساء، وحسان بن ثابت، وكعب بن مالك، والعباس بن مرداس، وأبو ذؤيب الهذلي، وحميد بن ثور، والشمَّاخ بن ضرار. وهؤلاء الشعراء كان لهم أسلوبهم وطرائقهم المميزة منذ العصر الجاهلي، ولم يكن من اليسير أن يغيروا في ظل الإسلام هذه الأساليب، ومن هنا لا يجد الباحث فارقًا ذا شأن في الناحية الفنية بين شعرهم في الجاهلية وشعرهم في الإسلام.

والتطور الذي طرأ على شعرهم منذ الإسلام، إنما يتجلى في المعاني والأغراض. فقد أمدَّ الإسلام هؤلاء الشعراء بزاد ثري من المعاني والأفكار. على أن أثر العقيدة الإسلامية لم يكن واحدًا لدى هؤلاء، فمنهم من استقرت العقيدة الجديدة في أعماقهم، فانعكست في معانيهم وأغراضهم، شأن حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة، والعباس بن مرداس، وغيرهم، ومنهم من كان أثرها ضئيلًا في نفوسهم ونتاجهم الشعري، شأن الحطيئة، وأبي ذؤيب الهذلي، والشماخ بن ضرار، وغيرهم. ومهما يكن من أمر فإن المعاني الإسلامية أثرت بدرجات متفاوتة في شعر صدر الإسلام.

أعلام الشعراء في صدر الإسلام:

حفل عصر صدر الإسلام بعدد وافر من الشعراء، جلهم من المخضرمين ومن أشهرهم: حسان بن ثابت شاعر الرسول ﷺ والمنافح عنه، وهو أول من تناول الشعر السياسي بمعناه الدقيق، وأبو ذؤيب الهذلي، والشماخ بن ضرار، وكان أوصف الشعراء للقوس وحمار الوحش، وكعب بن زهير صاحب قصيدة «بانت سعاد» في مديح الرسول ﷺ، وكعب بن مالك الأنصاري، الذي وقف إلى جانب رسول الله، وناضل عنه بشعره، وعبد الله بن رواحة، وكان كذلك من شعراء الأنصار، الذين هجوا شعراء المشركين، وقد استشهد

في وقعة مؤتة، وحميد بن ثور العامري، وكان من الشعراء الذين أجادوا الغزل، والنابغة الجعدي، وكان ممن جانب الخمر وهجر الأوثان في الجاهلية.

أغراض الشعر في عصر صدر الإسلام:

أحدث الدين الإسلامي تغييرًا كبيرًا في أغراض الشعر، فقد وجدت أغراض جديدة مثل شعر الجهاد، والفتوح، والزهد، والوعظ، والشعر السياسى، وفي الوقت نفسه ضعفت بعض الأغراض مثل: وصف الخمرومجالسها، والمبالغة في التشبيب، ومجالس اللهو والمجون، وكل ماحرمه الاسلام، في حين بقيت أغراض أخرى على حالتها، أو ازدادت أهميتها، وأهم هذه الأغراض:

المدح

بعد أن كان المدح في العصر الجاهلي يتناول أشخاصًا كثيرين؛ لأسباب عديدة، منها التكسب بالشعر، أو الإشادة بعظيم، على ما قام به من عمل جاد؛ كالصلح بين القبائل العربية المتناحرة كاد المدح يقتصر في عصر صدر الإسلام على مدح الرسول الكريم، محمد ﷺ، ولم يخرج الى المبالغة والتهويل، ومن ذلك قول حسان بن ثابت:

نَبِـيٌّ أَتانا بَعـدَ يَأسٍ وَفَتـرَةٍ ** مِنَ الرُسلِ وَالأَوثانُ في الأَرضِ تُعبَدُ
فَأَمسى سِراجًا مُستَنيرًا وَهادِيًا ** يَلـوحُ كَما لاحَ الصَقيلُ المُهَنَّـدُ
وَأَنذَرَنـا نـارًا وَبَشَّرَ جَنَّـةً ** وَعَلَّمَنا الإِسـلامَ فَاللهَ نَحمَـدُ

الهجاء

امتاز الهجاء في هذا العصر بشدته، وتناول ذم المشركين والسخرية منهم؛ لعدم إيمانهم بالإسلام ولعدم اتباعهم الرسول الكريم ﷺ، وعاب عليهم عبادة الأصنام والأوثان، وبالمقابل كان هناك شعراء نالوا من المسلمين، وعابوا عليهم ترك ما كان يعبد آباؤهم، وكذلك منهم من تجرأ وهجا الرسول الكريم وأصحابه، وهذا النوع من الشعر لم يصل منه إلا القليل؛ لتحرج المسلمين من التابعين أوتابعي التابعين من روايته، ومن أشهر شعراء الهجاء في هذا العصر الحطيئة الذي هجا كثيرًا من الناس، ولم يسلم من لسانه أهله ونفسه، ومن هجائه نفسه قوله:

أبت شَفَتايَ اليَوْمَ إلا تكلُّمَـا ** بشرٍّ فما أدري لمنْ أنا قائلُـه
أَرى لِيَ وَجْهًا شَوَّه اللهّ خَلْقَـهُ ** فقُبِّحَ مِنْ وَجْهٍ وقُبِّح حامِلُـه

الغزل

نظم الشعراء شعرَ الغزل فى صدر الإسلام كما فعل الشعراء الجاهليون، فالإسلام لم يمنع الغزل، بل شجعه وفق شروط أخلاقية محددة، فأغلب الشعراء اتسم شعرهم بالغزل العفيف، الذي لم يقف الإسلام بوجهه، لكن بالرغم من هذا ظلت طائفة من الشعراء تعاقر الخمر في أشعارها، وتشبب بالنساء وتتغزل بهن غزلًا فاحشًا، ومن غزل تلك الحقبة قول حميد بن ثور:

حَـلَفْتُ بِـرَبِّ الرَّاقِصَـاتِ إِلَى مِنىً *** زَفِيفًا وَ رَبِّ الْوَاقِفِـينَ عَلَى الْـحَبْلِ

لَـوَانَّ لِيَ الدُّنْيَـــا وَمَـا عُـدِلَتْ بِهِ *** وَجُمْلٌ لِغَيْرِي مَا أَرَدْتُ سِوَى جُمْـلِ

أَتَهْـجُرُ جُمْـــلًا أَمْ تُلِمُّ عَلَى جُمْـلِ *** وَجُمْلٌ عَيُوفُ الرِّيْقِ جَـاذِبَةُ الْوَصْلِ

الرثاء

الرثاء في هذا العصر اقتصر على رثاء قتلى المسلمين واستشهادهم في سبيل الله، والدعاء لهم بالجنة، وعبر عن عاطفة الشاعر تجاه المرثي، ومن أشهر شعراء هذا العصر الخنساء، وأبو ذؤيب الهذلي الذي رثى أولاده الخمسة بقصيدة مؤثرة، منها قوله:

أودى بنـيَّ وأعقبـوني حســـرةً *** بعـد الرُّقـادِ وعـبرةً لا تُقلـــعُ

ولقــد أرى أنَّ البــكاء سفاهـــةٌ *** ولسوف يولعُ بالبُكا منْ يُفجَـــعُ

سـبقوا هَـوَايَ وأعنقـوا لهواهــمُ *** فتُخرِّموا ولكل جنبٍ مصــــرعُ

فغـبرتُ بعدهـمُ بعيشٍ ناصـــبٍ *** وإخـالُ أنّي لاحـقٌ مُسْتَتْبَـــعُ

الوصف

وصف شعراء الإسلام كل ماشاهدوه، وبخاصة المعارك، والحروب التي خاضوها، وأبلوا فيها بلاء حسنا، على نحو ما نجد في قول كعب بن مالك:

قضـى يـوم بـدرٍ أن نلاقـيَ معشرًا *** بغـوا وسـبيل البغـي بالنـاس جائرُ

وقـد حشـدوا واستنفروا من يليهمُ *** مـن النـاس حـتى جـمعُهم مُتكـاثرُ

وسارت إلينا لا تحاول غيرنـــا *** بأجمعها كعبٌ جميعًـــا وعــامرُ

وفينا رسول الله والأوسُ حَولَهُ ** لهُ مَعْقِلٌ مِنْهم عزيزٌ وناصرُ
وجمعُ بني النجارِ تحت لوائِه ** يمشون في الماذيِّ والنقعُ ثائرُ

والجدير بالذكر أن الأغراض التي لا تتفق مع القيم الإسلامية الأصيلة والأخلاق السامية التي أكدها الإسلام قد انقرضت في هذا العصر أو كادت، ومنها الهجاء المقذع الفاحش، والغزل الكاشف الصريح، وشعر الخمر، وغيرها.

* * *

تدريبات

١ـ ما المقصود بكلمة "أدب" في عصر صدر الإسلام؟

٢ـ تكلم عن أثر القرآن في اللغة والأدب.

٣ـ هل ضَعُفَ الشعر في العصر الإسلامي؟ ولماذا؟

٤ـ تكلم عن أسلوب الشعر في صدر الإسلام.

٥ـ للشعر في صدر الإسلام عدة خصائص فنية، اذكرها.

٦ـ اذكر خمسة من أعلام الشعر في عصر صدر الإسلام.

٧ـ ما موقف الإسلام من غرضي "المدح والهجاء"؟ فى عصر صدر الإسلام؟

٨ـ علل للظواهر الأدبية الآتية:

- قلة الغزل في العصر الإسلامي.
- تعرض الشعر لبعض الركود في العصر الإسلامي.
- يُعد الشعر في عصر صدر الإسلام امتدادًا لسابقه في العصر الجاهلي.

٩ـ تحدث عن الرثاء فى صدر الإسلام وأشهر شعرائه.

* * *

الموضوع الثانى

النثر في عصر صدر الإسلام

أهداف الدرس:

بنهاية الدرس يتوقع أن يكون الطالب قادرًا على أنْ:

١- يبين أهم أغراض النثر فى صدر الإسلام.

٢- يذكر أسباب جعل فن الخطابة الفن الأول من بين فنون الأدب فى صدر الإسلام.

٣- يشرح أنواع الخطابة فى صدر الإسلام.

٤- يعدد خصائص الخطابة فى صدر الإسلام.

كان النثر في هذه الحقبة أكثر استجابة لدواعي التطوير من الشعر، ومن هنا كان الأكثر تصويرًا للحياة الإسلامية من الشعر، فضلًا عن أن القرآن الكريم كان معجزة بلاغية ألقت ظلالها على نتاج الخطباء فطُبِع بطابع إسلامي واضح القسمات، فكان النثر في هذه الحقبة إسلاميًّا، سواء في سماته الفنية أم في أغراضه ومعانيه.

وقد حاول الخطباء وكُتَّاب الرسائل تجنب بعض السمات التي عرفها النثر الجاهلي، والسجع خاصة، كراهة محاكاة سجع الكهان.

سمات النثر الأدبى فى صدر الإسلام:

على أن النثر الأدبي ظل بوجه عام وفيًّا للأعراف المستمدة من الطريقة العربية المتوارثة من حيث إيثار الإيجاز في العبارة، وتجنب التكلف، والزهد في الزخرف والحلى اللفظية، ووضوح المعاني، وتوخي الجزالة والرصانة في الأسلوب.

الخطابة

تعد الخطابة من أظهر الآثار الإسلامية في نثر تلك الحقبة، وقد حرص الخطباء على استهلال خطبهم بذكر اسم الله، وحمده، والصلاة على نبيه، وتضمين خطبهم بعضًا من آي القرآن، حتى لقد سموا الخطبة (بتراء) إن لم تبدأ بذكر اسم الله وحمده، وسموها (شوهاء) إن خلت من آي التنزيل الكريم.

هذا إلى جانب الاستمداد من المعاني الإسلامية، ومحاكاة الأسلوب القرآني والاستعانة بالصور والأمثال القرآنية. وما وجد في الخطابة يصدق كذلك على الرسائل والنثر عامة إبَّان تلك الحقبة.

وأخذت الخطابة تثبت أقدامها؛ لحاجة المسلمين إليها عصرئذ، وبدأت تسير في طريق النماء والنضج بشتى أنواعها، وفي حين توارى سجع الكهان، ظهرت مكانة الخطابة الدينية، فكان الرسول ﷺ يخطب في المسلمين، موضحًا لهم شؤون عقيدتهم. وجاء الخلفاء الراشدون بعده فساروا على نهجه، وكانوا يعظون المسلمين في خطبهم ويحضونهم على مكارم الأخلاق.

دواعي الخطابة

للخطابة في صدر الإسلام دواع، أهمها:

١ـ مكانة الخطابة عند العرب ... كانت للخطابة في الجاهلية مكانة عظمى حيث يقوم بها الرؤساء بين قبائلهم، أو أمام الملوك، وكان لها تأثيرها في النفوس، وانتقلت تلك المكانة إلى عصر صدر الإسلام حين قام بها الرسول والخلفاء، ثم كبار الصحابة لتأييد الدعوة أو الحث على الكفاح في سبيلها، وكان لهم ولقوة فصاحتهم الأثر في إقناع العرب بهذا الدين الجديد.

٢ـ الأمية العربية ... كان العرب أميين، فلابد لمثل هذه الأمة الأمية من وسيلة للتعبير عن آرائها ونزعاتها، فكانت الخطابة هي تلك الوسيلة التي تعبر بها عن هذا الدين في صدق.

٣ـ كانت القبائل العربية عبارة عن مجتمعات صغيرة، ومثل هذه المجتمعات لا بد أن تحدث بينها منازعات ومنافرات، وهذه تتطلب الخطابة، فلما جاء الإسلام دعا إلى تأليف هذه المجتمعات؛ لتتكون منها الأمة الإسلامية، والدعوة إلى التأليف محتاجة إلى الخطابة، وفي أواخر عصر صدر الإسلام ظهر الشيعة والخوارج والأمويون ثم الزبيريون، وكل هؤلاءِ في حاجة إلى الخطابة؛ لشرح آرائهم، وتأييد سياساتهم، وشكر أعوانهم، وتهديد أعدائهم.

٤ـ القدرة على القول ـ كان الكثير من العرب لديه القدرة البالغة على صوغ العبارات الخطابية التي تؤثر في سامعيهم ووجود القدرة على ذلك من دواعي الخطابة.

٥ـ حرية الرأي ـ اتسم العرب بالجرأة والصراحة، وكرهوا الضيم والقيود، وكانوا يتمتعون بحرية الرأي؛ فإذا اقتنع العربي برأي أو عقيدة فليس من السهل أن ينثني عنها، أو يزحزح بالسيف أو السلطان، وإنما تثنيه الحجة الدامغة والمنطق القوي، فكانت حرية التعبير عن الآراء والمواقف وخوض ميادين الجدل والمناقشات من دواعي الخطابة.

امتازت خطابة صدر الإسلام عن الخطابة الجاهلية في الموضوع بأمور منها:

١ـ الدعوة إلى الدين الجديد، تتطلب توحيد الله، وترك الأصنام وغيرها مما كانوا يعبدون، ومثل ذلك يحتاج إلى البراهين المقنعة، وتبصير العقول بالكون، والتحذير من مخالفة الله، وشرح أصول الإسلام وأحكامه، وميدان ذلك الخطابة.

٢ـ حث المسلمين على الجهاد في سبيل الله والصبر وطلب الشهادة.

٣ـ إخبار المسلمين بما أفاء الله على المحاربين وعلى المسلمين من النصر.

٤ـ تحدي الأعداء وتهديدهم، بتقديم صور المسلمين في استماتتهم وقوتهم، وكثر ذلك اللون عند فتوحات الفرس والروم، و(وفود المفاوضات).

٥ـ عرض المشكلات أو الأحداث وشرح وجهات النظر فيها.

٦ـ خطب البيعات والولايات، وخطب الولاة في البلاد التي يلون أمرها؛ لتأييد البيعات أو شرح المبادئ الجديدة.

سمات الخطابة فى صدر الإسلام

تأثرت الخطابة في عصر صدر الإسلام بالقرآن الكريم، الذي امتلأ بالعذب السهل من اللفظ الذي يدركه كل عربي، فجاءت سهلة في ألفاظها، بعيدة عن الغريب، وامتازت باختيار الجمل القصيرة أو المتوسطة، وعُني خطباء صدر الإسلام بالربط بين الفقرات والجمل، والخطبة الإسلامية مناسبة للمقام إيجازًا وإطنابًا. واتسمت معاني الخطب بالعمق والغوص واكتشاف المعانى الدقيقة التى أرسلها خطباء الإسلام.

ألوان الخطابة

الخطابة الدينية: سادت الخطابة الدينية المنابر، وحلقات المساجد، منذ ذلك العصر، وكثر الوعاظ والقصاص.

الخطابة السياسية: في الوقت نفسه ظهرت الخطابة السياسية، التي تدور حول شئون الحكم وسياسة الرعيّة، واستخدمت أول الأمر فيما نشب من خلاف بين المسلمين، حول الخلافة، إثر وفاة الرسول ﷺ، فكانت الخطب التي ألقيت في سقيفة بني ساعدة باكورة الخطب السياسية. وبعد مقتل

عثمان وافتراق المسلمين إلى فرقتين: إحداهما تناصر عليًّا ﵁، والثانية تناصر معاوية بن أبي سفيان عظم شأن الخطابة السياسية، على أن هذه الخطابة لم تتألق وتزدهر إلا في العصر الأموي.

الخطابة الحفليَّة: إلى جانب هذين اللونين من ألوان الخطابة ظلت للخطابة المحفلية مكانتها، ولاسيما خطب الوفود، فإذا وفد قوم على الرسول ﷺ أو على خلفائه من بعده أحضروا معهم خطباءهم، ليتحدثوا بلسانهم؛ ويفاخروا بهم.

الكتابة فى صدر الإسلام

كثر الكُتَّاب المسلمون بعد غزوة بدر وبلغ عددهم فى عهد الرسول ﷺ اثنين وأربعين كاتبًا، وكانت كتابة الرسائل أهم أنواع الكتابة فى صدر الإسلام.

الرسائل: بدأ هذا الفن يخطو خطواته الأولى في طريق النضج في عصر صدر الإسلام، وذلك لأنَّ قيام الدولة الإسلامية استدعى وجود كتاب يوجهون الرسائل إلى العمال والقبائل في مختلف أقطار الدولة، فكان للرسول كتابه، كما كان لخلفائه وولاتهم من بعده كتابهم. ومن الكتاب الذين استعان بهم الرسول ﷺ، لكتابة الوحي؛ وكتابة الرسائل علي بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان، وأبان بن سعيد، وخالد بن سعيد، والعلاء بن الحضرمي، وأبي بن كعب، وزيد ابن ثابت.ومن رسائله ﷺ ، كتابه إلى كسرى ملك الفرس، وفيه يقول: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتَّبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وأدعوك بدعاية الله عزَّ وجلَّ؛ فإنِّي أنا رسول الله إلى النَّاس كافَّة لأنذر من كان حيًّا، ويحق القول على الكافرين، أسلم تسلم، فإن توليت فإثم المجوس عليك»

ومن الرسائل المهمة في تلك الحقبة رسالة عمر بن الخطاب التي أرسلها إلى أبي موسى الأشعري في بيان أحكام القضاء بين المسلمين.

* * *

تدريبات

١ـ علل لما يأتي:

ـ تقدم الخطابة على الشعر في عصر صدر الإسلام.

ـ اختلاف الخطابة في عصر صدر الإسلام عنها في العصر الجاهلي.

ـ تجنب بعض السمات التي عرفها النثر الجاهلي في عصر صدر الإسلام.

٢ـ للخطابة في عصر صدر الإسلام دواعٍ، اذكرها.

٣ـ اختلفت الخطابة في عصر صدر الإسلام عن العصر الجاهلي في الموضوع، وضح ذلك.

٤ـ تكلم عن منهج الرسالة في عصر صدر الإسلام.

٥ـ اذكر أنواع الخطابة في عصر صدر الإسلام، ومثل لواحد منها.

٦ـ تحدث عن سمات الخطابة فى عهد صدر الإسلام.

٧ـ اذكر بعض الكُتَّاب الذين كتبوا الوحي لرسول الله ﷺ.

٨ـ لم بدأ فن الرسالة يخطو خطواته الأولى في طريق النضج في عصر صدر الإسلام؟

❊ ❊ ❊

الموضوع الثالث

نماذج من الشعر والنثر فى صدر الإسلام

١ـ مدح الرسول وصحابته لحسان بن ثابت

أهداف الدرس:

بنهاية الدرس يتوقع أن يكون الطالب قادرًا على أنْ:

١ـ يذكر ترجمة لحسان بن ثابت.

٢ـ يكشف مواطن الجمال فى النص.

٣ـ يحدد سمات شخصية الشاعر، وخصائص أسلوبه.

٤ـ يشرح أبيات القصيدة بأسلوبه الخاص.

٥ـ يذكر أثر البيئة فى النص.

٦ـ يحفظ الأبيات المقررة من القصيدة.

التعريف بالشاعر:

هو أبو الوليد حسان بن ثابت المنذري الأنصاري الخزرجي، ولد قبل الهجرة بنحو ستين عامًا، ونشأ بين أهله، ولما ظهر الإسلام وهاجر الرسول ﷺ إلى المدينة أسلم حسان، ودافع عن الدين بلسانه، وإن كان لم يدافع عنه بسنانه؛ إذ روي أنه لم يشترك في غزوة من الغزوات، ولعل الله قد عوضه عن ذلك بهذا اللسان، الذي دافع به عن الرسول ﷺ وعن المسلمين، حتى لقب بشاعر الرسول ﷺ.

ولقد عاش ما يقرب من مائة وعشرين عامًا، نصفها في الجاهلية ونصفها في الإسلام والجدير بالذكر أن أباه وجده، وجد جده قد عاش كل منهم مائة وعشرين عامًا. ومات سنة ٥٤ هـ.

مناسبة النص:

قدم وفد تميم على رسول الله ﷺ بالمدينة، ودخلوا المسجد، ونادوا بأعلى أصواتهم. اخرجْ إلينا يا محمد لنفاخرك؛ فقد جئنا بخطيبنا وشاعرنا، فخرج إليهم رسول الله ﷺ وجلس بينهم، واستمع إلى خطيبهم، ثم قام شاعرهم الزبرقان بن بدر ـ المتوفى سنة ٤٥ هـ على الراجح ـ وأخذ يعدد مفاخر قومه بأبيات منها:

نحن الملوك فلا حَيٌّ يُعادلنا ** منا الملوكُ وفينا يُقْسَمُ الربع

فلما انتهى من قصيدته أرسل الرسول ﷺ إلى حسان بن ثابت، فجاء، ثم أمره بأن يجيب الزبرقان بن بدر، فارتجل حسان قصيدته، ومنها هذه الأبيات المختارة في هذا النص:

إنّ الذَّوائِبَ مِنْ فِهْرٍ وَإِخْوَتِهِمْ ** قَدْ بَيَّنُوا سُــنَّةً للنــاسِ تُتَّبَعُ
يَرْضَى بِهَا كُلُّ مَن كانَتْ سَرِيرَتُهُ ** تَقْوَى الإلَهِ وبالأَمرِ الَّذِي شَرَعُوا
قومٌ إِذا حارَبُوا ضَروا عَدُوَّهمُ ** أوْ حاوَلُوا النَّفْعَ في أشياعِهِمْ نَفَعُوا
سَــجِيَّةٌ تِلكَ فِيهِم غيرُ مُحْدَثَةٍ ** إِنَّ الخَلائِقَ -فاعلَمْ- شَرُّها البِدَعُ
لا يَرْقعُ النَّاسُ ما أَوْهَتْ أكفُّهُمُ ** عندَ الدِّفاعِ، ولا يوهونَ ما رَقَعُوا
إن كان في الناسِ سَبَّاقون بَعْدَهُمُ ** فَكُلُّ سَــبقٍ لِأَدْنى سَبْقِهِمْ تبَعُ
ولا يَضِنُّونَ عَنْ مَوْلًى بِفَضْلِهِمِ ** وَلا يُصِيبُهُــمُ في مَطْمَعٍ طَبَعُ
لا يَجْهَلونَ، وإن حَاوَلتَ جهلَهُمُ ** في فَضلِ أحلامِهِمْ عَن ذاكَ مُتَّسَعُ
أعِفَّةٌ ذُكِرَتْ في الوَحيِ عِفّتُهُمْ ** لا يَطْمَعونَ، وَلا يُرْديهِمُ الطَّمَعُ
كَمْ مِن صَديقٍ لَهُمْ نالوا كَرامَتَهُ ** ومِنْ عَدُوٍّ عَليهِمُ جاهِدٍ جَدَعوا
أعطَوا نَبِيَّ الهُدّى والبرِّ طَاعَتَهُمْ ** فَما وَنَى نَصْرُهُمْ عنْـهُ وَما نَزَعُوا
إِن قالَ سيروا أَجَدُّوا السيرَ جهدَهُمُ ** أَوْ قَالَ عُوجُوا عَلَيْنَا ساعَةً، رَبَعُوا
مَا زالَ سَيرُهُمُ حَتَّى استَقادَ لهمْ ** أَهْلُ الصّليبِ، ومَن كانَتْ لهُ البِيَعُ
لا فَخْرَ إنْ هُمْ أصابُوا مِن عَدُوِّهِمُ ** وَإِنْ أُصِيبُوا فلا خُورٌ ولا جُزُعُ
أَكْرِمْ بِقومٍ رَسُولُ اللهِ شيعتهمْ ** إذا تفرّقَتِ الأَهْوَاءُ والشِّــيَعُ
أَهْدَي لَهُمْ مِدَحي قلبٌ يُؤازِرُهُ ** فِيما يُحِبُّ لِسَــانٌ حائِكٌ صَنَعُ
فإنّهُمْ أفضَــلُ الأَحْيَاء كلّهِم ** إنْ جَدّ بالنّاسِ جِدُّ القوْلِ أوْ شمعوا

تحليل القصيدة:

الأبيات من (١ ـ ٥): شجاعة الصحابة رضي الله عنهم:

إنّ الذَّوائِبَ مِنْ فِهرٍ وَإِخْوَتِهِمْ ** قَدْ بَيَّنُوا سُـــنَّةً للنـــاسِ تُتَّبعُ
يَرْضَى بِهَا كُلُّ مَن كانَتْ سَرِيرَتُهُ ** تَقْوَى الإلَهِ وبالأَمرِ الَّذِي شَرَعُوا
قومٌ إِذا حارَبُوا ضَروا عَدُوَّهمُ ** أوْحاوَلُوا النَّفْعَ في أشياعِهِمْ نَفَعُوا
سَـــجِيَّةٌ تِلكَ فِيهِم غَيرُ مُحْدَثةٍ ** إنّ الخَلائِقَ -فاعلَمْ- شَرُّها البِدَعُ
لا يَرْقعُ النَّاسُ ما أَوْهَتْ أكفُّهُمُ ** عندَ الدِّفاعِ، ولا يوهونَ ما رَقَعُوا

معاني المفردات:

"الذوائب": جمع ذؤابة وهى الناصية أو منبتها من الرأس، والمراد السادة والعظماء، "فهر": هو فهر بن غالب، أصل قريش، وأحد أجدادها، والمراد قبيلة قريش، "إخوتهم": المهاجرون والأنصار، وقيل الأنصار فقط، لأن المهاجرين يدخلون ضمن قريش على سبيل التغليب، "سنة": طريقة، ويروي سننا بالجمع، "سريرته": السريرة ما يكتم عن الناس، وقيل "السر": ما أسررت به، والسريرة عمل السر من خير أو شر، وقيل "السريرة": ما ينطوي عليه القلب من شر، "شرعوا": سنوا، والمراد أظهروا الشريعة، ووضحوها، وبالأمر معطوف على الضمير فيها (بها)، "القوم": الجماعة من الرجال والنساء معًا، "وقيل": الرجال خاصة، ويدخل فيهم الناس تبعًا، "حاولوا": راموا وطلبوا، "أشياعهم": الأشياع جمع شيعة وهي، أتباع الرجل وأنصاره، وهذا اللفظ يطلق على المفرد والمثنى والجمع مذكرًا كان أو مؤنثًا، "سجية": غريزة وطبيعة، "غير محدثة": غير جديدة، وإنما هي قديمة فيهم، يرثها الأبناء عن الآباء، "الخلائق": جمع خليقة وهي الطبيعة، البدع: جمع بدعة، وهي ما استحدث من الأمر، والمراد هنا الأخلاق التي استحدثت، مخالفة للطبع السليم، يرقع: مضارع رقع الثوب إذا أصلح مكان القطع بخرقه ونحوها، وَيُرْوَى: "لا يرفع" بالفاء، "أوهت": أضعفت، "الدفاع": المراد الزحام في شئون الحياة.

الشرح:

تناولت الأبيات الإشادة بالرسول ﷺ وأصحابه من المهاجرين والأنصار، وإظهار شجاعتهم، وكمال مروءتهم في السلم والحرب، وبيان وقارهم وثباتهم وصبرهم، فلا يفرحون عند الانتصار، ولا يجزعون عند الانكسار.

فالسادة المهاجرون والأنصار ومعهم رسول الله ﷺ قد وضحوا للناس طرق الخير والرشاد، وبينوا لهم مبادئ الإسلام الجديرة بالاتباع، وتلك المبادئ يقبل عليها كل صاحب قلب سليم، وفطرة مستقيمة، تجعله يخشى الله ويتقيه، وهؤلاء القوم واثقون بأنفسهم، مؤيدون من ربهم، ولذلك إذا واجهوا العدو ضرُّوه، وإذا وقفوا مع الصديق نصروه وأيدوه.

هذا هو طبعهم، وتلك هي سجيتهم، فلم تكن الشجاعة ولا المروءة مستحدثة فيهم فشر الأمور محدثاتها، ومن هنا فهم أعزة بربهم، أقوياء بإيمانهم، ما وضعوه لا يرفعه أحد، وما رفعوه لا يضعه أحد، وما مزقوه لا يصلحه أحد، وما أصلحوه لا يمزقه أحد.

من مواطن الجمال:

١ـ في قوله: «إن الذوائب» استعارة تصريحية؛ حيث شَبَّه الرسولَ ﷺ وأصحابه بالذوائب، وهذا يشير إلى عظم منزلتهم، ورفعة شأنهم، وذلك عن طريق تجسيم المعنوي، وإبرازه في صورة المحسوس، وقد أكد العبارة بأكثر من مؤكد هي: «إنَّ، وقد» الدالة على التحقيق، ولعل المقام الذي نظم فيه القصيدة هو الذي اقتضى ذلك التأكيد، وفي قوله: «وإخوتهم»، ما يبرز أثر الإسلام في تقوية الروابط بين الناس، وجاءت كلمة: «سُنَّة» نكرة؛ لتعظيم شأنها، وعَبَّر بالمضارع «تتبع»؛ للتجدد والحدوث، كما بناه للمجهول لإفادة العموم.

٢ـ جاءت كلمة: «كلٍّ» نكرة، لإفادة العموم، وفي قوله: «... من كانت سريرته تقوى الإله ...» كناية، تشير إلى سماحة الإسلام وأنه دين الفطرة، وفي قوله: «وبالأمر الذي شرعوا» إطناب يؤكد المعنى ويقويه.

٣ـ جاء لفظ «قوم» نكرة، للتعظيم، وعبر «بإذا» التي تدل على تحقق الجواب غالبًا، لقرب جواب الشرط من الفعل، وفي قوله: «إذا حاربوا ضروا ...» يؤكد شجاعة هؤلاء الصحابة وقوتهم، كما أن العبارة كناية توحي بهزيمة الأعداء وإلحاق الضرر بهم، وفى البيت مقابلة بين: «ضرَّ الأعداء، ونفع الأشياع» بما يشير إلى التأكيد على قوة الصحابة.

٤ـ جاءت كلمة: «سَجيَّة» نكرة للتعظيم، وجاءت جملة «فاعلم» اعتراضية للتنبيه، وجذب الانتباه، وفى البيت طباق بين قوله: «غير محدثة والبدع»، يؤكد أصالة صفات الصحابة.

٥ـ وفي قوله: «لا يرقع الناس ما أوهت أكفهم» استعارة؛ حيث شبهِّت حال الشيء الذي يهدمه الصحابة فلا يمكن لأحد أن يبنيه بحالة الثوب الذي يمزق فلا يستطيع الراتق أن يرتقه، وفي قوله: «ولا يوهون ما رقعوا» استعارة تمثيلية "مثل التي في الشطر الأول ولكنَّها عكسها في المعنى"، ولاشك في أن هاتين الاستعارتين توضحان المعنى المراد من إثبات العزة والقوة للصحابة، وإثبات المذلة والهوان لغيرهم، وفي قوله: «أوهت أكفهم» مجاز عقلي، علاقته السببية، وفي قوله: «أكفهم» مجازٌ مرسَلٌ علاقته الجزئية، وبين «لا يرقع الناس ما أوهت، ولا يوهون ما رقعوا» مقابلة، تبرز المعنى وتوضحه.

الأبيات من (٦ ـ ١٠): وصف الصحابة رضي الله عنهم:

إن كان في الناس سباقون بعدهمُ، *** فكلُّ سـبقٍ لأدنى سبقهمْ تبعُ
ولا يَضِنُّـونَ عَنْ مَوْلًى بِفَضْلِهِم، *** وَلا يُصِيبُهُـمُ في مَطْمَعٍ طَبَعُ
لا يجهلونَ، وإن حاولتَ جهلهمُ، *** في فضلِ أحلامهمْ عن ذاكَ متسعُ
أعِفّةٌ ذُكِرَتْ في الوَحيِ عِفّتُهُمْ، *** لا يَطْمَعونَ، ولا يُرْديهمُ الطّمَعُ
كم من صديقٍ لهمْ نالوا كرامتهُ، *** ومِنْ عَدُوٍّ عَليهم جاهدٍ جدعوا

معاني المفردات:

"سبَّاقون": جمع سبَّاق، صيغة مبالغة، وهو المتقدم من الناس المحرز للفضل، "بعدهم": المراد غيرهم، أدنى: أقل، وقيل: أقرب، وتبع: أي: تابع يضنون: مضارع ضن والمراد يبخلون، المولى: المراد الموالي والمناصر، "المطمع": ما يطمع في تحقيقه من الآمال المحبوبة والأماني الحسنة، "الطبع": الدنس والعيب، "لا يجهلون": المراد لا يتصرفون تصرفًا فيه جهل أو طيش، حاولت: المراد تعمدت، الأحلام: جمع حلم بكسر الحاء، وهو الأناة والمراد بـ (فضل أحلامهم)أي: فاضل أحلامهم فهو من إضافة الصفة إلى الموصوف، "متسع": مكان اتساع، "أعفة": جمع عفيف، وهو الذي يكف عما لا يحل له أو يليق به، "الوحي": أى: الموحي به، وهو القرآن الكريم، ويزري بهم: أي: يعيبهم، ويؤدي إلى احتقارهم، وفي رواية يرديهم أي: يهلكهم، "كم": خبرية بمعنى كثير الصدق: "نالوا": أعطوا ومنحوا، "الجاهد": من الجهد، وهو الطاقة والمشقة، أي: الذي يشق على نفسه في عداوتهم، "جدعوا": قطعوا، وقيل: حبسوا والمراد أهانوا وأذلوا.

الشرح:

إن أصحاب الرسول ﷺ من المهاجرين والأنصار سبَّاقون إلى الخير، وكل سبق قريب تابع لسبقهم. كما أنهم كرماء لا يبخلون، أصحاب قناعة فلا يطمعون، يتسمون بالحلم، ولا يخرجهم عن ذلك جهل الجاهلين، أثنى القرآن عليهم مشيدًا بحسن صفاتهم، كما أنهم ينفعون أصدقاءهم، ويضرون أعداءهم.

من مواطن الجمال:

٦ـ في قوله: «إن كان في الناس سباقون» أتى بإن الشرطية ولم يأت بإذا؛ لأن «إن» يكون جوابها غير مقطوع به، وجاءت كلمة: «سبق» نكرة مسبوقة بكلمة «كلّ» التي تفيد العموم إشارة إلى أن أي سبق مهما كان أثره، ومهما كانت قوته، فهو تابع لأقرب سبق لهؤلاء الصحابة.

٧ـ الفعل المضارع المنفي: «ولا يضنون» يوحي بتجدد هذا الوصف، وحدوثه.

ـ جاءت كلمة: «مولى» نكرة لإفادة العموم والشمول، وجاءت كلمة: «مطمع» نكرة للتفخيم، وفي كلمة: «طبع» مجاز مرسل، علاقته الإطلاق والتقييد، غرضه التأكيد.

٩ ـ وفي لفظ «الوحي» مجاز مرسل، علاقته الاشتقاق؛ لأن المراد بالوحي الموحى به وهو القرآن الكريم. وفي قوله: «ولا يرديهم الطمع» مجاز يشخص المسند إليه، وعبارة: «لا يطمعون» كناية عن عفتهم.

١٠ـ اشتمل البيت على مقابلة بين شطريه «صديق لهم نالوا كرامته ... عدو عليهم ... جدعوا» وهي توضح المعنى، وتؤكد ما بين الأمرين من تضاد، وهذا يشير إلى منزلة هؤلاء الصحابة، وعظيم أثرهم، ولعل في هذا ما يوحي بأن الشاعر يريد أن يضع «وفد تميم» أمام هذين الأمرين ليختار ما يحب منهما.

الأبيات من (١١ ـ ١٤): طاعة وتواضع:

أعطوا نبيَّ الهدى والبرّ طاعتهمْ، ** فَمَا وَنَى نَصْرُهُمْ عنْهُ وَما نزَعُوا
إن قالَ سيروا أجدُّوا السيرَ جهدَهمُ، ** أوْ قالَ عُوجوا عَلَيْنَا ساعةً، رَبَعُوا
ما زالَ سَيْرُهمُ حتى استقادَ لهمْ ** أهْلُ الصّليبِ، وَمَن كانت لهُ البِيَعُ
لا فَخْرَ إنْ هُمْ أصابُوا من عَدُوّهِم، ** وَإنْ أُصِيبُوا فَلا خُورٌ ولا جُزُعُ

معاني المفردات:

"أعطوا.. طاعتهم": المراد انقادوا، "الهدى": الدلالة على الخير، "البر": اسم جامع لمعاني الخير فيشمل الصلة، والإحسان، وغير ذلك، "ونى": ماضي يني أى: تأخر، "نزعوا": المراد منعوا، وقيل: انصرفوا، "أجدوا جهدهم": أى اجتهدوا فيه، أو عجلوا على قدر طاقتهم، "عوجوا": الأمر من عاج، أي: أقام ووقف، "رَبَعُوا": انتظروا، "استقاد": استسلم وخضع، "أهل الصليب": أي: النصارى، "البيع": جمع بيعة المراد بها: معابد اليهود، "خورٌ": ضعفاء جبناء مأخوذ من الخور وهو الضعف، "جزع": جمع جزوع، وهو الذي لا يصبر على المصيبة.

الشرح:

إن هؤلاء الصحابة قد انقادوا لرسول الله ﷺ فهم له مطيعون، وعليه مقبلون، وبنصرته ملتزمون، وعنه لا يدبرون، وآية ذلك: إن قال لهم سيروا جدوا في سيرهم، وإن قال قفوا لزموا أماكنهم، ومازال هذا حالهم حتى استجاب أهل الملل الأخرى لهم، فدخلوا في دين الله، ومع ذلك فهم لا يفتخرون إذا هَزَمَوا أعداءهم، وإن هُزِموا فلا يجزعون.

من مواطن الجمال:

١١ ـ في قوله: «أعطوا نبي الهدى والبر طاعتهم» مجاز يوحي بالتشخيص والتجسيم حيث جعل الطاعة شيئًا يُهتدى ويُعْطَى.

١٢ ـ وفى البيت طباق بين «سيروا وعوجوا، وبين أجدوا وربعوا» يبين طاعتهم للرسول في كل الأحوال، واستجابتهم لأوامره في عموم الهيئات.

١٣ ـ وفى قوله: «مازال سيرهم ...» تعبير يوحي بالاستمرار، ويؤكد طاعتهم.

١٤ ـ وفى البيت مقابلة بين شطريه، وضحت صبر الصحابة في حالتي النصر والهزيمة، مما يشير إلى قوة إيمانهم، وتأثرهم بروح الإسلام.

الأبيات من (١٥ ـ ١٧): مدح صادق:

أكرمْ بقومٍ رسـولُ الله شيعتهمْ، ** إذا تفرّقَتِ الأهْوَاءُ والشِّـيَعُ

أهْدَى لهُـمْ مدَحي قَلْبٌ يُؤازِرُهُ ** فِيما يُحِبُّ لِسَـانٌ حائِكٌ صَنَعُ

فإنّهُمْ أفضَـلُ الأحْيَاء كلّهِم، ** إنْ جَدّ بالنّاسِ جِدُّ القوْلِ أوْ شمعوا

معاني المفردات:

"شيعتهم": الشيعة الأنصار، والمراد: ناصرهم، "ويروى": قائدهم، "يؤازره": يعاونه، "حائك": صائغ، "صنع": حاذق فطن، "جد القول": من إضافة الصفة إلى الموصوف أي القول الجاد غير الهازل، "شمعوا": طربوا ولعبوا والمراد: هزلوا.

الشرح:

ما أكرم هؤلاء الصحابة الذين جمعهم رسول الله ﷺ، وألف بينهم على طريق واحد، يهتدون بهديه حين تتفرق أهواء النفوس، وتتباين آراء الجماعات، إنني أمدحهم بمدح نابع من قلبي، ويعاونه لسان بليغ في صدق الثناء، لأنهم أفضل الناس جميعًا في كل حال.

من مواطن الجمال:

١٥ـ في قوله: «أكرم بقوم رسول الله شيعتهم» إنشاء، غرضه التعجب، يجذب الانتباه، وجاءت كلمة: (قوم) نكرة لتفخيم أمرهم، وتعظيم شأنهم.

١٦ـ وجاءت كلمة: (قلب) نكرة للتعظيم، وفي إسناد «أهدى» إلى «قلب» مجاز لا يخفى أثره في بيان أثر هذا القلب، وجاءت كلمة: «لسان» نكرة للتعظيم وبيان القدرة على الثناء والمدح.

١٧ـ عبر بالجملة الاسمية: «فإنهم أفضل الأحياء كلهم ...» للدلالة على الثبوت والدوام، كما أكدها بإنَّ، وأضاف «أفضل» إلى «الأحياء» وأتى بلفظ «كلهم» ليؤكد فضل هؤلاء الصحابة، ويشير إلى منزلتهم في كل حال، وفي قوله: «جد القول أو شمعوا» طباق يُبيِّن أَنّ الصحابة أفضل الناس في كل الأحوال، رضوان الله عليهم جميعًا.

تعليق عام على القصيدة:

امتازت هذه القصيدة بالصدق في وصف الرسول ﷺ وصحابته، والشاعر لم يبدأ قصيدته بمقدمة؛ وذلك لأنه يرد على شاعر تميم الذي لم يبدأ قصيدته بمقدمة أيضًا.

وقد امتازت معاني القصيدة بالوضوح والصدق والسمو. وكانت عاطفة الشاعر قوية جياشة صادقة في الدفاع عن الدين، والإشادة بمبادئه.

أما ألفاظها وتراكيبها فكانت سهلة واضحة، متأثرة بأسلوب القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف. ولا يخفى أثر البيئة في القصيدة؛ لأن غرضها الأصلي هو مدح الرسول ﷺ وصحابته.

تدريبات

١ـ يقول الشاعر:

إنّ الذوائبَ منْ فهرٍ وإخوتهمْ *** قدْ بينوا ســـنةً للنـــاسِ تتبعُ
يَرْضَى بهَا كُلُّ مَن كانَتْ سَرِيرَتُهُ *** تقوى الإلهِ وبالأمرِ الذي شرعوا
قومٌ إذا حاربوا ضروا عدوهمُ، *** أوْ حاوَلُوا النّفْعَ في أشياعِهِمْ نفعوا
ســـجيةٌ تلكَ منهمْ غيرُ محدثةٍ، *** إنّ الخلائِقَ، فاعلَمْ، شرُّها البِدَعُ
لا يَرْقعُ النّاسُ ما أوْهَتْ أكفُّهُمُ *** عندَ الدفاعِ، ولا يوهونَ ما رقعوا

(أ) ما معنى «الذوائب»؟ وما المراد بـ «إخوتهم»؟

(ب) في قوله: «إن الذوائب من فهر وإخوتهم» صورة بيانية، وضحها.

(جـ) لماذا نكر كلمة سجية؟

(د) في البيت الأخير استعارتان وضحهما.

٢ـ يقول الشاعر:

إن كان في الناس سباقون بعدهمُ، *** فكلُّ ســـبقٍ لأدنى سبقهمْ تبعُ
ولا يَضِنُّـــونَ عَنْ مَوْلًى بِفَضْلِهِمِ، *** وَلا يُصِيبُهُـــمُ في مَطْمَعٍ طَبَعُ
لا يجهلونَ، وإن حاولتَ جهلهمُ، *** في فضلِ أحلامهمْ عن ذاكَ متسعُ
أعِفّةٌ ذُكِرَتْ في الوَحيِ عِفّتُهُمْ، *** لا يَطْمَعونَ، ولا يُرْديهمُ الطّمَعُ
كم من صديقٍ لهمْ نالوا كرامتهُ، *** ومِنْ عَدُوٍّ عَليهمُ جاهدٍ جدعوا

(أ) ما مفرد «أعفة»؟، وما معنى «أحلامهم»؟ وما مضاد الطمع؟

(ب) لماذا عبر بالمضارع «ولا يصيبهم»؟

(جـ) استخرج مجازًا، وبين علاقته، وسرَّ بلاغته.

(د) في البيت الخامس لون بديعي عينه، وبيِّن سرَّ بلاغته.

٣ـ يقول الشاعر:

أعطوا نبيَّ الهدى والبرّ طاعتهمْ، ** فما وَنَى نَصْرُهُمْ عنْهُ وَما نَزَعُوا
إن قالَ سيروا وأجدوا السيرَ جهدهمُ، ** أوْ قالَ عوجوا عَلَيْنَا ساعةً، رَبَعُوا
ما زالَ سيرهمُ حتى استقادَ لهمْ ** أهْلُ الصّليبِ، ومَن كانت لهُ البِيَعُ
لا فَخْرَ إنْ هُمْ أصابُوا من عَدُوّهِمِ، ** وَإنْ أُصِيبُوا فلا خُورٌ ولا جُزُعُ

(أ) ما المراد بقوله: «ومن كانت له البيع»؟

(ب) «أعطو طاعتهم» مجاز وضحه، وبيِّن سرَّ جماله.

(جـ) ما سرُّ التعبير بـ «إن» في قوله: «إن قال سيروا ...»؟

(د) في البيت الأخير مقابلةَ بيِّنها، وبيِّن سرَّ بلاغتها.

٤ـ يقول الشاعر:

أكرمْ بقومٍ رسولُ الله شيعتهمْ ** إذا تفرّقَتِ الأهْوَاءُ والشِّيَعُ
أهْدَي لَهُمْ مِدَحي قَلبٌ يُؤازِرُهُ ** فِيما يُحِبُّ لِسَانٌ حائِكٌ صَنَعُ
فإنّهُمْ أفضَلُ الأحْيَاء كلّهِمِ ** إنْ جَدّ بالنّاسِ جِدُّ القوْل أوْ شمعوا

(أ) ما سرُّ التعبيرِ بالأمر في قول الشاعر: «أكرم بقوم رسول الله شيعتهم»؟

(ب) ما سرُّ التعبيرِ بإذا في قوله: «إذا تفرقت الأهواء والشيع»؟

(جـ) هات من الأبيات ما يؤكد فضل الصحابة، واشرحه شرحًا أدبيًّا.

* * *

٢ـ في المديح لكعب بن زهير

أهداف الدرس:

بنهاية الدرس يتوقع أن يكون الطالب قادرًا على أنْ:

١ـ يذكر ترجمة لكعب بن زهير.

٢ـ يكشف مواطن الجمال في النص.

٣ـ يحدد سمات شخصية الشاعر، وخصائص أسلوبه.

٤ـ يشرح أبيات القصيدة بأسلوبه الخاص.

٥ـ يذكر أثر البيئة في النص.

التعريف بالشاعر:

هو كعب بن زهير بن أبي سلمى المزني. عاش في الجاهلية وأدرك الإسلام، ولذا فهو شاعر مخضرم. تتلمذ في الشعر على يد والده. وحين رآه زهير يقول الشعر مبكرًا، منعه خشية أن يأتي منه بما لا خير فيه؛ فيكون سبّة له ولأسرته، التي كان لها في الشعر قدم راسخة، وصيت بعيد. غير أن كعبًا استمر؛ فامتحنه والده امتحانًا شديدًا تأكد بعده من نبوغه، ومقدرته الشعرية، فسمح له بالانطلاق فيه، فكان من المبرِّزين؛ حتى إن الحطيئة، وهو من هو في ميزان الشعر، رجاه أن يذكره في شعره.

المناسبة:

كان كعب في اكتمال شبابه عندما ظهر أمر النبي ﷺ، وأخذ الناس يتحدثون بالإسلام. فأرسل أخاه بُجَيْرًا إلى الرسول يستطلع أمر الدين الجديد، وما إن اتصل بجير بمحمد ﷺ حتى آمن به، وبقي في المدينة، فغضب كعبٌ أشد الغضب، ونظم أبياتًا من الشعر يوبخ فيها بجيرًا على ترك دين الآباء، ويعرّض بالرسول، وأرسل كعب الأبيات إلى أخيه، فاطلع عليها النبي ﷺ، فأهدر دمه، فأرسل إليه أخوه بجير بما كان من الأمر، وحثه على الإسراع في القدوم إلى النبي مسلمًا معتذرًا، ولكنَّ كعبًا رفض ذلك، وأراد الاحتماء بقبيلته فأبت عليه ذلك.

وكثر المرجفون به من أعدائه، وسدت في وجهه السبل، فاستجاب لنصح أخيه، وقـدم المدينة، وأتى الرسول ﷺ وهو بين أصحابه في المسجد، فجلس بين يديه، ووضع يده في يده والنبي لا يعرفه، وقال: يا رسول الله، إن كعبًا ابن زهير أتاك تائبًا مسلمًا، فهل أنت قابل منه؟ فأجابه: نعم. قال: فأنا كعب، فوثب رجل من الأنصار، قائلًا: دعني يا نبي الله أضرب عنقه، فكفه النبي ﷺ عنه. وأنشد كعب حينئذ قصيدته "بانت سعاد" التي منها هذه الأبيات. ويقال: إنَّ النبي ﷺ خلع عليه بردته حين وصل في الإنشاد إلى قوله: إن الرسول لنور يستضاء به.

القصيدة:

بانَـت سُـعادُ فَقَلبي اليَـومَ مَتبولُ ** مُتَيَّـمٌ إِثرَهـا لَم يُفـدَ مَكبولُ
وَما سُـعادُ غَـداةَ البَـينِ إِذ رَحَلوا ** إِلّا أَغَنُّ غَضيضُ الطَرفِ مَكحولُ
هَيفـاءُ مُقبِلَةً عَجـزاءُ مُدبِرَةً ** لا يُشتَكي قِصَرٌ مِنها وَلا طولُ
تَجلو عَوارِضَ ذي ظَلمٍ إِذا اِبتَسَمَت ** كَأَنَّهُ مُنهَـلٌ بِالـراحِ مَعلولُ
يَسعى الوُشاةُ بِجَنبَيها وَقَولُهُم ** إِنَّـكَ يا بنَ أَبي سُـلمى لَمَقتولُ
وَقـالَ كُلُّ خَليلٍ كُنـتُ آمُلُهُ: ** لا أُلفِيَنَّـكَ إِنّي عَنكَ مَشـغولُ
فَقُلتُ خَلّوا سـبيلي لا أَبا لَكُمُ ** فَـكُلُّ ما قَدَّرَ الرَحمَـنُ مَفعولُ
كُلُ اِبنِ أُنثى وَإِن طالَت سَلامَتُهُ ** يَوماً عَـلى آلَةٍ حَدبـاءَ مَحمولُ
أُنبِئتُ أَنَّ رَسـولَ اللهَ أَوعَدَني ** وَالعَفُوُ عِندَ رَسـولِ اللهَ مَأمولُ
مَهلاً هَداكَ الَّذي أَعطاكَ نافِلَةَ الـ ** ـقُرآنِ فيها مَواعيظٌ وَتَفصيلُ
إِنَّ الرَسولَ لَنورٌ يُسـتَضاءُ بِهِ ** مُهَنَّدٌ مِن سُـيوفِ اللهَ مَسلولُ
في عُصبَـةٍ مِن قُرَيشٍ قـالَ قائِلُهُم ** بِبَطـنِ مَكَّةَ لَمّا أَسـلَموا زولوا
زالوا فَـمازالَ أَنكاسٌ وَلا كُشُـفٌ ** عِنـدَ اللِقاءِ وَلا ميـلٌ مَعازيلُ
شُـمُّ العَرانينِ أَبطالٌ لَبوسُهُمُ ** مِن نَسجِ داوُدَ في الهَيجا سَرابيلُ
بيضٌ سَـوابِغُ قَد شُـكَّت لَها حَلَقٌ ** كَأَنَّهـا حَلَقُ القَفعـاءِ مَجدولُ

يَمشون مَشيَ الجِمالِ الزُهرِ يَعصِمُهُم ** ضَربٌ إِذا عَرَّدَ السـودُ التَنابيلُ
لا يَفرَحـونَ إِذا نالَت رِماحُهُمُ ** قَوماً وَلَيسـوا مَجازيعاً إِذا نيلوا
لا يَقَعُ الطَعـنُ إِلّا في نُحورِهِمُ ** ما إِن لَهُم عَن حِياضِ المَوتِ تَهليلُ

الشرح والتحليل:

الأبيات من (١ـ ٤): (حزن الشاعر لفراق محبوبته ووصفها):

١ـ بانَت سُعادُ فَقَلبي اليَومَ مَتبولُ ** مُتَيَّـمٌ إِثرَهـا لَم يُفـدَ مَكبولُ
٢ـ وَما سُعادُ غَداةَ البَينِ إِذ رَحَلوا ** إِلّا أَغَنُّ غَضيضُ الطَرفِ مَكحولُ
٣ـ هَيفـاءُ مُقبِلَةً عَجـزاءُ مُدبِرَةً ** لا يُشتَكى قِصَرٌ مِنها وَلا طولُ
٤ـ تَجلو عَوارِضَ ذي ظَلمٍ إِذا اِبتَسَمَت ** كَأَنَّهُ مُنهَـلٌ بِالـراحِ مَعلولُ

معاني المفردات:

"بانت": من البين، أي: بعدت، "متبول": سقيم عليل، "متيم": استولى عليه الحب فأذله، "مكبول": مقيد لم يفك أسره، "غداة البين": ساعة الفراق، "أغن": في صوته غنة، "غضيض الطرف": فاترة العينين، "مكحول": من الكَحَل، "هيفاء": ضامرة البطن، دقيقة الخصر، "عجزاء": كبيرة العجز، "العوارض": الأسنان، "الظَلم": بريق الأسنان، "منهل": أول الشرب، "الراح": الخمر، "معلول": مخلوط مرتين بالخمر.

الشرح:

في هذه الأبيات يصف الشاعر حالته النفسية، والحزن الذي أصيب به لفراق محبوبته، فيقول: لقد تركتني سعاد ورحلت عني؛ فأثّر فراقها في قلبي، فأصبحت متعلقًا بها، ثم يصف سعاد لحظة رحيلها مع قومها، بأنها بدت كغزال في صوتها غنة، وفي عينيها حياء واكتحال، ويصفها عندما تقبل بأنها خفيفة من أعلاها دقيقة الخصر، وعندما تدبر تبدو عظيمة العجز، كما أنها كانت معتدلة القامة، فليست بالطويلة ولا القصيرة، كما يصف أسنانها عندما تبتسم، وما فيها من ريق رطب راوٍ كأنها مسقية بالخمر، وبياضها ناصع.

من مواطن الجمال:

فى قوله: (متبول ، مكبول) جناس غير تام يبرز المعنى. وفي البيت الثاني: تشبيه، حيث شَبَّه سعادَ لحظة رحيلها بصورة غزال، في صوتها غنة، وفي عينيها فتور وحياء واكتحال. وقد أكد هذا التشبيه عن طريق القصر والتوكيد بالأداة (إلا). وفى قوله: (هيفاء مقبلة، عجزاء مدبرة) مقابلة، تبرز المعنى وتوضحه، وبين قوله: (قصر، طول) طباق. وفي البيت الرابع: تشبيه، حيث تخيَّل شدة لمعان أسنانها، كأنها مسقية بالخمر نهلا، أي: أكثر من مرة.

الأبيات من (٥ ـ ١٠): خوف الشاعر واعتذاره للرسول ﷺ:

٥ـ يَسعى الوُشـاةُ بِجَنبَيها وَقَولُهُم ** إِنَّكَ يا بنَ أَبي سُــلمى لَمَقتولُ
٦ـ وَقـالَ كُلُّ خَليلٍ كُنـتُ آمُلُهُ ** لا أُلفِيَنَّكَ إِنّي عَنكَ مَشـغولُ
٧ـ فَقُلتُ خَلّوا سـبيلي لا أَبا لَكُمُ ** فَكُلُّ ما قَـدَّرَ الرَحمَنُ مَفعولُ
٨ـ كُلُ اِبنِ أُنثى وَإِن طالَت سَلامَتُهُ ** يَوماً عَلى آلَةٍ حَدبـاءَ مَحمولُ
٩ـ أُنبِئتُ أَنَّ رَسـولَ اللهِ أَوعَدَني ** وَالعَفُوُ عِندَ رَسولِ اللهَ مَأمولُ
١٠ـ مَهلاً هَداكَ الَّذي أَعطاكَ نافِلَةَ الـ ** ـقُرآنِ فيها مَواعيظٌ وَتَفصيلُ

معاني المفردات:

" آمُلُهُ ": أرجو إعانته لي، "خَلّوا سبيلي": اتركوا طريقي، وابتعدوا عني، "لا أَبا لَكُمُ": تعبير كنائي للمدح والذم على حسب السياق، السلامة: الحياة أو النجاة من الأمراض المنذرة بالموت، "آلَةٍ": نعش، "حَدباءَ": معوجة، "أَوعَدَني": أنذرني بالشر والمكروه، "نافِلَةَ": زيادة.

الشرح:

في هذه الأبيات يذكر الشاعر سعي الوشاة الذين وشوا به إلى النبيﷺ، وَبَيَّنَ كيف أنه استجار بأصحابه وبني قومه فما أجاروه، مما جعله وحيدا لا يجد غير الله يلجأ إليه، ويسلمه أمره،فكل ما قدر الله كائن لابد من وقوعه، كما أن كل إنسان لابد وأن يحمل على النعش يوما، لذلك فلن يخيفه الموت، وسيقدم على الرسول ﷺ وكله أمل في عفوه وصفحه وتأمينه من آثار وعيده، فهو الرسول المعروف

بالعفو والصفح، وهو الذي أعطاه الله نعمة القرآن، التي فيها بيان وتوضيح لأمور الدين الإسلامي، ويطلب منه عدم معاقبته بأكاذيب النمامين الوشاة، حتى وإن كانت كثيرة، إلا أنها ملفقة مفتراة.

من مواطن الجمال:

في قوله:«خلوا» إنشاء، نوعه أمر، والغرض منه الالتماس،وفي قوله: «لا أبالكم» إنشاء يفيد النفي بغرض الدعاء، يدعو على من يخوّفه بفقد الأب،وفي قوله: «ابن أنثى» كناية عن الإنسان، وفي قوله: «آلة حدباء» كناية عن النعش. وَسِرُّ جمالها، التعبير عن المعنى مصحوبًا بالدليل، وكرر لفظ «رسول الله» للتعظيم، وفي قوله: «مهلًا» إنشاء، نوعه أمر، والغرض منه الالتماس. وفي قوله: «الذي أعطاك نافلة القرآن» كناية عن موصوف عظيم هو الله سبحانه وتعالى، وكلمة: «نافلة» توحي بأن الله أنعم على الرسول بعلوم كثيرة، أجلها القرآن الكريم.

الأبيات من (١١ـ١٨): مدح الرسول ﷺ والمهاجرين:

١١ـ إِنَّ الرَّسـولَ لَنورٌ يُستَضاءُ بِهِ *** مُهَنَّدٌ مِن سُـيوفِ اللهِ مَسلولُ

١٢ـ فِي عُصبَةٍ مِن قُرَيشٍ قالَ قائِلُهُم *** بِبَطنِ مَكَّةَ لَمّا أَسـلَموا زولوا

١٣ـ زَالوا فَمازالَ أَنكاسٌ وَلا كُشُـفٌ *** عِندَ اللِقـاءِ وَلا ميلٌ مَعازيلُ

١٤ـ شُـمُّ العَرانينِ أَبطالٌ لَبوسُهُمُ *** مِن نَسجِ داوُدَ في الهَيجا سَرابيلُ

١٥ـ بيضٌ سَوابِغُ قَد شُكَّت لَها حَلَقٌ *** كَأَنَّهـا حَلَقُ القَفعـاءِ مَجدولُ

١٦ـ يَمشونَ مَشيَ الجِمالِ الزُهرِ يَعصِمُهُم *** ضَربٌ إِذا عَرَّدَ السودُ التَنابيلُ

١٧ـ لا يَفرَحونَ إِذا نالَت رِماحُهُمُ *** قَوماً وَلَيسـوا مَجازيعاً إِذا نيلوا

١٨ـ لا يَقَـعُ الطَعنُ إِلّا في نُحورِهِمُ *** ما إِن لَهُم عَن حِياضِ المَوتِ تَهليلُ

معاني المفردات:

المهند": السيف المصنوع من حديد الهند: وهو أجود أنواع السيوف، "مسلول": مجرد من غمده، أو مشرع في وجه الأعداء، "عصبة": جماعة، قائلهم الرسول ﷺ، "زولوا": هاجروا، "أنكاس: جمع نكس": الضعيف الذليل، "كُشف": جمع أكشف الذي لا سلاح معه، "ميل: جمع أَمْيَل: الجبان الذى لا يحسن ركوب الخيل، ولا يستقر على ظهر فرس، "معازيل: جمع معزال": الذي ينعزل عن صحبه

في الحرب، أو هو الضعيف الأحمق، "شُمّ: جمع أشم": العالي المرتفع، "العرانين: جمع عرنين": الأنف، "الهيجا": الحرب، "سرابيل": دروع، "الزهر": البيض، "يعصمهم": يمنعهم، "عَرَّد": جبن، وهرب فرَّ جبنًا، "التنابيل: جمع تنبال": القصير، "نالت": أصابت، "مجازيع: جمع مجزاع": كثير الجزع، "نحورهم: جمع نحر": أعلى الصدر، "حياض الموت: جمع حوض"، والمراد ميادين القتال، "تهليل": فرار ونكوص.

الشرح:

هنا يبدأ الشاعر في مدح الرسول ﷺ والمهاجرين، فيصف الرسول ﷺ بالنور الذي يهتدي به، وبأنه سيف من سيوف الحق والعدالة الـمُشرَعَة في وجوه الأعداء، تحوطه جماعة من قريش دانت بالإسلام وهاجرت من مكة في سبيله، ثم يصف المهاجرين بأنهم عندما هاجروا كانوا أقوياء، شجعان، أباة، ولباسهم في الحروب متقن الصنع، وكأنه من نسج داود عليه السلام، كما أنهم يحاربون بجرأة ويضربون باستبسال إذا هرب الجبناء وفر الرعاديد،و إذا غلبوا عدوهم لا يفرحون بذلك؛ لأن النصر من عادتهم، وإذا غلبهم العدو لا يجزعون من لقائه لثقتهم بالتغلب عليه، وهم يلاقون العدو بصدورهم، ولا يفرون عن موارد الردى وساحات القتال.

من مواطن الجمال:

فى قوله: «إن الرسول لنور» تشبيه بليغ، حيث شبَّه الرسولَ ﷺ بالنور ووجه الشبه الهداية في كلٍّ، وفى قوله: «يستضاء به» استعارة مكنية، حيث شبَّه الرسولﷺ بالمصباح الذي يهتدي به في الظلام، وفى قوله: «سيوف الله» كناية عن رجال الله وأنبيائه،وجاءت كلمة: «عصبة» نكرة للتعظيم، وفى قوله: «فما زال أنكاس ولا كشف ... ولاميل معازيل» نَفَى عنهم هذه الصفات ليثبت لهم ضدها، وهى القوة والشجاعة، وتمام العُدَّة فى الحرب تأكيدًا لهذه المعاني، وفى قوله: «شُمُّ العرانين» كناية عن صفة العزة والإباء والترفع عن الدنايا، وفى: «لبوسهم من نسج داود» كناية عن متانة الدروع، ودقة الصنع، وفي قوله: «يمشون مشي الجمال الزهر» تشبيه، وفى قوله: «التنابيل» كناية عن صفة الضعف، وقصور الهمة، وفي البيت مقابلة بين فريقين: المؤمنين يدفعهم إيمانهم إلى التقدم وطلب الشهادة، والكفار يسيطر عليهم الجبن والضعف؛ فيتراجعون، وفى البيت السابع عشر: كناية عن أخلاق المسلمين، فهم لا يشمتون في أعدائهم عند النصر، ولا يصيبهم الجزع والخوف عند الهزيمة؛ لأنهم يعرفون أن الأيام دول، وأن الصبر على البلاء قوة، وفيه، مقابلة تبين حال المسلمين في الموقفين: النصر والهزيمة، وفي قوله: «لايقع الطعن

إلا في نحورهم» كناية عن الشجاعة والإقدام، وأكدها بأسلوب القصر، وفي قوله: «حياض الموت» استعارة تصريحية، حيث شَبَّه ساحةَ المعارك بِحياض الموت، وصرح بالمشبه به.

التعليق العام على القصيدة:

يتضح أثر الإسلام في معاني القصيدة فقد مثل ذلك بدروع داود عليه السلام «من نسج داود»، الذي كان ماهرًا في صنع الدروع، كما تأثر بالقرآن الكريم في وصفه لأصحاب الرسول ﷺ بالقوة، وإعداد العدة للأعداء، وامتازت القصيدة بدقة التركيب ووضوح المعاني، وقدرة الألفاظ على حسن الأداء، واختيار المعاني والصور الملائمة لموقف الاستعطاف، وقلة المحسنات البديعية، ولجأ كعب في رسم صوره إلى البيئة المحيطة، فهي بدوية صحراوية.

❊ ❊ ❊

تدريبات

١ ـ يقول الشاعر:

بانَت سُعادُ فَقَلبي اليَومَ مَتبولُ ** مُتَيَّمٌ إِثرَها لَم يُفدَ مَكبولُ
وَما سُعادُ غَداةَ البَينِ إِذ رَحَلوا ** إِلّا أَغَنُّ غَضيضُ الطَرفِ مَكحولُ
هَيفاءُ مُقبِلَةً عَجزاءُ مُدبِرَةً ** لا يُشتَكى قِصَرٌ مِنها وَلا طولُ

(أ) ما العاطفة المسيطرة على الشاعر؟

(ب) في البيت الثاني تشبيه، وضحه، وبيِّن سرَّ بلاغته.

(جـ) في البيت الثالث مقابلة، بَيِّنها، وبيِّن أثرهَا في المعنى.

٢ ـ يقول الشاعر:

إِنَّ الرَسولَ لَنورٌ يُستَضاءُ بِهِ ** مُهَنَّدٌ مِن سُيوفِ اللهِ مَسلولُ
في عُصبَةٍ مِن قُرَيشٍ قالَ قائِلُهُم ** بِبَطنِ مَكَّةَ لَمّا أَسلَموا زولوا
زَالوا فَمازالَ أَنكاسٌ وَلا كُشُفٌ ** عِندَ اللِقاءِ وَلا ميلٌ مَعازيلُ
شُمُّ العَرانينِ أَبطالٌ لَبوسُهُمُ ** مِن نَسجِ داوُدَ في الهَيجا سَرابيلُ
بيضٌ سَوابِغُ قَد شُكَّت لَها حَلَقٌ ** كَأَنَّها حَلَقُ القَفعاءِ مَجدولُ
يَمشونَ مَشيَ الجِمالِ الزُهرِ يَعصِمُهُم ** ضَربٌ إِذا عَرَّدَ السودُ التَنابيلُ
لا يَفرَحونَ إِذا نالَت رِماحُهُمُ ** قَوماً وَلَيسوا مَجازيعاً إِذا نيلوا
لا يَقَعُ الطَعنُ إِلّا في نُحورِهِمُ ** ما إِن لَهُم عَن حِياضِ المَوتِ تَهليلُ

(أ) فى البيت الأول تشبيه وضحه.

(ب) استخرج لونًا بديعيًّا، وبيِّن أثرَهُ في المعنى.

(جـ) ما دلالة الاستعارة في قوله: «حياض الموت»؟

(د) انثر الأبيات بأسلوبك

٣ـ زفرة والد لأمية بن أبي الصلت

أهداف الدرس:

بنهاية الدرس يتوقع أن يكون الطالب قادرًا على أنْ:

١ـ يذكر ترجمة لأمية بن أبي الصلت.

٢ـ يكشف مواطن الجمال فى النص.

٣ـ يحدد سمات شخصية الشاعر، وخصائص أسلوبه.

٤ـ يشرح أبيات القصيدة بأسلوبه الخاص.

٥ـ يذكر أثر البيئة فى النص.

٦ـ يحفظ الأبيات المقررة من القصيدة.

التعريف بالشاعر:

أمية بن أبي الصلت، واسم أبي الصلت: عبد الله بن أبي ربيعة بن عوف، وأمية شاعر مخضرم عاش في الجاهلية، وأدرك الإسلام، ولكنه لم يسلم. ولد ونشأ في قبيلة ثقيف بالطائف، وهي القبيلة التي عرفت بأبطالها وشعرائها وخطبائها وعظمائها. وهو شاعر صاحب قيم ومبادئ، أخذها عن أهل الديانات السابقة، وحكماء العرب.

يمتاز شعره بالسهولة، والدخيل من الألفاظ، وتناول الأساطير والأمور الدينية، مع المدح، والحكمة.
مات كافرًا سنة تسع من الهجرة بالطائف

قال أمية بن أبي الصلت يعتب على ابن له:

غَذَوْتُـكَ مولودًا وَعُلتُـكَ يافعًا ** تُعَلُّ بـما أُدْنِي إليـك وتَنْهَلُ
إذا ليلـةٌ نابَتْـكَ بالشَّـكْوِ لم أَبِتْ ** لشَكْواكَ إِلا سـاهرًا أَتَمَلْمَلُ
كأني أنـا المطـروقُ دوَنكَ بالذي ** طُرِقْـتَ بـه دوني وعينـيَ تَهْمـلُ
تخَافُ الرَّدَى نَفْسِي عليكَ وإنها ** لتَعلـمُ أن المـوتَ حتـمٌ مؤجّـلُ

فلـما بَلَغْتَ السِّـنَّ والغايـةَ التي ** إليهـا مَدَى ما كُنْت فيـكَ أُؤَمِّلُ
جَعَلْتَ جزائي منكَ جَبْهًا وغِلْظَةً ** كأنــكَ أنتَ المنعِـمُ المتفضِّلُ
فليتـــكَ إذ لم تَرْعَ حَـقَّ أُبُوَّتي ** فَعَلْتَ كـما الجارُ المجاوِرُ يفعلُ
وسَـمَّيْتَني باسْـمِ المُفَنَّدِ رأيُهُ ** وفي رَأْيِكَ التفنيدُ لو كُنْتَ تعقلُ
تَـراهُ مُعِـدًّا للخِـلافِ كأنــهُ ** بِرَدٍّ على أَهْــلِ الصَّوَابِ مُوَكَّلُ

معاني المفردات:

"غذاه": قام بمؤنته، "عاله": كفله، وقام به، "اليافع": من قارب العشرين، "تعل": من العلل، وهو الشرب الثاني، "والنهل": الشرب الأول، يريد أنه يسبغ عليه من نعمه مرة بعد مرة. "وفي المثل": علل بعد نهل، "نابتك": أصابتك، "أتململ": أتقلب على الملة وهي الجمرة من شدة الألم، "المطروق": المصاب، دونك: بدلًا عنك، "تهمل": يسيل منها الدمع، "الردى": الموت والهلاك، "حتم": لا مفر منه، "مؤجل": أي له وقت مؤخر، "الغاية": الهدف، "أؤمل": أتمنى، "جبها": مقابلتي بما أكره، "غلظة": قسوة، "المنعم": الذي ينعم ويتفضل، "لم ترع": لم تحافظ، "حق أبوتي": حق الأب على ابنه، "فنده": نسبة إلى سوء العقل. "مُعدًّا": أي محضرًا ومهيئًا.

الشرح:

هذه القصيدة تصور نكران الجميل من ابن نحو أبيه، بعد أن أطعمه وسقاه ورباه حتى صار شابًّا يافعًا. فقد تحمل الأب العذاب والسهر في سبيل راحة ابنه والتخفيف عن كل ما أصابه من آلام وأحزان، ولكن ذلك كله قد ضاع سدى أمام جحود الابن، وعدم وفائه لمن كان سبب وجوده ونعمته.

١ـ ففي البيت الأول يبين الأب مظاهر عطفه على ابنه، فلقد غذاه طفلًا صغيرًا، ورعاه ورباه شابًّا يافعًا، وقدم له ما يريد وأكثر مما يريد.

٢ـ البيت الثاني يجسم لنا مدى القلق والألم الذي كان يعتصر قلب الأب، عندما يمس ابنه مكروه.

٣ـ وأما البيت الثالث فإنه يجسم لنا مدى التلاحم والترابط بين مشاعر الأب الصادق عندما يتعرض ابنه للخطر، فكأن الأب هو المصاب بالآلام دون ابنه، فالدموع تنساب من عينيه حارة تعبر عن شدة وقسوة الألم ومعاناته.

٤ـ وفي البيت الرابع يكشف الأب الستار عن شدة خوفه وهلعه على ابنه، فيوضح لنا أنه يخاف من شبح الموت أن يتخطف ابنه مع إيمانه القوي بأن الموت حتم لا مفر منه.

٥ـ وفي البيتين الخامس والسادس يعبر الأب عن شدة صدمته في ابنه، ويبين ما حدث، ويا لهول ما حدث، فلقد قابل الابن الشكر بالجحود، والوفاء بالغدر، فإذا به فظ غليظ وعاقٌّ منكر فضل والده عليه.

٦ـ وفي البيت السابع ـ وبعاطفة الأبوة الحانية ـ يعاتب الأب ابنه عتابًا رقيقًا ورفيعًا، قائلاً له: كم كنت أتمنى أن تعاملني معاملة الجار لجاره، فتحسن لقائي، ومعاملتي ما دمت لا ترعى للأبوة حقها، وما دمت تقابل النعمة والفضل بالجحود والنكران.

٧ـ وفي البيتين الثامن والتاسع يبين الأب أن ابنه ينسبه إلى سوء العقل، ويصمه بسوء الرأي والغباوة، ولو كان الابن عاقلاً لعلم أن سوء الرأي والغباوة حقيق بأن ينسب إليه، لا إلى الأب.

العاطفة المسيطرة على الشاعر فى النص:

العاطفة المسيطرة على القصيدة هي: عاطفة الألم والحزن والعتاب، لعدم تقدير حق الأبوة ونكران الجميل، ومقابلة الإحسان بالإساءة.

من مواطن الجمال:

بين قوله: (مولودًا ويافعًا): طباق يبين تمام النعمة، وفى قوله:(تعلُّ بما أدنى إليك وتنهل): كناية عن تقديم الأب لابنه كل متطلباته، وفى قوله: (كأنك أنت المنعم المتفضل): تشبيه وكذلك فى قوله: (فعلت كما الجار المجاور يفعل)، وفى قوله:(لم أبت لشكواك إلاساهرًا) قصر، طريقه النفى والاستثناء، وهو قصر موصوف على صفة، وفى قوله: (فليتك): إنشاء، نوعه: تمنٍّ، وغرضه إظهار عقوق ولده له وغلظته معه حتى أصبح الإحسان منه بعيد المنال.

الكلمات الموحية:

١ـ (غذوتك ـ عُلتك ـ لم أبت): كلمات توحي بالعواطف النبيلة من الأب تجاه ابنه.

٢ـ (تعل بما أدنى إليك وتنهل): تعبير يوحي بالحنان المكثف، ويوحي –أيضًا– بشدة حرص الأب على أن يقدم لابنه ما يريد وأكثر مما يريد.

٣ـ وكلمة: (أتململ): توحي بقسوة الألم، كما أنها تجسم القلق، وتركزه في قلب الأب وجسده، وحركاته وسكناته؛ ليمتص ما يصيب ابنه من الآلام والأحزان في كل وقت.

٤ـ وكلمة: (تهمل): توحي بشدة الألم.

٥ـ وكلمة: (جبهًا): توحي بعدم وفاء الابن وغلظته، ونكرانه فضل الأبوة.

تعليق عام على النص:

١ ـ القصيدة تمتاز بالتجربة الشعرية الحية والمؤثرة، التي كان لها أثرها في التعبير والتصوير. وهذا يرد قول من يزعمون أن الشعر الجاهلي خالٍ من التجارب الشعرية الصادقة، وخالٍ من الوحدة الفنية.

٢ ـ أفكار الشاعر ومعانيه واضحة ومترابطة.

٣ ـ الصور الخيالية قليلة في هذه القصيدة، ولعل السبب في ذلك هو أن الشاعر آثر الحقيقة الصادقة، والكلمة المعبرة.

٤ ـ اعتمد الشاعر على الأسلوب الخبري؛ لأنه أقدر على بيان المراد.

٥ ـ ألفاظ الشاعر وعباراته سهله، وأبياته تتوالى وتهز المشاعر في آن واحد.

٦ ـ الأبيات في النص كله مترابطة، فالبيت الثاني توضيح لما قبله، والرابع تعليل، والسادس جواب لما قبله.

وأما البيت الأخير فأمنية دامية في مطلب وحيد متواضع، فالأب يطلب من ابنه حق الجوار بعد عشرة طال مداها.

الموسيقى في القصيدة:

تتجلى في موسيقاها الخارجية التي تتمثل في أمرين:

الأول :الوزن والقافية.

الثاني:حسن التناسب، فنحن عندما نسمع إلى قول الشاعر: (غذوتك) بجوار (مولودًا)، و(علتك) بجوار (يافعًا)، نحس بجمال التناسب كما نحس بموسيقا النغم، وأيضًا تتجلى الموسيقا في القصيدة في موسيقاها الداخلية، التي تتمثل في الكلمات الموحية وارتباطها بحالة الشاعر النفسية.

***

تدريبات

من خلال قراءتك للنص أجب عما يأتى:

١ ـ كيف صَوَّر الأب الشاعر نكران ابنه الجميل؟

٢ ـ ماذا تمنى الأب من ابنه؟ ولماذا؟

٣ ـ لماذا قَلَّت الصور الخيالية في هذه القصيدة؟

٤ ـ ما سرُّ اعتماد الشاعر في قصيدته على الأسلوب الخبري؟

٥ ـ ما الخصائص الفنية لأسلوب الشاعر؟

٦ ـ ما العاطفة المسيطرة على الشاعر في هذه القصيدة؟

٧ ـ ما رأيك في (أطعمتك) بدلاً من (غذوتك)، مع بيان السبب؟

٨ ـ استخرج من القصيدة ما يأتي:

(أ) أسلوب قصر، وبيِّن طريقه، وفائدته.

(ب) أسلوبين إنشائيين مختلفين، وبيِّن غرضَ كل منهما.

(ج) لونًا بيانيًّا، ومحسنًا بديعيًّا، وبيِّن نوعَ كل منهما، وأثره في المعنى.

***

٤ـ خطبة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه

أهداف الدرس:

بنهاية الدرس يتوقع أن يكون الطالب قادرًا على أنْ:

١ـ يذكر ترجمة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه.

٢ـ يوضح مناسبة الخطبة.

٣ـ يحدد سمات شخصية الخطيب وخصائص أسلوبه.

٤ـ يشرح الخطبة بأسلوبه الخاص.

٥ـ يحفظ الفقرات المقررة من الخطبة.

٦ـ يبين أثر البيئة فى أسلوب الخطيب.

٧ـ يبين مواطن الجمال فى الخطبة.

التعريف بالخطيب:

أبو بكر الصديق رضي الله عنه هو عبد اللهّ بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد ابن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي القرشي التيمي. سُمِّيَ أبو بكر على لسان رسول اللهّ صلى الله عليه وسلم صِدِّيقًا، وسبب تسميته أنه بادر إلى تصديق رسول اللهّ صلى الله عليه وسلم ولازم الصدق فلم تقع منه هنة ولا كذبة في حال من الأحوال.

ولد أبو بكر بعد عام الفيل بثلاث سنين تقريباً، وكان رضي الله عنه صَدِيقا لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعث، وهو أصغر منه سنًّا بثلاث سنوات ... هو أول خليفة في الإسلام، وأول أمير أرسل على الحج، حج بالناس سنة تسع هجرية، وأول من جمع القرآن، وأول من سمى مصحف القرآن مصحفًا، وكان يفتي الناس في زمان رسول اللهّ صلى الله عليه وسلم هو وعمر رضي الله عنهما.

توفي أبو بكر رضي الله عنه يوم الاثنين ٢٢ جمادى الآخرة سنة ١٣ هـ وله ٦٣ سنة كرسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر بن الخطاب.

جو النص:

بعد وفاة الرسول اجتمع الأنصار وبعض المهاجرين في سقيفة بني ساعدة ؛ لاختيار خليفة للمسلمين، وانتهى الاجتماع على اختيار أبي بكر الصديق خليفة للمسلمين، وتمت البيعة له تحت تلك السقيفة، ثم اجتمع المسلمون في المسجد فألقى فيهم هذه الخطبة الموجزة وهي أول خُطبة ألقاها أبو بكر ﷺ بعد تولّيه الخلافة، وهي على اختصارها تضع أعظم أساس للعلاقة بين الحاكم والرعية.

الخطبة:

قال ﷺ بعد حمد الله، والثناء عليه: أَمَّا بعد أيُّها النَّاس، فإِنِّي قَدْ وُلِّيتُ عَلَيْكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ، فإِنْ أحْسَنْتُ فأَعِيْنونِي، وإنْ أسأْتُ فقوِّموني، الصِّدقُ أمانةٌ، والكذبُ خيانةٌ، والضَّعيف فيكُم قوِيّ عندي حتى أُريحَ عليه حقَّه ـ إنْ شاء اللهُ، والقويّ فيكم ضعيفٌ عندي حتَّى آخذ الحقَّ منه ـ إن شاء الله. لا يدع أحدٌ منكم الجهاد في سبيل الله، فإنه لا يدعه قوم إلا ضربهم الله بالذُّلِّ ...، ولا تشيع الفاحشة في قوم إلا عمَّهم الله بالبلاء. أَطِيعُونِي مَا أطَعْتُ اللهَ ورسوله، فإنْ عصيتُ الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم.

معاني المفردات:

"وُلِّيت عَلَيْكُمْ": صرت واليًا عليكم، "فأَعِيْنونِي": ساعدوني، "فقوِّموني": أصلحوني، "أريحَ عليه حقَّه": أرده له، لا يدع أحدٌ: لا يترك، "الجهاد": النِّضَال، "في سبيل الله": أي من أجل نصرة الدين، "ضربهم الله": أصابهم "بالذُّل": الهَوَان و الخِزْي، "تشيع": تنتشر، "الفاحشة": الأمور القبيحة من الفعل والقول، "عمَّهم": شملهم، "بالبلاء": بالشدة والمحن، "ما أطعت الله ورسوله": أي زمن طاعتي لهم، "عصيت": خالفت.

الشرح:

بدأ الصديق ﷺ خطبته قائلاً:أيها الناس: لقد اخترتموني خليفة وقائدًا لكم، ولست بخيركم، فإن رأيتموني أسير على طريق الحق فساعدوني وساندوني، وإن رأيتموني أتّبع الهوى، وأَنْحرفُ عن طريق الحق فعليكم بإصلاحي وإرجاعي إلى الحق، فالحق أحق أن يُتّبع، ثم يواصل قائلًا: عليكم بالصدق في كل نصيحة أو رأي؛ فالصدق أمانة سيحاسبكم الله عليه، والكذب أمام الحاكم ـ لأغراض ومآرب في النفس ـ خيانة وشر سيعاقب الله عليه بشدة ... ثم يعلن أن مبدأ المساواة والعدالة هو شعار دولته، فلا يوجد معه إنسان قوي بماله، وآخر ضعيف بفقره. فالكل سيأخذ حقه بإذن الله ... ثم يبين أن الجهاد في سبيل وإعلاء راية الدين واجب على كل قادر ؛ لأن فيه حماية للدولة الإسلامية الناشئة، فالأمة التي

تترك الجهاد، وتتخلى عنه يبتليها الله بالمذلة والهوان والفتن، وتصبح أمة ضعيفة مهانة ... ثم يختتم خطبته بالتأكيد على أن طاعة المؤمنين له مشروطة باستمرار طاعته لشريعة الله ورسوله.

من مواطن الجمال:

في قوله: (أَيُّها النَّاس): نداء حُذِفت أداته للتنبيه، وفي قوله: (فإِنِّي قَدْ وُلِّيتُ عَلَيْكُمْ): أسلوب مؤكد بمؤكدين (إن وقد)، وفي قوله: (وُلِّيتُ عَلَيْكُمْ): بني الفعل للمجهول للعلم بالفاعل، وهم المسلمون، وفي قوله: (وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ): تعبير يدل على شدة تواضع الصديق، فإنهم مجمعون على أنه أفضلهم، وخيرهم رضي الله عنهم كما أنه تعبير مؤكد بحرف الجر الزائد الباء في (بِخَيْرِكُمْ)، وفي قوله: (فإِنْ أَحْسَنْتُ فأَعِيْنونِي، وإنْ أسأْتُ فقوِّموني): أسلوبا شرط، يوضحان حق الحاكم على الرعية، فإن أحسن فالمساعدة له واجبة عليهم، وإن أساء وأخطأ فعليهم إرشاده إلى الحق والصواب،وفي قوله: (فإِنْ أَحْسَنْتُ فأَعِيْنونِي، وإنْ أسأْتُ فقوِّموني): بين العبارتين مقابلة، تبرز المعنى وتوضحه، وفي قوله: (فأَعِيْنونِي - فقوِّموني): إنشاء، نوعه أمر، غرضه النصح والإرشاد، وفي قوله: (الصِّدقُ أمانةٌ، والكذبُ خيانةٌ): سجع، ومقابلة توضح روعة الصدق، وبشاعة الكذب، وفي قوله: (والضَّعيف فيكُم قويّ عندي حتى أُريحَ عليه حقَّه إنْ شاء اللهُ، والقويّ فيكم ضعيفٌ عندي حتَّى آخذ الحقَّ منه إن شاء الله): كناية عن المساواة، والعدالة التامة بين الناس، وبينهما مقابلة توضح المعنى بالتضاد، وفي قوله: (أُريحَ عليه حقَّه): استعارة مكنية، تصور الحق الضائع كأنه إنسان قلق حائر، فإذا ما عاد إلى صاحبه هدأ واستقر، وهي صورة توحي بأثر العدل في استقرار الأمور، وفي قوله: (لا يدع أحدٌ منكم الجهاد في سبيل الله): إنشاء، نوعه نهي، غرضه: التحذير من ترك الجهاد، وفي قوله: (أحدٌ): نكرة للعموم والشمول، وفي قوله: (فإنه لا يدعه قوم إلا ضربهم الله بالذُّلِّ): مواطن جمال عديدة منها:

١ ـ أنها تعليل لما قبلها.

٢ ـ أسلوب مؤكد بمؤكدين: (إن، وأسلوب القصر)، وطريقه النفى والاستثناء بـ (لا وإلا).

٣ ـ وفيها استعارة مكنية تصور الذل سلاحًا يُضْرب به كل من ترك الجهاد في سبيل الله، وسر جمال الصورة التجسيم، وجاءت كلمة: (قوم): نكرة للعموم والشمول.

وفي قوله: (ولا تشيع الفاحشة في قوم إلا عمَّهم الله بالبلاء): قصر، طريقه (النفي والاستثناء) بـ (لا وإلا)، يؤكد على أن المحن والمصائب لا تنتشر إلا عندما تشيع الرذائل بين الناس، وفي قوله: (تشيع): تعبير يوحي بانتشار الفساد وتفشِّيه.

وفي قوله: (أَطيعوني ما أَطعْت الله ورسوله): إنشاء، نوعه أمر، غرضه النصح والإرشاد، ومثله قوله: (فإنْ عصيتُ الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم): إنشاء، نوعه أمر، غرضه النصح والحث، و(إن) هنا تفيد الشك في أن يعصى الصدِّيق الله أو رسوله، وفي قوله: (أَطيعوني ما أَطعْت الله ورسوله، فإنْ عصيتُ الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم): مقابلة توضح أن طاعة الحاكم مرهونة بطاعة الله ورسوله.

❊ ❊ ❊

تدريبات

١ـ علام يدل قول أبي بكر رضي الله عنه: " وليت عليكم، ولست بخيركم "؟

٢ـ ما أهمية هذه الخطبة؟

٣ـ للقرآن الكريم والحديث الشريف أثر واضح في تلك الخطبة. اشرح ذلك.

٤ـ ما مقومات الحاكم، كما رسمها أبو بكر الصديق رضي الله عنه في خطبته؟

٥ـ ما واجب الرعية تجاه الحاكم؟

٦ـ ما عقاب من يتركون فريضة الجهاد في سبيل الله؟

٧ـ بِمَ امتاز أسلوب تلك الخطبة؟

٨ـ قامت كثير من عبارات أبي بكر رضي الله عنه على الموازنة.. وضح ذلك.

٩ـ ما المبادئ السامية التي اشتملت عليها خطبة الصديق؟ وما أثر العمل بها في حياة الشعوب والحكام؟

١٠ـ يؤسِّس أبو بكر رضي الله عنه في هذه الخطبة مبدأ مهمـاً من أسس الحكم، فما هو؟ وكيف دعا إليه؟

١١ـ مَنِ القوي؟ ومَنِ الضعيف عند أبي بكر؟ ولماذا؟

١٢ـ (إنَّما الطاعةُ في المعروف) التقط من الخطبة ما يتوافق مع هذه القاعدة الإسلامية الجليلة.

١٣ـ " لست بخيركم ـ إن شاء الله " علام يدل هذان التعبيران؟

١٤ـ التقط من الخطبة ما يدل على أن كل واجب يقابله حق.

١٥ ـ اشتملت الخطبة على منهج الخلافة، ودستور الحكم. اذكر المبادئ السياسية التي اشتملت عليها.

١٦ – ما المراد(قوموني)، وعلام يدل قوله:"وليت عليكم"؟

وما الجمال فى قوله " أُريحَ عليه حقه"؟

***

٥ـ رسالة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه في القضاء

أهداف الدرس:

بنهاية الدرس يتوقع أن يكون الطالب قادرًا على أنْ:

١ـ يذكر ترجمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

٢ـ يوضح مناسبة الرسالة.

٣ـ يحدد سمات شخصية المُرْسِل، وخصائص أسلوبه.

٤ـ يشرح الرسالة بأسلوبه الخاص.

٥ـ يحفظ الفقرات المقررة من الرسالة.

٦ـ يبين أثر البيئة في أسلوب الرسالة.

٧ـ يبين مواطن الجمال فى الرسالة.

التعريف بالمُرْسِل:

هو عمر بن الخطاب بن نفيل، القرشي، العدوي، أبو حفص، ثاني الخلفاء الراشدين، وأول من لقب بأمير المؤمنين، يضرب بعدله المثل، لقبه النبي صلى الله عليه وسلم بالفاروق ، كان في الجاهلية من أبطال قريش، وأشرافهم، وقد أسلم في السنة السادسة من النبوة، وكان في إسلامه عزة وظهور للإسلام. هو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأفضل الصحابة بعد أبي بكر الصديق، تزوج النبي صلى الله عليه وسلم ابنته حفصة رضي الله عنها. كان شجاعاً، مَهِيباً، عبقريًّا، جوادًا، من فقهاء الصحابة الراسخين في العلم. بُويع بالخلافة يوم وفاة أبي بكر الصديق سنة ١٣ هـ، بعهد منه، وفي عهده تمت إنجازات عظيمة للإسلام والمسلمين، من أبرزها:

١ . كثرة الفتوحات الإسلامية، فتم فتح الشام، والعراق، والقدس، والمدائن، والجزيرة، ومصر.

٢ـ أنه وضع تاريخاً للمسلمين من حدث عظيم في الإسلام، وهو الهجرة النبوية الشريفة.

٣ـ أنه دَوَّنَ الدواوين المختلفة؛ لتنظيم شؤون الدولة، مثل: ديوان الجند، ديوان بيت المال، ديوان الزكاة.

٤ـ أنه أول من ضرب الدراهم (صنعها وصكها) في الإسلام.

٥ـ أنه جمع الناس على صلاة التراويح.

٦ـ بنى مدينتي البصرة والكوفة.

قَتَله أبو لؤلؤة فيروز المجوسي غيلة (غدرًا) بخنجر مسموم في خاصرته (جَنبه) وهو يؤمّ الناس في صلاة الفجر، توفي بعدها في اليوم الثالث، وذلك في أول المحرم سنة ٢٤هـ، ودفن بالحجرة النبوية إلى جانب رسول الله ﷺ وصاحبه أبي بكر.

التعريف بالمُرْسَل إليه:

أبو موسى الأشعري، واسمه عبد الله بن قيس بن سليم الأشعري، أسلم بمكة، وهاجر إلى أرض الحبشة، ثم قدم على رسول الله ﷺ وهو بخيبر، وأرسله النبي ﷺ مع معاذ بن جبل إلى اليمن، وكان رقيق القلب والمشاعر، كما وصفه نبي الإسلام ﷺ.

نص الرسالة:

بسم الله الرحمن الرحيم

(أمَّا بعد، فَإِنَّ القضاءَ فريضةٌ مُحكمةٌ، وسنةٌ مُتَّبَعَةٌ. فافْهَمْ إذا أُدْلِيَ إليك؛ فإنَّه لا ينفعُ تكلمٌ بحقٍّ لا نَفَاذَ له.

آسِ بَيْنَ النَّاسِ في وجهك وعَدلكَ ومجلسك؛ حتى لا يطمعَ شريفٌ في حَيْفِك، ولا ييأسَ ضعيفٌ مِن عدلِكَ.

البينةُ على من ادَّعَى، واليمينُ على مَن أنكرَ، والصلحُ جائزٌ بين المسلمين، إلا صلحًا أحلَّ حرامًا أو حرَّمَ حلالًا.

ولا يمنعنَّك قضاءٌ قضيته أمس فراجعت اليوم فيه عقلك، وهُدِيتَ فيه لرُشدك، أن ترجعَ إلى الحق؛ فإنَّ الحقَّ قديمٌ لا يبطله شيء، ومراجعةُ الحقِّ خيرٌ من التمادي في الباطل.

الفهمَ الفهمَ فيما تَلَجْلَجَ في صدرك مما ليس في كتاب الله تعالى، ولا سنة نبيه ﷺ. ثم اعرف الأمثال والأشباه، وقسِ الأمور بنظائرها.

واجعل لمن ادَّعى حقًّا غائبًا أو بينة أمدًا يَنتهي إليه، فإن أحضَرَ بينةً أخذتَ له بحقه واستحللتَ القضيةَ عليه، فإن ذلك أنفى للشكِّ، وأجلَى للعمَى.

والمسلمون عدول بعضهم على بعض، إلا مجلودًا في حد، أو مجربًا عليه بشهادة زور أو ظنينًا في ولاء أو نسب، فإن الله عفا عن الأيمان، ودرأ بالبينات.

وإياك والقلقَ والضجرَ والتأففَ بالخصومِ، فإن الحقَّ في مواطنِ الحقِّ ليُعظم الله به الأجر ويُحسن به الذكر. والسلام عليك).

معاني المفردات:

"القضاء": الحُكْم، وإقامة العدل، "فَرِيضَة": أمْر يجب اتباعه، "محكمة": منظمة بدقة، متقنة، "سنة": طَرِيقَة، "أُدْلِيَ إليك": أُسْند القضاء إليك، "لا نفاذ له": لا تنفيذ له، لا تطبيق، "آسِ بين الناس": سَوِّ بينهم بالعدل، "شريف": عالي المنزلة، "في وجهك": أي: في نظرتك، "حيفك": ظلمك وجورك، والمقصود: محاباة ومناصرة البشر بالباطل، "الْبَيِّنَةُ": الدليل، أو كل ما يثبت به الحق، ويظهر من أدلة وشهود ووثائق، "الْيَمِينُ": الحلف والقسم، "أنكر": جحد ولم يعترف، "رشدك": صوابك، التمادي: الاستمرار، "الباطل: غير الحق والزور، "يتلجلج": يدور ويتردد، "كتاب": أي القرآن، "الأشباه": الأمور المتشابهة، "الأمثال": الأمور المتماثلة، "اعمد": اقصدْ واتجه، "أشبهها": أقربها إلى شرع الله.

الشرح:

النص السابق وثيقة قضائية وضعت مجموعة من الأصول الإسلامية التي يؤخذ بها في القضاء إلى يومنا هذا، وهو ذو فقرات متعددة، كل منها يحمل معنى مستقلًا، وكل هذه المعاني تعود إلى أول فقرة في الرسالة، وهي قوله: (فإن القضاء فريضة محكمة، وسنة متبعة. فافهم إذا أدلي إليك، فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له). وذلك أن هذه العبارة تحمل المعنيين الرئيسيين، اللذين تدور حولهما كل هذه الرسالة، وهما: القضاء والفهم. فالقضاء فريضة أصيلة لها حدودها وقواعدها، ولا تتحقق هذه الفريضة إلا عن طريق الفهم الصحيح للأمور قبل إصدار الحكم عليها.

والملاحظ أن هذه الفقرة مكونة من جملتين: الأولى جملة القضاء، وهي جملة خبرية تقريرية، والثانية جملة الفهم، وهي جملة إنشائية، جاءت بأسلوب الأمر. والمتأمل في بقية الرسالة سيجد الأسلوبين: الخبري والإنشائي يتراوحان فيها. فكل جملة خبرية تعود إلى القضاء، وكل جملة إنشائية من أمر أو نهي تعود إلى الفهم.

وإذا تتبعنا هذه الجمل وجدنا النص كما ابتدأ بجملة قضاء خبرية انتهى بجملة قضاء خبرية هي قوله: (فإن الحق في مواطن الحق ليُعظم الله به الأجر ويحسن به الذكر).

فالقضاء يمثل قمة النص وقاعدته. وهو أصل الرسالة وكل شيء فيها يقوم عليه وهو كذلك يمثل الحقيقة الدينية الثابتة في كل زمان ومكان، والدليل على ذلك استخدام الجمل الخبرية الاسمية الدالة على الثبات أو الإطلاق، فكل الجمل الخبرية هي بمثابة قواعد عامة ثابتة لا تتغير مهما تغير الزمن.

أما الفهم فاستخدم له الجمل الإنشائية الفعلية الدالة على الحركة، وهذا يعني أن الفهم للقضاء والدين قابل للتغير بحسب الزمان والمكان، لكن داخل إطار تلك القواعد الثابتة التي يمثلها القضاء.

وإذا أتينا إلى وسط الرسالة وجدنا جملًا إنشائية متتالية في قوله: (الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك، مما ليس في كتاب الله تعالى ولا سنة نبيه. ثم اعرف الأمثال والأشباه، وقس الأمور بنظائرها. واجعل لمن ادعى حقًّا غائبًا، أو بينة أمدًا ينتهي إليه). وهذا يعني أن الفهم قد أعطي مساحة واسعة هنا تأكيدًا على أهميته، وأنه ليس أمراً سهلاً؛ إذ لا بد فيه من المراجعة والاستئناس بالأصول الفقهية من كتاب وسنة، ومعرفة الأشباه والنظائر، والأخذ بالأقرب إلى الحق، وإنظار الخصوم، ليأتوا بالبينات، ثم إصدار الحكم الذي يحتاج إلى مزيد من التروي والصبر. فهذا الامتداد في عملية الفهم يشير إلى الفترة الزمنية التي يحتاجها القاضي ليصل إلى حكمه.

من مواطن الجمال:

في قوله: (بسم الله الرحمن الرحيم): بداية نشعر فيها بروح الإسلام.

وفي قوله: (من عبد الله عمر): تواضع، وأدب جمٌّ من الخليفة بوصف نفسه بالعبدِ، وهذا أول الدروس للقاضي بوجوب التواضع وترك الغرور.

وفي قوله: (فريضة محكمة، وسنة مُتَّبعة): العطف يفيد التأكيد على قدسية القضاء، وأهميته في بناء المجتمع السليم، وفي العبارة محسن بديعي، ازدواج يعطي نغمة موسيقية محببة إلى الأذن، وجاءت الكلمات السابقة نكرات للتعظيم، وفي قوله: (فافهم): إنشاء، نوعه أمر، غرضه النصح والإرشاد. وفي قوله: (فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له): أسلوب مؤكد بإن، والعبارة تعليل لما قبلها (آسِ بين الناس): إنشاء، نوعه أمر، وغرضه النصح والإرشاد.

وفي قوله: (وجهك، وعدلك، ومجلسك): تفصيل لمظاهر المساواة بين المتقاضين عند القاضي، فلا تمييز بين المتخاصمين.

وفي قوله: (حتى لا يطمع شريف في حيفك، ولا ييأس ضعيف من عدلك): تعليل للفعل (آسِ) وبين الجملتين مقابلة، و في العبارة سجع يعطي أثرًا موسيقيًّا.

وفي قوله: (الْبَيِّنَةُ عَلَى مَنِ ادَّعَى، وَالْيَمِينُ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ): أسلوب خبري فيه نصح وإرشاد، وفي قوله: (والصلح جائز بين المسلمين، إلا صلحًا أحل حرامًا، أو حرم حلالًا): أسلوب خبري، ويجيزالصلح بين المتخاصمين إلا فيما يخالف الشريعة الإسلامية، وفي قوله: (صلحاً أحل حرامًا ... صلحًا حرم حلالًا): استعارة مكنية، تصور الصلح الذى يحل الحرام ويحرم الحلال بقاضٍ ظالم فاسد يبيح الحرام، ويحرم الحلال، وسر جمال الصورة: التشخيص، وفي قوله: (أحَلّ حرامًا - حَرَّم حلالًا): مقابلة توضح المعنى، وفي قوله: (لاَ يَمنعْك قَضَاءٌ قَضَيْتَهُ اليوم): إنشاء، نوعه نهي، غرضه التحذير، وجاءت «قضاء» نكرة؛ للعموم والشمول

وفي قوله: (فإنَّ الحق قديم): أسلوب مؤكد بإنَّ، والعبارة تعليل لما قبلها.

وفي قوله: (ومراجعة الحق - التمادي في الباطل): مقابلة تبرز إيمان القاضي وحبه للعدل،وفي قوله: (الفهمَ ... الفهمَ): أسلوب إغراء فيه حث على ضرورة الفهم، وتكرار كلمة الفهم توكيد لفظي يبرز أهمية التأني و التأكد قبل إصدار الأحكام و الفصل في القضايا، وفيه إيجاز بحذف الفعل (الزم).

وفي قوله: (فيما يتلجلج في صدرك): استعارة مكنية، تصوير فيه تجسيم للمعاني والأفكار التي تخطر بالبال بشيء مادي يتحرك ويتردد في صدره.

وفي قوله: (صدرك): مجاز مرسل عن القلب، علاقته: المحلية، وفي قوله: (اعرف - فقس - اعمد): إنشاء، نوعه أمر، غرضه النصح والحث.

* * *

تدريبات

١ـ من أي أنواع فنون النثر هذا النص؟ وما الغرض منه؟

٢ـ ماذا تعرف عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه؟ وما ملامح شخصيـته كما فهمت من النص؟

٣ـ بمَ أوصى عمر رضي الله عنه أبا موسى الأشعري في تلك الرسالة؟

٤ـ ما القواعد التي اتبعها عمر رضي الله عنه في كتابة الرسالة؟

٥ـ ما مبادئ القضاء العادل كما تفهمها من النص؟

٦ـ ما أثر تطبيق مبادئ القضاء التي أقرها عمر رضي الله عنه في العلاقات بين الناس؟

٧ـ ماذا يجب على القاضي إذا كان أمامه قضية لم يرد فيها نص من القرآن أو السنة؟

٨ـ متى يرجع القاضي عن حكم أصدره؟ ولماذا؟

٩ـ ما الأهمية التاريخية لهذه الرسالة؟

١٠ـ لماذا قَلَّت الصور الخيالية في الرسالة؟

١١ـ هل أدت هذه الرسالة العمرية دورها؟

١٢ـ ما الخصائص المميزة لأسلوب عمر بن الخطاب رضي الله عنه في هذه الرسالة؟

١٣ـ اختر الإجابة الصحيحة من بين الأقواس:

- " أحل حرامًا أو حرم حلالًا " محسن بديعي نوعه: ....

(طباق ـ مقابلة ـ سجع).

- "الفهم الفهم" أسلوب .... (اختصاص ـ إغراء ـ تعجب).
- "فيها يتلجلج في صدرك" .... (تشبيه ـ استعارة ـ كناية).

***

الوحدة الثالثة
الأدب العربي في العصر الأموي

أهداف الوحدة:

بعد الانتهاء من هذه الوحدة ينبغي أن يكون الطالب قادرًا على أنْ:

١ـ يتعرف على تأثير كل من الحياة السياسية والاجتماعية ، والفكرية فى النتاج الأدبي للعصر الأموي.

٢ـ يحدد العوامل التي أدت إلى انتشار الفنون الشعرية والنثرية فى العصر الأموى.

٣ـ يذكر الأسباب التي أدت إلى ظهور بعض الفنون الأدبية فى العصر الأموى.

٤ـ يسرد ترجمة لبعض أدباء هذا العصر .

٥ـ يحفظ بعضًا من نصوص هذا العصر ،ويمتلك القدرة على شرحها.

٦ـ يوضح مدى تأثير العجم في الحياة الأدبية فى العصر الأموي.

٧ـ يذكر أهم أغراض الشعر والنثر فى العصر الأموي.

٨ـ يحدد خصائص الشعر والنثر في العصر الأموي.

الموضوع الأول

الحياة الأدبية في العصر الأموي والعوامل المؤثرة فيها

أهداف الدرس:

بنهاية الدرس يتوقع أن يكون الطالب قادرًا على أنْ:

١ـ يشرح كيف أثرت الحياة السياسية في العصر الأموي في النتاج الأدبي لهذا العصر.

٢ـ يبين كيف أثرت الحياة الاجتماعية في العصر الأموي في النتاج الأدبي لهذا العصر

٣ـ يوضح كيف أثرت الحياة الفكرية في العصر الأموي في النتاج الأدبي لهذا العصر

٤ـ يعدد مظاهر عناية الأمويين بالأدب.

أدى قيام دولة الإسلام إلى ظهور أدبٍ جديد، يغاير في كثير من خصائصه الأدب في الجاهلية، لكن هذا الأدب لم يُتح له أن تتضح معالمه؛ بسبب قصر حقبة صدر الإسلام، فلما كان عصر بني أمية أتيح لهذا الأدب أن يزدهر، وأن تتضح قسماته. وساعدت على هذه النهضة عوامل كثيرة: سياسية، واجتماعية، ودينية.

العوامل السياسية:

١ ـ انقسام المجتمع إلى طوائف مختلفة:

كان معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه واليًا على الشام إبَّان الفتنة التي حدثت في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه وأدت إلى قتله. ولما بويع علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالخلافة سنة ٣٥هـ استغل الأمويون مقتل عثمان والمطالبة بثأره لصالحهم، واستندوا على مكانة معاوية وكثرة أنصاره في الشام، وانقسم الناس إزاء ذلك حزبين:

الأول: يؤيد عليًّا ويرى أنه أحق بالخلافة لقرابته إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ودوره الذي لا ينكر في الإسلام، وسمي هؤلاء الشيعة.

والثاني: يؤيد معاوية الذي يؤازره بنو أمية، وكان أغلب هذا الحزب من أهل الشام. ولما قبل عليٌّ التحكيم، خرج عليه نفرٌ من حزبه؛ ولذلك سموا بالخوارج، وهم يرون أن التحكيم خطأ؛ لأنه لا

حكم إلا لله، وأن الخلافة حق الله يتولاها أفضل المسلمين تقوى وإخلاصًا ولو كان عبدًا حبشيًّا؛ وأن اختيار الإمام يجب أن يكون حرًّا، وليس له إذا اختير أن يتنازل أو يُـحَكِّم، وقاموا بتكفير عليٍّ، وجعلوا توبته شرطًا للعودة لنصرته، وعلى أيدي هؤلاء الخوارج استشهد عليٌّ ﵁ سنة ٤٠ هـ، ثم تنازل ابنه الحسن ﵁ عن الخلافة، وأصبح معاوية ﵁ خليفة المسلمين، وذلك في عام الجماعة الأول سنة ٤١ هـ.

٢ ـ استئثار الأمويين بالسلطة:

لم يكن تولي معاوية الخلافة مجرد تحول طبعي في الحياة السياسية الإسلامية، وإنما كان تحوُّلًا سياسيًّا، واجتماعيًّا، اختلف فيه نظام الحكم عما كان عليه في حياة الرسول ﷺ وخلفائه الراشدين، فقد كان الحكم دينيًّا روحيًّا يعتمد على الشورى والاختيار الحر، وصار في عهد الأمويين ملكية قائمة على الوراثة، وولاية العهد، والاستئثار بالسلطة، وكان كل حاكم يدعم سلطاته بكل الوسائل الممكنة: الأموال، وإعداد الجيوش وغير ذلك؛ كي لا يفقد الخلافة أو تنتقل إلى غير أولاده من بعده، وهذا ما بدأه معاوية حينما أخذ البيعة لابنه يزيد؛ مما أشعل الصراع مرة أخرى بين الأحزاب الثلاثة: الأمويين، والشيعة، والخوارج.

وثار عبد الله بن الزبير الذي لم يعترف بخلافة يزيد، وأخذ يدعو بالخلافة لنفسه ... ولما توفي يزيد دانت له أكثر البلاد الإسلامية، وبايعه الحجاز، والعراق، وفارس، وخراسان وبعض الشام، ولكن عبد الملك بن مروان تمكن من القضاء عليه نهائيًّا في عام الجماعة الثاني سنة ٧٣ هـ.

وقد كان لكل حزب شعراؤه، الذين يؤمنون بعقيدته، ويتعصبون لمبادئه، ويمدحون أعلامه، ويهجون أعداءه، ويمكِّنون له عند الناس؛ مما أغنى الحياة الأدبية في هذا العصر.

٣ ـ الفتوحات الإسلامية:

لم تشغل هذه الصراعات الحزبية خلفاء بني أمية عن الفتوحات، ونشر دين الله في الأرض. فمن أعظم إنجازاتهم الباقية على الزمان تلك الفتوحات التي تمت في عهدهم؛ فقد فتح الأمويون أقاليم ما وراء النهر، وهي المناطق الواقعة بين نهري جيحون وسيحون. وإقليم السند، بالإضافة إلى تثبيت الفتح في المناطق التي كانت قد فتحت في عهد الخلفاء الراشدين، وبصفة خاصة في فارس؛ فقد كانت خراسان، وسجستان، وجرجان، وطبرستان وأرمينية، وأذربيجان، كثيرة الانتفاض، والارتداد، فأبلى الأمويون بلاءً حسنًا في تثبيت دعائم الإسلام في هذه البلاد؛ حتى أصبحت من أهم ركائز العالم الإسلامي.

وفي أفريقيا فتح الأمويون شمال القارة بأكمله من حدود مصر الغربية حتى المحيط الأطلسي.

وفي أوربا فتحوا شبه جزيرة أيبريا ـ الأندلس ـ وأجزاء من جنوب فرنسا، كما فتحوا العديد من الجزر شرق وجنوب غرب البحر المتوسط، ولا شكَّ أن هذه الفتوحات قد أثرت في الحياة الاجتماعية والفكرية لهذا العصر على نحو ما سوف نرى.

العوامل الاجتماعية

١ ـ الصراع القبلي: كان العرب قبل الإسلام ينقسمون قبائل تتصارع وتتحارب، ولما بعث النبي ﷺ، ودخل الناس في دين الله أفواجًا تكونت حكومة منظمة لها شرائعها القائمة على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، ولها ولاؤها في نفوس عامة المسلمين وخاصتهم.

وفي عصر صدر الإسلام سكن الصراع القبلي، لكنه ما لبث أن عاد إبان حكم الأمويين وذلك لأسباب:

منها: أن الخلفاء الأمويين استعانوا بفئات معينة ليكسبوا ودهم، وذلك عن طريق الشعر والشعراء تارة، وعن طريق المال والمصاهرة أخرى، فقد استعانوا باليمنيين وصاهروهم، ليكسبوا ودهم مع أنهم من مُضَر.

ومنها: غلبة النظام القبلي على العرب؛ لأنهم كانوا يخرجون إلى الجهاد قبائل، ويقطنون البلاد المفتوحة قبائل، إذ كان عهدهم بالتعصب قريبًا، فكان يعود إلى الظهور لأقل مثير.

ومنها: تغلغل بعض الموالى الناقمين على العرب في القبائل، ومحاولة إشعال نار الفتنة بينهم.

٢ ـ اتساع الدولة الإسلامية: أثَّر اتساع رقعة الدولة بسبب الفتوح في المجتمع الإسلامي تأثيرًا كبيرًا، فقد زاد الغنى وعم الرخاء، وتطور المجتمع، وجعلت في ديوان الخراج رواتب تصرف لأبناء الصحابة وغيرهم من العلماء والعابدين، وكان لهذا الثراء الواسع دوره في انتشار مجالس اللهو والغناء. وكذلك مجالس العلم والأدب، ولا سيما في الحجاز والشام، ولا يعني هذا أن كل أفراد المجتمع كانوا على مستوى واحد من الثراء، فقد كان ثمة من لم يسجل في ديوان العطاء، لكنهم كانوا يعيشون في مستوى كريم نظرًا لثراء المجتمع كله. وللتكافل الاجتماعي الذي عم الدولة، على أننا نجد في نَجْد من كانوا يعيشون كما كان يعيش آباؤهم معيشة فقر وحرمان.

٣ ـ العناصر غير العربية:

كانت العناصر غير العربية فئتين:

الأولى: الموالي وهم المسلمون من غير العرب، وأغلبهم من أسرى الفتوح، وكانوا يقومون على خدمة العرب والقيام على شئونهم من تجارة وزراعة، وصناعة، وغير ذلك وكان لإحساسهم بتعالي العرب عليهم وتأخيرهم لهم أن تعصب بعضهم ضد العرب، وحاولوا النيل منهم، وراحوا يفخرون بأصولهم وحضاراتهم. وكان لاتصال العرب بالموالي ولاسيما الفرس أثر في حياتهم من حيث العادات والتقاليد، في الملبس والمأكل ومجالس اللهو والغناء.

الثانية: أهل الذمة، وهم اليهود، والنصارى، الذين لم يدخلوا في الإسلام، وقبلوا أن يدفعوا الجزية، وكان عددهم في تناقص مستمر لإسلامهم.

العوامل الدينية

كان للإسلام أثر واضح في حياة العرب؛ فبعد الحياة الجاهلية الوثنية في الغالب ـ صارت هناك حياة روحية مطمئنة يعبدون فيها إلهًا واحدًا، يسلمون إليه نفوسهم، ويفعلون ما يأمرهم به، ويجتنبون ما ينهاهم عنه؛ فهم واثقون في أن الدنيا فانية، وأن هناك يومًا تُجزي فيه كل نفس بما كسبت، وتُحاسب على ما قدمت؛ لذا انتشر الزهد، وكان في بدئه لا يخرج عن تعاليم القرآن والسنة، والشغل بذكر الله، ومجاهدة النفس، على أنه قد تطور في عصر بني أمية عند بعض الزهاد إلى ما يشبه الترهب، وذلك بسبب اختلاطه ببعض الأفكار الأجنبية، التي نتجت عن اتصال العرب بنصارى البلاد المفتوحة كالشام والعراق ومصر، وقد كثر عدد الزهاد وبخاصة في العراق، وأثروا في الناس بمواعظهم وسلوكهم، "وهذا كله طبع نفسية كثير من الشعراء في العصر الأموي بطوابع جديدة لم تكن مألوفة في العصر الجاهلي عصر الوثنية، فالشعر الأموي كتب في ظلال نفسية جديدة، آمنت بربها واستشعرت حياة تقية صالحة فيها نسك وعبادة، وفيها تقوى وزهد، وليس معنى ذلك أن كل الشعراء كانوا ناسكين زاهدين، وإنما معناه أن الحياة الروحية لم تنفصل عن حياتهم الفنية، بل أثرت في كثير من جوانبها وطورتها.

العوامل الفكرية

١ ـ أثر الإسلام في حياة العرب:

نقل الإسلام العرب نقلة هائلة في طريق الحضارة، وبون بعيد بين العرب قبل الإسلام وبينهم بعده، فقد صاروا بفضله، وفي حقبة وجيزة أمة عظيمة، تخر أمامها أعظم الأمم، وما كان هذا ليحدث لولا الإيمان الصادق الذي غمر قلوبهم، وأنار نفوسهم، وهذب أرواحهم.

إن إيمان المسلم بربه وتوكله عليه، سما بنفسه عن الرذائل، وحلق بها في سماء الفضيلة، وارتفع بها فوق الشهوات، وجعلها مرتبطة بخالقها أشد الارتباط، والقرآن الكريم دستور المسلمين، فيه حقيقة عقيدتهم، وشريعة معيشتهم، وفيه حث على العلم، وتكريم للعلماء، وسنة الرسول ﷺ بيان لما في القرآن، وتفصيل لأمور الدين.

٢ ـ قيام المدارس العلمية الإسلامية:

حول الكتاب والسنة قامت مدارس إسلامية؛ عنيت بالتفسير، والحديث، والفقه، وعلم الكلام، واللغة، والأدب، كما عنيت بسيرة النبي ﷺ وجهاده، وقد انتشرت هذه المدارس في البصرة، والكوفة، ومكة، والشام، ومصر.

٣ ـ تعدد الفرق الإسلامية:

وجدت عدة فرق إسلامية تتصارع، لكل منها آراؤها التي تؤمن بها، وأدلتها التي تستند عليها منها: الشيعة والخوارج وقد أشرنا إليهما آنفًا، ومنها المرجئة الذين كانوا محايدين بين علي ومعاوية، ولم يخطئوا أو يكفروا أحدًا، وإنما أرجأوا الحكم إلى الله يوم القيامة. وقد وافقهم على ذلك المعتزلة، ومنها: القدرية الذين يقولون إن الإنسان له قدرة على أعماله، وبين هذه الفرق قامت خلافات كثيرة في قضايا إسلامية خطيرة مثل: حكم مرتكب الكبيرة، وخلق القرآن، ورؤية الله يوم القيامة.

٤ـ حضارات الأقاليم المفتوحة:

ومن المؤثرات التي أسهمت في تكوين عقلية العرب في هذا العصر أيضًا: الحضارات المختلفة للأقاليم المفتوحة: وهي العراق، والشام، وفارس، وخراسان، ومصر، والشمال الإفريقي، بعد القضاء على أكبر قوتين حينئذ وهما الفرس والروم وقد كان لكل إقليم حضاراته من أقدم العصور، وإن كان ثمة إقليمان كان تأثيرهما كبيرًا في حضارة العرب وهما: العراق، والشام.

فالعراق قد شهد حضارات متعاقبة، وغلبت عليه أخيرًا الحضارة الفارسية؛ لأن إمارة الحيرة كانت تابعة للفرس، وكان كثير من القبائل العربية تحت حكم هذه الإمارة، ومن ثم تأثروا بالحضارة الفارسية.

أما الشام فقد كان قبل الإسلام يخضع لحكم الغساسنة، التابعين للإمبراطورية البيزنطية وكانت حضارتهم نصرانية، متأثرة بالفلسفة الإغريقية. ولقد تأثر العرب بتلك الفلسفة ولاسيما في الخلافات المذهبية.

٥ ـ التراث الأدبي الجاهلي:

هناك رافد آخر من روافد الحياة الفكرية في العصر الأموي، وهو التراث الضخم الذي خلفه الجاهليون، من لغة وشعر وقصص وأمثال، وكان اعتداد الأمويين بالعنصر العربي وإسناد قيادة الأقاليم وقيادة الجيوش إليه عَاملاً مهمًا في الحفاظ على الطابع العربي القديم بكل موروثه، وكان الشعراء حديثي عهد بالشعر الجاهلي؛ يروونه، ويتمثلونه، ويتأثرون بألفاظه، وصوره ومعانيه.

هذا. وقد كان العلم في هذا العصر يعتمد على المشافهة والرواية، وإن بدأت بعض محاولات للتدوين؛ فقد روي أن عروة بن الزبير بن العوام (٢٣ ـ ٩٤ هـ) وضع مؤلفًا في السيرة، كما روي أن ابن شهاب الزهري الأندلسي (٥١ ـ ١٢٤ هـ) جمع كتابًا في المغازي.

٦ ـ الترجمة:

بدأت في هذا العصر أيضًا ترجمة بعض الكتب الفارسية واليونانية إلى العربية.

وهكذا كانت مظاهر نهضة العرب في العصر الأموي ومعالم حضارتهم متنوعة، منها ما هو آت إليهم مع الدين الجديد، الذي غير حياتهم إلى الأفضل، ومنها ما هو وافد إليهم من الحضارات التي تحيط بهم، ومنها ما هو أصيل فيهم أعني ذلك التراث الذي خلفه أجدادهم.

مظاهر عناية الأمويين بالأدب:

١ـ تشجيع الأدباء والشعراء:

عرف خلفاء بني أمية للشعر مكانته ومنزلته وعظيم أثره؛ فاتخذوه وسيلة لتأييد ملكهم، والإشادة بحكمهم، والنيل من أعدائهم. كما اجتذبوا إليهم كبار الشعراء بالعطايا والهبات والمنح التي كانوا يغدقونها عليهم.

٢ـ قبول شفاعة الأدباء:

كان الخلفاء والأمراء يطربون أيما طرب لسماع الجيد من المدح، والبليغ من الثناء، وكانوا في نشوة هذا الطرب، وفي غمرة تلك الأريحة: يصفحون عن المسيء، ويعفون عن المذنب، ويقبلون شفاعة الشعر.

٣ـ إثارة السبق بين الشعراء:

ومما يدل على سلامة أذواقهم، ورغبتهم في إثارة السبق والمنافسة بين الشعراء ما يؤثر من أن الفرزدق وجريرًا اجتمعا عند عبد الملك، فقال الفرزدق: النوار طالق ثلاثا إن لم أقل شعرًا لا يستطيع ابن المراغة أن ينقضه أبدًا، ولا يجد في الزيادة عليه مذهبًا، فقال عبد الملك: ما هو؟ قال:

فإني أنـا المـوتُ الذي هـو واقعٌ ** بنفسك فانظر كيف أنت مُزاوِلُهْ

ومـا أحـدٌ يابـن الأتـانِ بوائـلٍ ** من الموتِ إن الموتَ لا شكَّ نائلُهْ

فأطرق جرير قليلا، ثم قال: أم حزرة طالق ثلاثـًا، إن لم أكن نقضته، وزدت عليه، فقال عبد الملك: هات، فقد والله طلق أحدكما لا محالة فأنشد:

أنا البدرُ يغشى نورَ عينيك فالتمسْ ** بكفيك يابن القين هل أنت نائلُه؟

أنا الدهرُ يفنى الموتَ والدهرُ خالدٌ ** فجئني بمثل الدهر شيئًا يطاوله

فقال عبد الملك: فضلك والله يا أبا فراس، وطلق عليك زوجتك «النوار».

٤ـ الاهتمام برواية الشعر، ومعرفة قائله:

كان الخليفة من خلفاء بني أمية ينشد بيتًا ويغيب عنه قائله؛ فيأرق جفنه، وينبو به مضجعه، ويبعث في طلب الرواة والعلماء؛ حتى يعرف قائله، ثم يخلع عليهم العطايا، ويهب لهم الجوائز، ويصلهم بأكرم الصلات.

٥ـ مجالس الخلفاء:

ينبغي ألا نغفل من مظاهر عناية الخلفاء بالأدب واللغة، مظهرًا كان له شأنه وخطره في نهوض الأدب وإنعاشه، ذلك هو مجالس الخلفاء، وما كانت تعج به من النقدة والشعراء والرواة على اختلاف توجهاتهم.

تدريبات

١ـ ساعدت عوامل كثيرة سياسية، واجتماعية، ودينية على نهضة الأدب في العصر الأموي، اذكرها.

٢ـ اذكر خمسًا من مظاهر عناية الأمويين بالأدب.

٣ـ عاد الصراع القبلي في العصر الأموي بعد أن خفت ريحه في عصر صدر الإسلام، فماسبب ذلك؟

٤ـ أسهمت العوامل الفكرية فى الارتقاء بالناحية الأدبية.

اذكر ثلاثـًا من هذه العوامل مُبيِّنـًا أثرها فى الأدب.

٥ـ أدى الصراع بين الأحزاب فى العصر الأموى إلى إثراء الحياة الأدبية. وضح ذلك.

٦ـ من مظاهر عناية الأمويين بالأدب ـ إثارة السبق بين الشعراء.

اذكر بعض المواقف الدالة على ذلك.

٧ـ ما أهم الفتوحات التى تمت فى عهد بنى أمية؟ وهل كان لها تأثير فى الحياة الاجتماعية والفكرية؟

❋ ❋ ❋

الموضوع الثانى

الشعر العربي في العصر الأموي

أهداف الدرس:

بنهاية الدرس يتوقع أن يكون الطالب قادرًا على أنْ:

١ـ يحدد الدوافع التى أدت إلى عناية الأمويين بالشعر.

٢ـ يذكر أمثلة لأغراض الشعر فى العصر الأموى.

٣ـ يوضح أسباب ظهور فن النقائض والشعوبية فى العصر الأموى.

٤ـ يذكر أسباب شيوع الغزل العابث فى الحجاز.

٥ـ يشرح خصائص الشعر فى العصر الأموى.

٦ـ يعدد طوائف الشعراء الأمويين.

عناية الأمويين به وأسبابها:

في عهد بني أمية تكاثرت مظاهر الحياة، وتنوعت صور الحضارة، وتشعبت مذاهب الجماعات، وانقسم الناس في عواصم الدولة وحواضر الملك شيعًا وأحزابًا؛ لكل شيعة هوى، ولكل حزب رأي، ولكل جماعة حجة تقارع حجة، وقول يناهض قولاً، وألسنة تحاول إسكات ألسنة.

وقد سار الشعراء في ركب هذه الاتجاهات الحزبية،وكل منهم ينصر الحزب الذي يشايعه.

ومن هنا رأينا خلفاء بني أمية يحتضنون الشعراء، ويخصونهم بجزيل العطايا، وعظيم الصلات، ويعتمدون عليهم في قهر خصومهم، وثلب أعدائهم، ويصفحون عن مسيئهم؛ تقديرًا لفنهم؛ أو رغبة في اصطناعهم.

وكان لهذه العناية أثر في نشاط الأدب، والاهتمام بالشعراء وتقريبهم، والاستعانة بهم في الإشادة بأعمال الخليفة، ونصرته على أعدائه وعلى المناوئين والمشاغبين.

وكان لهذه العناية البالغة أثر عظيم في صقل الشعر، وتهذيب أساليبه، وتجديد معانيه، والسمو بأخيلته.

وخلاصة القول: أن الشعر بلغ في ظلال هذا العهد من قوة الفن، وحركة الذهن، ومتانة اللفظ، ورصانة الأسلوب، وجزالة المعنى، ودقة العبارة ما جعله يخلب اللب، ويملك المشاعر، ويسيطر على العواطف، ويأخذ بمجامع القلوب، ويأخذ مكان الصدارة لدى أصحاب الصولجان من خلفاء وولاة، ومن خاصة الناس وعامتهم.

أهم أغراض الشعر الأموي:

طرق الشعراء في هذا العصر جميع الأغراض التي تناولها الشعراء من قبل، كالمدح والفخر والهجاء والرثاء والغزل، ونحو ذلك من الأغراض العامة التي توارثها الشعراء في كل عصر، بيد أن هذه الأغراض قد تأثرت بما جد من مظاهر الحضارة وألوان الترف، وتشكلت بصورة البيئة وأحوال المجتمع، وظروف السياسة.

وقد استجدت في هذا العصر أغراض لم تكن موجودة من قبل، كالشعر السياسي الذي كان صدى لهذه الخصومات السياسية، والعداوات القبلية والمنافرات الحزبية، وكأنواع من الغزل لم تكن معروفة من قبل، وألوان من وصف البلاد المفتوحة، ونحو ذلك من تصوير لعقيدة دينية، أو دعوة إلى زهد وتقشف، مما استدعته مظاهر الحياة الجديدة وملابساتها.

١ ـ الشعر السياسي:

وهو الشعر الذي يتصل بشئون الدولة ونظامها وقوانينها، ويتعرض لطريقة الحكم وللحكام وأعمالهم وأحقيتهم في تولي أمور الدولة، كما يبين الاتجاهات والنزعات والألوان التي سار بها نظام الحكم في ذلك العصر، كما يبين توجهات كل حزب من الأحزاب السياسية المتصارعة، ومنه قول أعشى ربيعة لعبد الملك ابن مروان، يحرِّضه على الزبيريين:

قوموا إليهم لا تناموا عنهم ** كم للغواة أطلتم إمهالها
إنَّ الخلافة فيكم لا فيهم ** ما زلتم أركانها وثمالها
أمسوا على الخيرات قفلًا مغلقًا ** فانهض بيمنك فافتتح أقفالها

٢ ـ شعر الشعوبية:

ومن هنا بدأ يظهر لون جديد من ألوان الأدب، وغرض مستحدث من أغراض الشعر، هو الشعر الشعوبي، وقوامه الطعن على العرب، والاعتزاز بالأعاجم وخاصة الفرس، والإشادة بحضارتهم ومجدهم، وما كان لهم من ملك وسلطان.

وهذا إسماعيل بن يسار يدخل على هشام بن عبد الملك في خلافته، فينشده شعرًا يقول فيه مفتخرًا بقومه من العجم:

أصلي كريمٌ ومجدي لا يُقاسُ به ** ولي لسانٌ كحدِّ السيفِ مسمومُ

أحمي به مجدَ أقوامٍ ذوى حسَبٍ ** من كلِّ قَرْمٍ نتاج الملكِ معمومُ

٣- المدح

اتخذ الشعراء من المدح وسيلة للتكسب، والزلفى إلى الخلفاء وأصحاب الجاه والسلطان، ومن هنا اتسعت دائرته بالحق والباطل، وأجاز عليه الخلفاء وشجعوا الشعراء وكان الخليفة في عهد بني أمية يعتبر مدح الشاعر له دليلاً على انحيازه وانحياز قبيلته إلى جانبه، وكان سخاء الخليفة في ذلك العصر من أقوى العوامل في كسب الأنصار واجتذاب الشعراء. ومن ذلك قول الفرزدق، للخليفة عبد الملك ابن مروان:

أرى الثقلين الجنَّ والإنسَ أصبحا ** يَمُـدانِ أعناقًـا إليـك تَقَـرَّبُ

ومـا منهـا إلا يُرَجِّـي كرامَـةً ** بكَفَّيك أويَـخْشَى العِقَابَ فَيَهْرُبُ

ومـا دون كَفَّيْكَ انتهـاءٌ لراغبٍ ** ولا لـِمُنَاهُ مِـنْ وَرَائِـكَ مَذْهَبُ

٤ - الهجاء

لقد انتشر الهجاء في هذا العصر انتشارًا كثيرًا؛ لكثرة أسبابه، وتعدد دواعيه، فقد كان هناك هجاء سياسي بين شعراء الأحزاب ، وهجاء شخصي بين الشعراء أنفسهم، دعت إليه المنافسة على أبواب الخلفاء والولاة، أو العصبية للقبلية.

ولقد أكثر الشعراء في هذا الباب، وألحوا على ذكر المثالب والعيوب، ونبشوا ما حرص الإسلام على دفنه، من إثارة الخصومات، وبعث العداوات.

وأشهر ضروب المهاجاة في العصر الأموي: المهاجاة بين جرير والفرزدق والأخطل، من ذلك هجاء جرير للأخطل يعيب عليه نصرانـيته.

ما كان يرضى رسولُ اللهِ دينَهم ** والطيبـان أبو بكـرٍ ولا عمرُ

جاء الرسولُ بدينِ الحق فانتكثوا ** وهل يُضِيرُ رسولَ الله إنْ كفروا

ومن الهجاء القبلي قولُ الشاعر الطِّرِمَّاح بن حكيم في بني تميم:

تميمُ بِطُرُقِ اللؤمِ أهدى من القطا ** ولو سلكتْ سُبُلَ المكارمِ ضَلَّتِ
ولو أنَّ برغوثًا على ظَهْرِ نَمْلَةٍ ** يَكُرُّ على صَفَّيْ تميمٍ لولتِ

٥ ـ النقائض

تطلق في اللغة على الملاحم اللسانية، التي تدور بين شاعرين أو أكثر، في الفخر والمدح والهجاء، وهي لون جديد من ألوان الشعر الأموي.

وتتمثل في قصائد امتزج فيها الفخر بالهجاء، وكثرت فيها الإشارة إلى ماضي القبائل في الجاهلية، وحاضرها في عهد بني أمية.

فكان الشاعر ينظم قصيدته فيرد عليه خصمه بقصيدة من الوزن والقافية نفسيهما.

ويتعقب أفكاره ومعانيه فيردها عليه، وكأنه يريد بذلك أن يظهر تفوقه عليه من ناحية المعاني، ومن ناحية الفن نفسه، وتستمد مقوماتها من الأحساب والأنساب، والعقيدة الدينية، والمذهب السياسي.

وقد شجع النقاد وعلماء اللغة هذا اللون من الشعر ورحّبتْ به العامة، حيث وجدت فيها ملهاة ومشغلة، بنصرة هذا الشاعر أو ذاك، حتى شاع هذا اللون من الشعر في العصر الأموي، شيوعًا لا نجد له نظيرًا في سائر عصور الأدب العربي.

وهي تدل على قدرة العقل العربي على الجدل والحوار والمناظرة.

ويمثل النقائض قول جرير يهجو الفرزدق:

أَعَدَّ اللهُ للشعراءِ مني ** صَوَاعِقَ يُخْضِعون لها الرقابا
قرنتُ العبدَ عَبدَ بني نُميْرٍ ** مع القيْنين إذ غُلبا وخَابا
فلَا صلَّى الإلهُ على نُميرٍ ** ولا سُقِيَتْ قُبُورُهم السحابا
ولو وُزِنَتْ حُلومُ بنى نُميرٍ ** على الميزان ما وَزَنَتْ ذبابا

ويرد الفرزدق على جرير بقصيدة من الوزن والقافية نفسيهما بقوله:

أنا ابنُ العاصِمينَ بني تَميم ** إذا ما أعظمُ الحدثان نابا
فإنك من هِجَاءِ بني نُميرٍ ** كأهل النارِ إذ وَجَدُوا العَذَابا
رَجَوْا من حَرِّها أن يستريحوا ** وقد كان الصديدُ لهم شَرَابا

ومن دراسة هذين النموذجين من شعر النقائض نرى فيهما ما يأتي:

(١) عودة إلى ما كان الإسلام قد قضى عليه، من التفاخر بالآباء والأجداد وأيام العرب، ومآثرهم في الجاهلية.

(٢) الهجاء اللاذع، الذي كان قد خَفَتَ صوته في صدر الإسلام.

(٣) تمثل النقائض لونًا من الصراع الفكري بين شعراء القبائل.

فكل شاعر يحاول أن ينتصر على خصمه، فيقدح ذهنه، ويعمل فكره؛ ليتفوق على منافسه، وقد حفظ ذلك للغة قوتها، وأثراها بالتراكيب المحكمة.

(٤) نلاحظ أن في نص الفرزدق شيئًا من التأثر بالقرآن الكريم.

وذلك حديثه عن النار وأهلها، وكذلك في نص جرير، وذلك قوله: صلى الإله.

(٥) نلاحظ أنَّ جريرًا لا يفخر بأبيه، بل لا يذكره أصلاً، بينما الفرزدق يفخر بآبائه وأجداده، ولا شك أن جريرًا والفرزدق هما حاملا لواء النقائض في هذا العصر بلا منازع. وهما فرسا رهان، كلاهما لا يشق له غبار.

٦ـ الغزل

شاع الغزل في العصر الأموي، وتعددت ألوانه، واتسعت مظاهره: بل إنه أخذ مظهرًا جديدًا لم يكن له من قبل؛ فقد وجد شعر الغزل مستقلًّا لا يشركه غرض آخر.

وظهرت وحدة الغرض في القصيدة الغزلية، كما وجد شعراء وقفوا حياتهم وفنهم على الغزل، لا يقولون في غيره، ولا يطرقون بابًا آخر، فكل خاطرة من خواطرهم وكل نزعة من نزعاتهم لا تتصل إلا بالمرأة، وكل لفظة من ألفاظهم لا تصف إلا جمالها الفاتن، وحديثها العذب، وحبها المبرح، ووصالها الحلو، وصدها المضني.

وبهذا تجلت جدة الغزل في شعر الأمويين؛ واضحة وضوحًا يكاد يجعله غرضًا جديدًا.

ومن الممكن أن نرجع ألوان الغزل الأموي ومذاهبه إلى أنواع ثلاثة:

أولاً: الغزل التقليدي: وهو هذا النوع من الغزل الذي يفتتح به الشاعر قصيدته في وصف المرأة أو الحنين إليها.

ثانيًا: الغزل العابث: انطلق فريق من شعراء هذا العصر في ميادين اللهو والمجون، مستجيبين لما يتردد في نفوسهم من شهوات عارمة، ونزوات آثمة؛ فراحوا يتتبعون الحسن في كل مكان ويترصدون الجمال في كل موطن، ويطاردون النساء في كل واد.

وقد شاع هذا اللون الماجن من الشعر في الحجاز، ولعل السبب في ذلك أن خلفاء بني أمية قد احتجزوا هناك شباب الهاشميين، وأغدقوا عليهم الأموال الطائلة، وأغرقوهم بالخيرات الكثيرة، وسلطوا عليهم الفراغ والغنى ليصرفوهم عن شئون الخلافة وسياسة الدولة، فلما شرقوا بالنعيم، وأتخموا بالترف، وضاقوا بالفراغ، انصرفوا إلى مجالس الغناء، وتتبع النساء ومغازلة الحسان والتعرض لهن في كل مكان.

ومن أهم شعراء هذا النوع من الغزل عمر بن أبي ربيعة والأحوص والعرجي ومن ذلك قول عمر ابن أبي ربيعة:

فحييـــتُ إذ فاجأتهـــا فتولَّهت ** وكادت بمكنـــون التحيـــة تجهر

وقالت وقد عضتْ بالبنانِ فَضَحتني ** وأنـت امـرؤٌ ميسـورُ أمـرك أعسرُ

ثالثًا: الغزل العذري:

أما هذا النوع من الغزل فهو الذي يصدر عن عاطفة صادقة، وحب عميق، وصبابة متأججة، وهوى مشتعل، ملك على المرء قلبه، وسلب لبه. ومن ذلك قول جميل بن عبد الله العذري في بثينة حبيبته:

وإنـّي لَأَرْضَى مِنْ بثينةَ بالذي ** لـو ابْصَرَهُ الواشي لقرتْ بَلابلُه

بلا، وبـــألا أســـتطيعُ وبالمنى ** وبالأَمَـل المرجو قد خـاب آمِلُه

وبالنظرِة العَجْلَى وبالحولِ تَنْقَضِي ** أَواخـــرُه لا نلتِقـــي وأوائلُه

٧ـ الفخر

توسع الفخر في هذا العصر كثيرًا لاشتداد المنافسة بين الأحزاب، وشدة التعصب القبلي، وكان الشعراء يفخرون بقبيلتهم، أوحزبهم، أو مذهبهم، كما كانوا يفخرون بمناقبهم، ومن الشعراء الذين لمعوا في هذا الفنِّ ابن قيس الرقيات، ومن فخره ببني كنانة قوله:

خَلْــقٌ مِنْ بنـــي كنانةَ حولي ** بفلســـطينَ يُسرعونَ الرُّكوبا
مـن رجالٍ تُفنى الرجـالَ وخيلٍ ** رُجُمٌ بالقنـــا تَسُــدُ الغيوبا
وإنَّ قومَ الفتى هم الكَنْزُ في دُنْـ ** ــياه والحالُ تُــسْرِعُ التقليبا

٨ ـ الرثاء

بكاء الميت، وذكر محاسنه، ولا يكاد يفترق عن المدح، إلَّا أن يختلط الرثاء بشيء يدلُّ على أنَّ المقصود به ميِّت، مثل: كان أو عدمنا به الفضل، والرثاء الجيِّد هو ما يكون صادق العاطفة، مبرزًا صفات المرْثي، وقد أفاد الرثاء في العصر الأموي من أساليب القرآن الكريم وصوره، ومن قيم الإسلام وأخلاقه، ومن جيد الرثاء قول جرير في زوجه:

لولا الحياءُ لهاجني اســتعبارُ ** ولزرتُ قَــبْرَكِ والحبيبُ يُزَارُ
ولَهَّــتِ قلبـــي إذ عَلَتْني كَبْرَة ** وذوو التَّمائـــمِ مِن بنيكِ صغارُ
لا يلبثُ القرنـــاءُ أن يتفرَّقوا ** ليـــلٌ يَكِـــرُّ عليهـــم ونهارٌ
صلَّى الملائكةُ الذين تُــخُيِّروا ** والطيبـــون عليـــكِ والأبرارُ

خصائص الشعر الأموي

الألفاظ والأساليب:

١ ـ التفت الشاعر الأموى إلى القرآن الكريم، وجعل يستظهر آياته، ويتملى من بلاغته، ويعجب بأساليبه البارعة، وألفاظه العذبة، وديباجته المشرقة.

٢ـ عنى القوم برواية الشعر الجاهلي واستظهاره، وإحياء آداب القدماء بما تنطوي عليه من جزالة الألفاظ، ورصانة الأساليب.

٣ـ كان هناك شعراء غمرتهم الحضارة، وأغواهم الترف وخدرتهم النعمة، واستولى عليهم زخرف الحياة وبهرجها، وعاشوا في ظلال النعيم الذي أتيح لهذه الدولة فكان لتلك الحضارة أثرها في رقة اللفظ، وعذوبة المنطق، وسهولة الأسلوب.

المعاني والأخيلة:

معاني الشعر في هذا العصر هي المعاني التي تداولها الشعر قبله، بيد أنهم توسعوا فيها وزادوا عليها، بما تهيأ لهم من مظاهر الحياة، وألوان الحضارة، وسعة الثقافة، والاختلاط بأمم ذات حضارات ومعارف متنوعة، بل إن من هذه الأمم من تم نضجه الأدبي، واستوى فنه العربي، فقال الشعر بالعربية متأثرًا بثقافته، وما ورث من أفكار ومعان وأخيلة.

ومن هنا غلبت على معاني الشعر الدقة والعمق، وترتيب الأفكار، وكثرت الحكم والأمثال، وتنوعت التشبيهات، وسما الخيال، وبدت صبغة الجدة واضحة في بعض المناحي والأغراض.

ويمكن أن يقال: إن الشعر الأموي نموذج للشعر العربي الصميم في أحسن صفاته، وأرقى درجاته، وأسمى منازله، وقد أمد الإسلام الشعر بثروة خصبة من الأفكار الجديدة، بدت واضحة في شعر شعرائهم، على اختلاف مذاهبهم السياسية.

طوائف الشعراء الأمويين

انقسم الشعراء الأمويون إلى طوائف، من حيث أغراضهم الشعرية، ومن حيث اتجاهاتهم الفنية:

فهم من حيث الأغراض جماعات ثلاث:

١ـ أما الأولى فشعراء الغزل، ومن أشهرهم: جميل بن معمر المتوفى عام ٨٢ هـ، وكثير عزة المتوفى عام ١٠٥ هـ، ونصيب (ت ١٠٨ هـ)، والأحوص (ت ١٠٥ هـ).

٢ـ والثانية الشعراء السياسيون، الذين وقفوا أنفسهم على الدفاع عن الأحزاب السياسية، والعصبيات القبلية، وإذاعة المفاخر والمثالب؛ ومن هؤلاء: جرير، والفرزدق، والأخطل، والكميت، وابن قيس الرقيات.

٣ـ والثالثة الشعراء الهجاءون، الذين أكثروا من الهجاء، وعاشوا عليه، وتبادلوا المناقضات، يحيون بها العصبية، ويورثون العداوة، ويتبارون في فنون الهجاء المقذع، والتهكم المر، والسخرية اللاذعة، والتباهي بأحساب الجاهلية ومآثرها وأيامها، ونبش ما دفنه الإسلام من مثالب القبائل ومعايبها، ومن هؤلاء: جرير، والفرزدق، والأخطل، والراعي، والبُعيث.

ومن حيث اتجاهات الشعراء الفنية في عصر بني أمية انقسموا جماعات وطوائف:

فالأولى: شعراء البادية، الذين لم يتأثروا بالحياة الجديدة تأثرًا كبيرًا، ولم يغيروا من عيشهم تغيرًا يذكر، فظلوا يحاكون نمط الجاهليين في نظم القريض أسلوبًا، وألفاظًا ومعاني وخيالات، ومن هؤلاء: ذو الرمة وابن ميادة.

والثانية: شعراء الأمصار، كمكة، والمدينة، ودمشق، والبصرة، والكوفة، ممن كانوا عربًا خُلَّصًا، وقد تأثر هؤلاء ببيئتهم وعصرهم وبالقرآن الكريم وبالثقافات التي ذاعت بينهم، وأتى شعرهم حضريًّا رائعًا سلسًا في جزالة، وإن امتاز شعر الحجاز بالرقة والسلاسة أكثر من غيره، ومن هؤلاء: ابن قيس الرقيات، وجرير، والفرزدق، وعمر بن أبي ربيعة.

والثالثة: الشعراء الموالي الذين كانوا من أصول غير عربية: كنصيب، وعبد بني الحسحاس، وقد كانا من عنصر حبشي، وكزياد الأعجم، والبعيث، وأبى نخيلة، وموسى شهوات، وهم من أصول فارسية، ولا شك أن شعر هؤلاء كان صورة لما ورثوه من دماء، وثقافة، ومشاعر، وأفكار، وخواطر، ووجدانات، فبدت فيه المعاني الجديدة، والأخيلة الجميلة، والتشبيهات الغريبة، واضحة ملموسة.

❊ ❊ ❊

تدريبات

١ـ استجدت في العصر الأموي أغراض شعرية لم تكن موجودة من قبل، اذكرها، وبيِّن أسباب ظهورها.

٢ـ ما المقصود بالنقائض؟ وما الأغراض التي برزت فيها؟ وما شروطها؟

٣ـ الغزل الأموي أنواع ثلاثة،اذكرها، ومثِّل لاثنين منها.

٤ـ علِّل:

- ظهور الشعوبية في العصر الأموي.
- لا يفترق الرثاء عن المدح كثيرًا.
- توسُّع الفخر في العصر الأموي.
- انتشر الهجاء في هذا العصر انتشارًا واسعًا.

٥ـ اتسم الشعر الأموي بعدة خصائص في الألفاظ والتراكيب، والمعاني والأخيلة، فصِّل القول فيها.

٦ـ انقسم الشعراء الأمويون إلى طوائف، من حيث أغراضهم الشعرية، ومن حيث اتجاهاتهم الفنية، وضح ذلك، واذكر هذه الطوائف.

٧ـ من أغراض الشعر الهجاء الشخصى، وضحه، واذكر نموذجـًا له، وبين رأيك فيه.

٨ـ شاع الغزل فى العصر الأموى، وأخذ مظهرًا جديدًا، فما ذلك المظهر؟

٩ـ ما أنواع المدح فى عصر بنى أمية؟ اذكر نموذجـًا من الشعر لنوع منها.

١٠ـ تمثل النقائض لونـًا من الصراع الفكرى بين شعراء القبائل. وضح ذلك.

١١ـ ما الشعر السياسى؟ وما أهم الموضوعات التى تطرق لها؟ اذكر نموذجـًا لواحد منها.

❊ ❊ ❊

الموضوع الثالث:النثر في العصر الأموي

أهداف الدرس:

بنهاية الدرس يتوقع أن يكون الطالب قادرًا على أنْ:

١ـ يعدد أسباب ازدهار النثر في العصر الأموي.

٢ـ يحدد أهم فنون النثر في العصر الأموى.

٣ـ يذكر عوامل ازدهار الخطابة في العصر الأموى.

٤ـ يذكر أسباب ازدهار الكتابة في العصر الأموي

٥ـ يحدد أهم خصائص الرسائل في العصر الأموي.

أسباب ازدهار النثر في العصر الأموي

يمكن أن نجمل الأسباب التي جعلت نثر هذا العهد قوي العبارة جزل الأسلوب، شديد الأسر، فخم المظهر، لا تخونه روعة الأداء، ولا تتخلف عنه نضارة البلاغة، فيما يأتي:

١ـ قامت دولة بني أمية بحد السنان، وقوة البيان، وهذا البيان أفاد النثر تهذيبًا وصقلاً، وعاد عليه بكثير من الجودة وحسن البهاء، وصفاء الرونق.

٢ـ استفاد القوم من بلاغة القرآن، وروعة بيانه، وسمو أسلوبه، ومن أحاديث رسول الله ﷺ في تهذيب منطقهم، وتطور أساليبهم، أكثر مما استفاد أسلافهم.

ومن هنا طبع نثرهم بطابع القوة التي رأوا بروقها، واستنشقوا عبيرها، من كلام رب العالمين.

٣ـ وقد استجد للأمة من مظاهر الملك، وانفسح لديها من آفاق الحياة، وتهيأ لها من عوامل النمو والتطور، ما يدعو إلى تهذيب اللغة ورقي الأساليب.

٤ـ رأى خلفاء بني أمية أن الناس قد يداخلهم الحنق على هذا السلطان ويتردد في نفوسهم التمرد من أجل ذلك الملك فأرادوا أن يصرفوهم عن مثل هذه الأفكار برواية ما ترك العرب من شعر ونثر، بعد أن كادت الحروب والغزوات والانصراف إلى الدين الجديد تقطع ما بينهم وبين ذلك من الصلات.

٥ـ وكان لابد أن يكون لاختلاط العرب بغيرهم، وامتزاج الثقافات، واتصال المعارف أثر قوي في تهذيب ألفاظهم، وترتيب أفكارهم، وصقل مداركهم.

ومن هنا رأينا نثرًا لا يعتمد على الفكرة الطارئة، ولا اللمحة العارضة، ولا الخاطر العابر، إنما يعتمد على تسلسل الأفكار، وقوة الحجة واتزان المنطق.

هذه هي العوامل التي أثرت في النثر الأدبي، وجعلته مشرق الصفحة، قوي الديباجة، لامع الرونق، ولما كان مظهره إذ ذاك ينحصر في الخطابة والكتابة، آثرنا أن نتكلم على كل نوع منه على حدة.

الخطابة في العصر الأموي

عوامل ازدهارها:

١ـ الأحزاب والطوائف: تشعبت الأمة ـ إذ ذاك ـ إلى أحزاب وطوائف، وفرق وجماعات، تتقارع بالكلام، وتتصاول بالحجة، وتتراشق بالتُّهم، وتتدافع بالرأي، ففيهم الأمويون، والزبيريون، والشيعة، والخوارج، ولكل جماعة نشاط دائب، وحركة مستمرة، وقول تردده البيئات، وتتناقله المجامع، وخطباء تحمي أنوفهم، وتهيج نفوسهم لدفع الرأي بالرأي، ومقارعة الحجة بالحجة.

٢ـ الملكة البيانية والفطرة: ولقد كان لما فطروا عليه من قوة الملكات، واستكمال أداة البيان وهم عرب مفطورون على الفصاحة، مطبوعون على الخطابة، لا تعوزهم الجرأة على اقتحام أشد مواقفها، كان لذلك أثره في احتفاظ الخطابة بما كان لها من قوة ومكانة قبل ذلك.

فأصبح الخطيب يستطيع أن يجد من زاخر المعاني والأغراض، ما ينطلق به لسانه، ويفيض به بيانه.

٣ـ الحرية: وقد كان للحرية التي أتيحت لهم في هذا العصر، أثرها البالغ في نهوض الخطابة وتطورها ... فالخطيب يستطيع أن يعبر عما يتردد في نفسه، وينطوي عليه فؤاده، من رأي أو مذهب، دون أن يخشى ظلم والٍ أو اضطهاد حاكم، أو صولة ذي سلطان.

هذه هي الحرية التي تزدهر في ظلالها الخطابة، ويصول فيها فحول البلغاء.

٤ـ قوة العقيدة: وكانت قوة العقيدة، التي تتملك النفوس، وتستقر في أعماق القلوب؛ دافعة إلى أن يجهر صاحب الرأي برأيه، وبما عنده من فكرة ومذهب.

كل هذه العوامل، قد هيأت للخطابة من نباهة الشأن، وعلو القدر، وسمو المنزلة، ما جعلها تؤدي مهمتها، وتقوم برسالتها على اختلاف نزعات من يتصدون لها، وتعدد مشاربهم وتوجهاتهم، وكثرة الأحزاب التي ينتسبون إليها.

خصائص الخطابة الأموية

١ـ النزعة السياسية: وهذه تمتلك طوائف الحكام، وتستولي على نفوس أرباب السلطان فقد وقر في أنفسهم أنهم أحق بسياسة هذه الأمة، وأولى بحكمها.

٢ـ النزعة الدينية: وكانت تتجلى واضحة في خطب الجماعات التي تناوئ الخلفاء، وترى أن بني أمية لا يصلحون لقيادة الأمة، ولا لحكم المسلمين.

وتتميز خطابة هؤلاء بالتزام الحمد في أولها، والصلاة على النبي ﷺ وكثرة الاستشهاد بآيات الكتاب الكريم، والاقتباس منه، والاستدلال به.

كما يشيع في هذه الخطب التحذير من الدنيا وغرورها، والتخويف من الآخرة وأهوالها.

وهذه الخطب ذات النزعة الدينية هي في الواقع خطب سياسية، تهدف إلى تغيير الأوضاع، وقلب الأنظمة، ومناوأة الحاكمين.

هذا وقد حرص الخطباء بصفة عامة على اختيار الألفاظ، وحسن تنسيق الجمل بحيث تعطي العبارات جرسًا موسيقيًا يتناسب مع الموقف الذي تقال فيه الخطبة.

الكتابة في العصر الأموي

أسباب ازدهار الكتابة في العصر الأموي:

١ـ إنشاء الدواوين. وكان إنشاؤها قد بدأ في عهد عمر بن الخطاب، الذي أنشأ ديوان العطاء، فلما جاء الأمويون أوجدوا دواوين أخرى؛ كديوان الرسائل، وديوان الجيش، وديوان الخاتم.

٢ـ بدء حركة التدوين، وجمع طائفة من الأخبار والسير والأشعار، وكتابة رسائل من موضوعات شتى.

٣ـ ظهر في عصر بني أمية كُتَّاب احترفوا صنعة الكتابة، وكان لكل خليفة ولكل والٍ كُتَّابه. وكان ديوان الخراج يكتب أول الأمر بلغة الدولة التي كانت قائمة قبل الفتح، فكان يكتب بالعراق بالفارسية، وبالشام بالرومية، وفي عهد عبد الملك بن مروان عُرِّب هذا الديوان.

أما ديوان الرسائل فكانت لغته العربية منذ إنشائه، وكان يقوم عليه كتاب من العرب، أو من الموالي الذين أجادوا العربية.

٤ـ وقد تأثر الكُتَّاب الموالي بمناهج الكتابة، وأساليب التعبير، في لغاتهم الأصلية، فظهرت في طرائقهم الكتابية سمات لم تعرفها الكتابة العربية من قبل، ومن ذلك: إطالة الرسائل، والتكرار، والترادف، والإسراف في التنميق والصنعة.

خصائص الرسائل في العصر الأموي

١ـ من حيث اللفظ: كانت ألفاظ الرسائل متخيرة، ويقل فيها استعمال الغريب. وربما جاءت بعض الرسائل مسجوعة، أو مائلة إلى السجع، ولكن السمة الغالبة في رسائل هذا العصر لا سيما في آخره هي عدم الحرص على السجع، والبعد عن المبالغة في التفخيم والغموض، فلا نكاد نجد عبارة معقدة، أو جملة غامضة. كما نحس فيها التأثر بالقرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، كما نلمس فيها الإيجاز، والقصد إلى الفكرة من أقرب طريق، والتعبير عنها في غير تأنق أو تكلف.

٢ـ من حيث المعنى: يظهر في رسائل هذا العهد الترابط القوي بين المعاني، كما يظهر أثر المنطق في ترتيب الأفكار.

وقد ينثر الكاتب في رسالته بعض معاني الشعر، أو يسوق بضع أبيات في رسالته.

كما اقتبسوا كثيرًا من معاني القرآن الكريم وعباراته وصوره، وأدخلوا في رسائلهم ما استحسنوه من تشبيهات الشعر وأمثاله وحكمه.

وخلاصة القول: أن الكتابة الفنية بلغت في هذ العصر مكانة عالية، ومنزلة مرموقة ودرجة سامية رفيعة على يد الأفذاذ من أعلام الكتاب، الذين أسهموا بجهودهم في بناء ذلك الصرح الشامخ للكتابة الأدبية عند العرب.

أنموذج من الكتابة في العصر الأموي:

كتب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر إلى بعض إخوانه يعاتبه(١):

«أما بعد فقد عاقني الشك في أمرك عن عزيمة الرأي فيك، وذلك أنَّك ابتدأتني بلطف عن غير خبرة، ثمَّ أعقبتني جفاء عن غير جريرة[٢]، فأطمعني أوَّلَك في إخائك، وأيأسني آخرك من وفائك، فلا أنا في

(١) الرسالة في زهر الآداب ج٢ ص٢٤ وفي البيان والتبيين ج٢ ص٨٥ ط هارون.
(٢) الجريره: الذنب.

اليوم مجمع لك أطراحًا[1]، ولا أنا في غدٍ وانتظاره منك على ثقة، فسبحان من لو شاء كشف بإيضاح الرأي في أمرك عن عزيمة الشك فيك، فاجتمعنا على ائتلاف، أو افترقنا على اختلاف، والسلام».

التوقيعات

التوقيع لون جديد من ألوان النثر ،ظهر بوضوح في هذا العصر؛ وهو الكتابة على حواشي الرسائل، التي ترفع إلى ذوي الشأن؛ بما يفيد العلم بها، وإبداء الرأي فيها.

وتمتاز هذه التوقيعات: ١ـ بالإيجاز. ٢ـ ولطف الإشارة.

٣ـ وقوة الإثارة. ٤ـ وسلاسة العبارة.

وكثيرًا ما يكون التوقيع آية مقتبسة، أو حديثًا مرويًّا، أو حكمة صائبة، أو مثلًا سائرًا، أو بيتًا من الشعر.

وفن التوقيع موجود من قديم في الأدب الفارسي، ووجد في الأدب العربي منذ صدر الإسلام.

ويقال: إن أول ما عُرف من ذلك كان لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، إذ كتب إلى سعد ابن أبي وقاص في بنيان: «ابن ما يستر من الشمس ويكنُّ من المطر»، وَوَقَّع إلى عمرو ابن العاص: «كن لرعيتك كما تحب أن يكونوا لك»

***

(١) جمع لك أطراحًا: أي غير عازم على قطيعتك.

تدريبات

١ـ ما الأسباب التي جعلت نثر العصر الأموي قوي العبارة، جزل الأسلوب؟

٢ـ أسهمت عدة عوامل في ازدهار الخطابة في عصر بني أمية، اذكرها، وبين خصائص الكتابة في هذا العصر.

٣ـ ما أسباب ازدهار الكتابة في العصر الأموي؟

٤ـ اذكر خصائص الرسالة في العصر الأموي من حيث اللفظ ومن حيث المعنى.

٥ـ ما التوقيع؟ وبمَ يمتاز؟ وهل كان موجودًا قبل العصر الأموي؟

٧ـ ضع علامة (√) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (×) أمام العبارة الخطأ فيما يأتي:

- بدأ إنشاء الدواوين في عهد الأمويين. ( )
- أنشأ الأمويون دواوين الرسائل، وديوان الجيش، وديوان الخاتم. ( )
- بدأت حركة التدوين في العصر الأموي. ( )
- ظهر في عصر بني أمية كُتَّاب احترفوا صنعة الكتابة. ( )
- كان ديوان الخراج يكتب أول الأمر باللغة العربية. ( )
- كانت لغة ديوان الرسائل العربية منذ إنشائه. ( )

❊ ❊ ❊

الموضوع الرابع ـ في المديح لجرير

أهداف الدرس:

بنهاية الدرس يتوقع أن يكون الطالب قادرًا على أنْ:

١ـ يذكر ترجمة جرير بن عطية.

٢ـ يذكر الأسباب التى أدت لاستهلال جرير قصيدته بذكر مأساة فقره مع زوجه «أم حرزة».

٣ـ يحدد سمات شخصية الشاعر، وخصائص أسلوبه.

٤ـ يشرح أبيات القصيدة بأسلوبه الخاص.

٥ـ يذكر أثر البيئة فى النص.

٦ـ يحفظ الأبيات المقررة من القصيدة.

التعريف بالشاعر:

هو جرير بن عطية الخطفي ينسب إلى عشيرة كليب اليربوعية، وهو من تميم، ولد في خلافة «عثمان بن عفان» رضي الله عنه، ويروى أن أمه رأت في المنام وهي حامل به أنها ولدت حبلًا يلتف على أوساط الناس، فيقطعها؛ فسمته لذلك: جريرًا، وفي كتب اللغة: جرير: الحبل الذي يقتاد به.

نشأ باليمامة وتعلم فيها الشعر على يد جده الخطفي، وكان خبيرًا بأيام العرب في الجاهلية والإسلام، ولم يستطع أن يصمد أمام شعره في النقائض سوى الفرزدق والأخطل، وإن كانا قد اعترفا له بالتفوق عليهما، وتوفي جرير سنة إحدى عشرة ومئة للهجرة، وقيل إنه مات في اليمامة.

مناسبة القصيدة:

هذه القصيدة للشاعر جرير قالها في مدح الخليفة الأموي «عبد الله بن مروان»، ولكنه قبل أن يمدحه تحدث عن مأساة فقره مع زوجه «أم حرزة».

القصيدة:

أتصحـو أم فؤادكَ غيرُ صاح ⁂ عشـيةَ هَمَّ صحبكَ بالرواحِ

تقولُ العاذلاتُ: عَلاكَ شَيْبٌ، ⁂ أهذا الشيبُ يمنعني مراحي؟

تعزتْ أمُّ حــــرزةَ ثمَّ قالتْ ※※ رَأيتُ الوَارِدِينَ ذَوي امْتِناحِ
تُعَلّلُ، وَهْيَ ســـاغِبَة، بَنِيها ※※ بأنْفاسٍ مِنَ الشَّــبِمِ القَرَاحِ
سَــأمْتاحُ البُحُــورَ، فجَنّبِيني ※※ أذاةَ اللّوْمِ وانْتظِرِي امْتِياحي
ثِقي بالله لَيْـــسَ لَهُ شَرِيكٌ، ※※ ومن عنـــد الخليفة بالنجاحِ
أغثني يا فـــداكَ أبي وأمي ※※ بسيبٍ منكَ إنكَ ذو ارتياح
فَـــإنّي قدْ رَأيتُ عَــليّ حَقًّا ※※ زِيَـــارَتِيَ الخَليفَةَ وامْتِداحي
سأشكرُ أنْ رددتَ عليَّ ريشي ※※ وَأنْبَـــتَّ القَوادِمَ في جَنَاحي
ألَسْـتُمْ خيرَ مَن رَكِبَ المَطَايا ※※ وأندى العالمِينَ بطونَ راحِ؟

معاني المفردات:

"أتصحو": الصحو الإفاقة من الغفلة، "عشية": العشاء ظلام الليل، ويقال: إن العشاء من لدن زوال الشمس إلى الصباح في اليوم التالي، "هَمَّ": هم بالشيء؛ أي: نواه وأراده وعزم عليه، "صحبك": مفردها صاحب، والصاحب هو المعاشر الملازم، وهو اسم جمع، "الرواح": العودة إلى البيت، وهي من طلب الراحة، "العاذلات": جمع عاذلة، والعذل هو اللوم، والعذل أصله في اللغة الإحراق، فكأن اللائم يحرق بعذله قلب المعذول، "شيب": الشيب بياض يعلو الرأس، "مراحي": المرح شدة الفرح والنشاط، حتى يجاوز قدره ومعناه النشاط والخفة، "تعزت": صبرت وتجلدت، "أم حرزة": زوج جرير، "الواردين": الذين يسوقون الإبل نحو الماء، "امتناح": عطاء، "تعلل": تعلل المرأة صبيها بشيء من المرق ونحو ذلك، أي شغلته وألهته به، "ساغبة": جائعة مع تعب، "الشبم": الشبم أي البارد، "القراح": الماء الذي لا يخالطه شيء يطيب به كالعسل والتمر والزبيب، "سأمتاح": الامتياح معناه انتزاع الماء من البحور، والماتح للماء أي المقيم على مصدر الماء ليرفعها، "جنبيني": أبعدي عني هذا الأمر، "أذاة": الأذي كل ما تأذيت به وأصابك منه الضرر، وهي مصدر، "اللوم": العتاب، "ثقي": أي: تأكدي، "أغثني": أي فرج عني، "فداك أبي وأمي": افتدى إنسانا أي اشتراه وخلصه، "سيب": عطاء، "ارتياح": عطاء وكرم، "امتداحي": المديح طلب حسن الثناء، "القوادم": تطلق على أربع ريشات كبيرة من مقدم الجناح، والأربع اللاتي تليهن تسمي المناكب، واللاتي تليهن تسمى الخوافي،

واللاتي تليهن تسمي الأباهر، والأبهر الجانب الأقصر من الريش، "المطايا": مفردها مطية، وهي البعير الذي يمتطي ظهره، ويقع على الذكر والأنثى، "أندى": أندى الرجل كثر عطاؤه على إخوانه، فالندى هو السخاء والكرم الشديد، "رب العالمين": أي رب الخلق كلهم، والعالمون أصناف الخلق، والعالم معناه الخلق كله، وليس هناك مفرد لكلمة العالم من لفظه؛ لأن العالم جمع أشياء مختلفة، "راح": جمع راحة، وهي باطن الكف.

الشرح:

١ـ بدأ جرير قصيدته بمخاطبة نفسه قائلا: هل أنت في كامل وعيك قد أفقت من غفلتك، أم تُرَى أنه قد غاب وعيك عندما فارقك الأحباب؟

٢ـ ثم ينتقل إلى اللائمات عليه اللاتي يقلن له: إن رأسك قد علاه الشيب، فمالك والغزل؟ فيستنكر عليهن ما يقلن، ويرد بقوله: وهل يمنع الشيب من المرح والنشاط والخفة واللهو؟!

٣ـ يصف زوجه أم حرزة بأنها جزعت في بداية الأمر، ثم ما لبثت أن صبرت وتجلدت، وقالت: إن الذي يرد حوض الخليفة طالبًا العطاء لن يرده خائبًا أبدًا، بل سينال العطاء الكثير.

٤ـ ثم يصف حاله البائس عندما كان ذاهبًا إلى الخليفة، فيقول: إن زوجه كانت في حاجة شديدة لدرجة أنها تسلي أبناءها بجرعات من الماء البارد، لتصبرهم؛ لأنها لا تمتلك طعامًا لهم.

٥ـ ولذا قرر أن يذهب للخليفة يستجدي العطاء، ليسد هذا العوز الشديد، ولكنه يطلب من زوجه عدم اللوم عليه وإيذائه بالعتاب، وطلب منها أن تصبر وتنتظر ما سوف يأتي به من العطاء الوفير من الخليفة.

٦ـ ويطلب منها أن تثق بالله، ثم بعطاء الخليفة، فالخليفة كريم، والله أكرم، فمن قصد وجه الله لا يخيب.

٧ـ ثم نجده يلح ويجاهر باستجداء العطاء؛ لأنه يعيش هو وأولاده وزوجه في فقر مدقع مذل، داعيًا الله للخليفة، طالبًا منه العطاء بسخاء.

٨ ـ إنه يرى أن مدح الخليفة وزيارته حق عليه لابد منه.

٩ـ يشكر الخليفة أن رد إليه ريشه بعطائه السخي، وسد عوزه وفقره.

١٠ـ يمدح في النهاية الخليفة وقومه، واصفًا إياهم بأنهم خير الناس جميعًا وأكرمهم قاطبة.

من مواطن الجمال:

١ـ في قوله: «أتصحو أم فؤادك غير صاح» إنشاء، نوعه استفهام، الغرض منه التحسر والحيرة، وبين كلمتي «تصحو، صاح» جناس غير تام، يعطي نغمًا موسيقيًّا، يجذب الانتباه، وبين كلمتي «صاح، الرواح» تصريع، يعطي نغمًا موسيقيًّا، يجذب الانتباه، وفي قوله: «أم فؤادك غير صاح» استعارة مكنية، فقد شَبَّه «الفؤاد» بإنسان يصحو، وسَرُّ جمالها التشخيص.

ـ وفي قوله: «هم صحبك بالرواح» كناية عن الاستعداد للرحيل، وسِرُّ جمالها، الإتيان بالمعنى مصحوبًا بالدليل.

ـ وفي لفظة «فؤادك» مجاز مرسل علاقته الجزئية، وَسِرُّ جماله الإيجاز، وقال: «الرواح»، ولم يقل «الرجوع»؛ لأن الرواح تأتي من الراحة في المكان، وكأن في رجوعهم السكن والراحة، وفي قوله: «أتصحو» استعارة مكنية، حيث شَبَّه نفسه بإنسان يخاطبه ويتحدث إليه، وَسِرُّ جمالها التشخيص.

٢ـ وفي قوله: «علاك شيب» كناية عن شدة الضعف، وَسِرُّ جمالها الإيجاز، وفي قوله: «أهذا الشيب يمنعني مراحي» إنشاء، نوعه استفهام، الغرض منه التعجب والنفي والاستنكار. وفي قوله: «الشيب يمنعني مراحي» استعارة مكنية، حيث صور الشيب بإنسان يمنعه من المرح، وسِرُّ جمالها التشخيص.

٣ـ وقوله: «تعزت أم حرزة ... » البيت كله كناية عن شدة الفقر والعوز. وفي قوله: «رأيت الواردين ذوي امتناح» استعارة تصريحية، صور الطالبين عطاء الخليفة الأموي بالواردين ماء البحر ينهلون منه، وسِرُّ جمالها التوضيح.

ـ وفي قوله: «رأيت الواردين ذوي امتناح» كناية عن كثرة الطالبين للعطاء.

٤ـ وفي قوله: «تعلل وهي ساغبة بنيها» كناية عن شدة الفقر والحاجة، فهي تسلي أولادها بجرعات ماء بارد هي في أشد الحاجة لقطرات منها. جاءت كلمة: «بنيها» جمعًا، للدلالة على كثرة الأبناء، وقوله: «وهي ساغبة» جملة حالية، تبين شدة جوعها وحاجتها إلى الطعام، وهي تعطي صورة رائعة لحنان الأم، فهي تعطي أولادها جرعات الماء البارد، وهي في أشد الحاجة إليها.

٥ـ وفي قوله: «سأمتاح البحور» استعارة مكنية، حيث صور نفسه بالسفينة التي تجوب البحور، وتنتزع منها خيرها، وَسِرُّ جمالها التوضيح، وفي قوله: «البحور» استعارة تصريحية، حيث شبه الذين

يجودون عليه بالعطاء بالبحور الفياضة، وسُّر جمالها التوضيح. وفي قوله: «فجنبيني» إنشاء، نوعه أمر، الغرض منه الالتماس والرجاء. وفي قوله: «أذاة اللوم» استعارة مكنية، صور اللوم بإنسان يؤذي، وَسِرُّ جمالها التشخيص.وفي قوله: «وانتظري» إنشاء، نوعه أمر، غرضه الالتماس والرجاء.وفي قوله: «ثقي بالله» إنشاء، نوعه أمر، غرضه الالتماس.وفي قوله: «ليس له شريك» كناية عن الوحدانية وفي قوله: «أغثني» إنشاء، نوعه أمر الغرض منه التوسل. وفي قوله: «يا» إنشاء، نوعه نداء، غرضه التعظيم وحذف المنادى للعلم به «فداك أبي وأمي» أسلوب خبري لفظًا، إنشائي معنى، الغرض منه الدعاء،وجاءت كلمة: «سيب» نكرة للتعظيم، وفي قوله: «إنك ذو ارتياح» كناية عن شدة ثراء الخليفة، وَسِرُّ جمالها الإتيان بالمعنى مصحوبًا بالدليل عليه في إيجاز وتجسيم.

٨ ـ جاءت كلمة «حق» نكرة للتعظيم والشمول والعموم.

٩ـ وفي قوله: «أن رَدَدْت عليَّ ريشي» استعارة مكنية، وَسِرُّ جمالها التوضيح.

ـ وفي قوله: «ريشي» استعارة تصريحية، صور الأموال بالريش، وَسِرُّ جمالها التوضيح.وفي قوله: «وأنبت القوادم من جناحي» استعارة مكنية، صور نفسه بالطائر الذي له جناح، كان به ريش كبير نزع منه، وأنبته له الخليفة بعطائه، وَسرُّ جمالها التوضيح.وفي قوله: «القوادم» استعارة تصريحية صور المال والغنى بالقوادم، وسِرُّ جمالها التوضيح. وفي قوله: «جناحي» استعارة تصريحية، صور الثراء بالجناح، وسِرُّ جمالها التوضيح.وفي قوله: «سأشكرُ أنْ رددتَ ...» البيت كله كناية عن شدة الفقر والحاجة، وكثرة عطاء الخليفة.

١٠ـ وفي قوله: «ألستم خير من ركب المطايا» أسلوب إنشائي نوعه استفهام الغرض منه التقرير، كلمة «خير» تدل علي الزيادة في الفضل والشرف.

ـ وفي قوله: «ركب المطايا» كناية عن موصوف، وهم العرب، وَسِرُّ جمالها الإتيان بالمعنى مصحوبًا بالدليل. وفي قوله: «وأندى العالمين بطون راح» كناية عن صفة، وهي شدة الكرم والسخاء، وسر جمالها الإتيان بالمعنى مصحوبًا بالدليل.وفي لفظة: «راح» مجاز مرسل علاقته السببية، فراحة اليد سبب في العطاء، وَسِرُّ جمالها الإيجاز.وجاءت كلمة: «العالمين» جمعًا للدلالة على أفضلية قوم الخليفة على العالمين في الكرم والسخاء.

التعليق العام على القصيدة:

١ـ (العاطفة)

في مطلع الأبيات كان الشاعر يتحدث إلى زوجه أم حرزة، فكانت عاطفته صادقة ذاتية عميقة؛ لأنه يخاطب شريكة حياته ورفيقته وأم أولاده التي تعاني معه الفقر والحرمان، وتلهي أولادها بالماء البارد لعدم وجود طعام، مع حاجتها الشديدة حتى للماء البارد، ولكنها تؤثر أولادها على نفسها، وهذا يعكس عاطفة الأمومة الصادقة القوية التي تحمل أسمى معاني الحب والتضحية.

أما عندما تحدث عن مدح الخليفة؛ فإنه مدحه، ثم جاهره بطلب العطاء، فعاطفته في هذا الجانب أقل صدقًا، وتتسم بالمبالغة؛ لأنه يمدح ليستجديه؛ أي أن هناك علة للمدح.

❊ ❊ ❊

تدريبات

١ـ ما نوع الأسلوب في قوله «أتصحو أم فؤادك غير صاح»؟ وما الغرض منه؟

٢ـ ما نوع المحسن البديعي اللفظي بين كلمتي «تصحو ـ صاح» «وصاح والرواح» وما سر جماله؟

٣ـ ما نوع الكناية في قوله «هم صحبك بالرواح»؟ وما سر الجمال؟

٤ـ ما نوع الأسلوب في قوله «أهذا الشيب يمنعني مراحي»؟ وما الغرض منه؟

٥ـ ماذا أفادت جملة «وهي ساغبة»؟

٦ـ لماذا استخدم المصدر في قوله «أذاة»؟

٧ـ ما نوع الأسلوب في قوله «ثقي بالله»؟ وما الغرض منه؟

٨ـ لماذا استخدم أداة النداء «يا»؟

٩ـ قال جرير:

فَـإنّي قـدْ رَأيـتُ عَـليّ حَقًّـا ❊❊ زِيَـارَتِيَ الخَليفَةَ وامْتِداحي

سأشكرُ إنْ رددتَ عليَّ ريشي ❊❊ وَأَثْبَـتَّ القَوادِمَ في جَنَاحي

أَلَسْـتُمْ خَيرَ مَن رَكِبَ المَطَايا ❊❊ وأنـدى العالمينَ بطونَ راحِ

(أ) ما سِرُّ جمال التعبير بالكلمات الآتية:

(القَوادِمَ ـ فَإنّي ـ زِيَارَتِيَ ـ ريشي ـ العالمينَ)؟

(ب) ضع عنوانًا للأبيات المذكورة.

(ج) ما مدى توفيق الشاعر فى التعبير عن رغبته؟

(د) أى التركيبين أفضل؟ ولماذا؟

(أنتم خير من ركب المطايا، ألستم خير من ركب المطايا)؟

(هـ) انثر الأبيات نثرًا أدبيا غير مخل بالمعنى.

(و) ما السمات الفنية لقصيدة جرير؟

❊❊❊

الموضوع الخامس

عبيد الله بن قيس الرقيات يبكي قريشًا

أهداف الدرس:

بنهاية الدرس يتوقع أن يكون الطالب قادرًا على أنْ:

١ـ يذكر ترجمة عبيد الله بن قيس.

٢ـ يذكر مناسبة القصيدة.

٣ـ يحدد سمات شخصية الشاعر، وخصائص أسلوبه.

٤ـ يشرح أبيات القصيدة بأسلُوبه الخاص.

٥ـ يذكر أثر البيئة فى النص.

٦ـ يحفظ الأبيات المقررة من القصيدة.

التعريف بالشاعر:

هو عبد الله بن قيس، بن شريح بن مالك بن ربيعة، ينتهي نسبه إلى لؤي بن غالب بن فهر بن النضر، فهو قرشي الأب والأم، أما الرقيات فلقب غلب عليه؛ لأنه ـ على الأرجح ـ شبب بثلاث نسوة، كل منهن اسمها رقية، ولد في أوائل العقد الثاني من الهجرة، أو أوائل العقد الثالث في مكة، ونشأ فيها حيث قضى بها صباه، وأول شبابه، ثم رحل إلى المدينة، فقصده المغنون لعذوبة شعره، اتصل بالزبيريين ومدحهم، ثم تحول إلى مدح الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، ومات سنة خمس وسبعين للهجرة.

القصيدة:

حَبَّـذا العَيـشُ حيـنَ قَومـي جَميـعٌ *** لَـم تُفَـرِّق أُمورَهـا الأَهـواءُ

قَبلَ أَن تَطمَعَ القَبائِلُ فـي مُلـ *** ـكِ قُرَيشٍ وَتَشمَـتَ الأَعـداءُ

أَيُّهـا المُشتَهـي فَنـاءَ قُرَيشٍ *** بِيَـدِ اللَـهِ عُمرُهـا وَالفَنـاءُ

إِن تُوَدِّع مِـنَ البِـلادِ قُرَيـشٌ *** لا يَكُـن بَعدَهُـم لِحَـيٍّ بَقـاءُ

لَو تُقَفّي وَتَترُكُ النـــاسَ كانـوا ⁂ غَنَمَ الذِئبِ غابَ عَنها الرِعـــاءُ

هَل تَـــرى مِن مُخَلَّدٍ غَيـــرَ أَنَّ الـ ⁂ لَـــهَ يَبقـى وَتَذهَـــبُ الأَشيـاءُ

يَأمُلُ الناسُ في غَدٍ رَغَبَ الـــدَهـ ⁂ ـرِ أَلا في غَدٍ يَكـــونُ القَضـــاءُ

لَو بَكَت هَذِهِ السَماءُ عَلـــى قَـو ⁂ مٍ كِرامٍ بَكَـــت عَلينـــا السَماءُ

عَينُ فَابكي عَـــلى قُرَيشٍ وَهَل يُر ⁂ جِعُ ما فاتَ إِن بَكَيـــتِ البُكـاءُ

مَعشَرٌ حَتفُهُم سُـــيوفُ بَني العَـــ ⁂ ـلاتِ يَخشَونَ أَن يَضيعَ اللِـــواءُ

تَرَكَ الـــرَأسَ كَالثَغامَـــةِ مِنّـي ⁂ نَكَبـــاتٌ تَسـري بِهـــا الأَنبـاءُ

لَيسَ لِلَّـــهِ حُرمَـةٌ مِثـــلُ بَيتٍ ⁂ نَحـــنُ حُجّابُهُ عَلَيـــهِ المُلاءُ

خَصَّـهُ اللـــهُ بِالكَرامَـــةِ فَالبا ⁂ دونَ وَالعاكِفـــونَ فيـــهِ سَـواءُ

المناسبة:

هذه الأبيات تنفيسٌ عن عاطفة الشاعر، فهي تتغنى بماضي قريش التليد، بعدما كان من قتال الأمويين مع أبناء عمومتهم من الهاشميين وغيرهم ممن حالفهم، وكان عبيد الله يرى في ذلك خطرًا محدقًا على مكانة قريش، بعدما تحول الأمويون بعاصمة ملكهم إلى الشام بدلًا من الحجاز.

تحليل القصيدة:

الأبيات من (١ ـ ٧) الوحدة مع القرشيين بقاء لمجد الإسلام:

حَبَّذا العَيشُ حينَ قَومي جَميـــعٌ ⁂ لَـــم تُفَـرِّق أُمورَهـــا الأَهـواءُ

قَبلَ أَن تَطمَعَ القَبائِلُ فـــي مُلـ ⁂ ـكِ قُرَيـــشٍ وَتَشمَـتَ الأَعـداءُ

أَيُّهـــا المُشتَهـي فَنـــاءَ قُرَيشٍ ⁂ بِيَـدِ اللَـــهِ عُمرُهـــا وَالفَنـاءُ

إِن تُوَدِّع مِـــنَ البِـــلادِ قُرَيـشٌ ⁂ لا يَكُـــن بَعدَهُـم لِحَـــيٍّ بَقـاءُ

لَو تُقَفّي وَتَترُكُ النـــاسَ كانـوا ⁂ غَنَمَ الذِئبِ غابَ عَنها الرِعـــاءُ

هَل تَـــرى مِن مُخَلَّدٍ غَيـــرَ أَنَّ الـ ⁂ لَـــهَ يَبقـى وَتَذهَـــبُ الأَشيـاءُ

يَأمُلُ الناسُ في غَدٍ رَغَبَ الـــدَهـ ⁂ ـــرِ أَلا في غَدٍ يَكـــونُ القَضـاءُ

معاني المفردات:

"حبذا": أسلوب مدح، "جميع": مجتمعون، "أمورها": شئونها وأحوالها، والضمير عائد على معنى القبيلة، "الأهواء: جمع هوى": الميل، والعشق، "تطمع: من الطمع": الأمل والرجاء، وأكثر ما يستعمل فيما يقرب حصوله، ويجمع على أطماع، "تشمت: يقال شمت به": فرح بمكروه أصابه ويقال: أشمته الله بعدوه: جعله يشمت به، وأشمت العاطس: دعا له بالخير، وتشمت: رجع خائبًا من غير غنيمة، "المشتهي: اشتهى الشيء": اشتدت رغبته فيه، "تقفى: يقال قفى على الشيء": غشيه أو ذهب به، "وقفى الشعر": جعل له قافية، وقفى فلانًا وبه: أتبعه إياه، "الرعاء: جمع راع": من يحفظ الماشية ويرعاها، "رغب": عطاء كثير؛ والمراد برغب الدهر: إقباله ورخاؤه.

الشرح:

ما أجمل الحياة!! وما أطيبها في كنف القرشيين! أيام كنا ننعم بالوحدة، ونهنأ بالائتلاف، كلمتنا سواء، نصرف أمورنا وفق العقل والحكمة، والمصلحة العامة لا تصرفنا الأهواء والأهداف الذاتية عن ذلك. لكن ما لبثت أن تغلبت نزعات النفوس، وعلت أصوات الأهواء، وتربص بنا الأعداء الطامعون في انتزاع مجدنا وملكنا آملين فناء قريش ... كيف! وفي فنائها فناء للعرب جميعًا؛ لأن قريشًا هي الدعامة القوية لبقاء أمجاد الإسلام فإن تخلت عن دورها، أو انحسرت سيادتها ضاعت هيبة العرب. هل رأيت غنمًا غاب راعيها وتصورت مصيرها بعد أن أحاطت بها الذئاب من كل جانب؟ ذلك حال قريش وحال العرب ـ في سيادتها سيادة العرب، وفي بقاء الخلافة فيها بقاء لعزهم وسؤددهم، وبقائهم ـ ما دامت الحياة، وبقيت الدنيا، والدنيا إلى فناء، وكل شيء إلى زوال، وينهي الشاعر فكرته بالتسليم بالقضاء، وبما أراده الله جل وعلا.

من مواطن الجمال:

١ـ في قوله: (حبذا العيش) أسلوب مدح، أفاد حرص الشاعر على وحدة قريش، وعدم تشتت أهلها، وسير كل فريق منهم مع أهوائهم. وفي قوله «لم تفرق أمورها الأهواء» استعارة مكنية، وسِرُّ جمالها التشخيص.

٢ـ عبر بالمضارع في قوله: «تطمع، تشمت» للدلالة على التجدد والحدوث.

٣ـ وفي قوله: (أيها المشتهي) إنشاء، نوعه نداء، غرضه الرد على المتربصين بقريش.

٤ـ وفي قوله: (إن تودع) أتى بإن الشرطية التي تفيد الشك؛ دلالة على أن العالم لا يستغني عن قريش، ومن ثم كان مجيء لفظة «حي» نكرة لإفادة العموم، عموم المصيبة والفناء الذي لن يخص حيًّا دون آخر.

٥ـ وفي قوله: (كانوا غنم الذئب غاب عنها الرعاة) تشبيه، حيث شَبَّه غياب قريش عن العرب بغياب الراعي عن الغنم، وتأمل صورة الغنم غاب عنها الراعي، فأحاطت بها الذئاب من كل جانب، كيف يكون حالها؟

الأبيات من (٨ ـ ١٣) التحسر على ما أصاب قريشًا والبيت الحرام:

لَو بَكَت هَذِهِ السَماءُ عَلــــى قَـو *** مٍ كِرامٍ بَكَـــت عَلينـــا السَمـاءُ

عَينِ فَابكي عَـــلى قُرَيشٍ وَهَل يُر *** جِعُ ما فاتَ إِن بَكَيــتِ البُكـاءُ

مَعشَرٌ حَتفُهُم سُـــيوفُ بَني العَـــ *** لاتِ يَخشَونَ أَن يَضيعَ اللِـــواءُ

تَرَكَ الـــرَأسَ كَالثَغامَـــةِ مِنّي *** نَكَبـــاتٌ تَسري بِهـــا الأَنباءُ

لَيسَ لِلَّـــهِ حُرمَةٌ مِثـــلُ بَيتٍ *** نَحـــنُ حُجّابُهُ عَلَيـــهِ المُلاءُ

خَصَّـــهُ اللَـهُ بِالكَرامَـــةِ فَالبا *** دونَ وَالعاكِفـــونَ فيـــهِ سَواءُ

معاني المفردات:

"عين": منادى، حذف حرف النداء، "الحتف": الهلاك، "يقال": مات فلان حتف أنفه: مات على فراشه بلا ضرب ولا قتل، "العلات: جمع علة": ضرة، "وبنو العلات": الإخوة من أب واحد وأمهات متعددة. "والأخياف": أمهم واحدة والآباء شتى. "وبنو الأعيان": الأشقاء. والمقصود هنا من «بني العلات» ذمهم؛ لما يكون بين أولاد الضرائر من اختلاف طباع، وقلة تعاطفهم بعضهم لبعض؛ لعداوات أمهاتهم ـ "اللواء": العلم، والمراد، الخلافة، "الثغامة": شجرة بيضاء الثمر والزهر تنبت في أعلى الجبل إذا يبست اشتد بياضها، والشاعر يشبه الشيب بها، "حجابه: المقصود": حراسه، "الملاء": الستائر، البادون: مفرده البادي: المقيم في البادية، "وبادي الرأي": ظاهره، "والبادية: مؤنث البادي": فضاء واسع فيه المرعى والماء. والمقصود هنا: من هم خارج البيت الحرام. "العاكفون": المقيمون في المسجد للعبادة.

الشرح:

لو بكت السماء على ما تحول إليه أمر قوم كرام لبكت علينا، وعلى ما آل إليه حال القرشيين؛ من تفرق وتشرذم، وتحول الخلافة، وغير ذلك مما يستدر الدمع الهتون؛ لذا ينادي عينه ويطلب إليها أن تجود بالدمع الغزير تحسرًا، وألمًا، وحزنًا على ما كان وكان، وهل يُرجِع البكاء ما كان!!

لقد طمع الجميع في الخلافة، وانقسموا شيعًا، وتفرقوا أحزابًا وتقاتلوا، وهلك من هلك، وكان هلاكه بسيف أهله، ورمح أقاربه؛ مما زاد الحسرة والألم، وأورث الحزن والشجن، وترك أثره ظاهرًا وباطنًا؛ فاشتعل الرأس شيبًا، وانفطر الفؤاد أسى. كيف كان ذلك وفينا البيت الحرام، أعظم مكان وأقدس حرمة، خصنا الله بعمارته وصيانته وخدمة حجاجه، وخصه بالتكريم؛ فقدسه المسلمون كل المسلمين، ثم تأتي جيوش الأمويين المكونة من قبائل شتى، وتحرقه وتهدمه.

من مواطن الجمال:

٨ ـ في قوله: «بكت السماء» استعارة مكنية لا يخفي أثرها في تجسيد المعنى، فضلًا عن أن العبارة توحي «بحزن العالمين» على قريش.

٩ـ وفي قوله: «عين»إنشاء نوعه نداء، غرضه والتحسر والأسى. وقوله: «فابكي» إنشاء، نوعه أمر، غرضه الالتماس.

١٠ـ وجاءت كلمة: «معشر» نكرة للتعظيم.

١١ـ وفي قوله: (لما بدا فيه من بياض) تشبيه، حيث شَبَّه الشاعر رأسه بنبات الثغام شديد البياض.

١٢ـ وفي قوله: (ليس لله حرمة مثل بيت) أسلوب نفي، أريد به تعظيم بيت الله الحرام، وتأكيد حرمته. وفي قوله: «نحن حُجابه» أسلوب قصر، أفاد اختصاص القرشيين بالحجابة في بيت الله الحرام.

١٣ـ وفي قوله:"والعاكفون فيه سواء" اقتباس من القرآن الكريم.

التعليق العام على القصيدة:

هكذا تآزر الأسلوب الشعري والصور البيانية في إبراز تجربة الشاعر، وأسهما في توضيح المعنى على نحو ضَمَّنَ للقصيدة جمال الأسلوب، وروعة التصوير.

واتسمت الصور والأخيلة ـ في القصيدة ـ بأنها جزئية، تعتمد أكثر ما تعتمد على التشبيهات، والاستعارات، والكنايات، وغيرها. وكلها أدت دورها، وبلغت محلها في دقة وطرافة.

تدريبات

١ـ يقول الشاعر:

حَبَّذا العَيشُ حينَ قَومي جَميــعٌ ** لَــم تُفَـرِّق أُمورَهـا الأَهـواءُ
قَبلَ أَن تَطمَعَ القَبائِلُ فــي مُلـ ** كِ قُرَيـشٍ وَتَشمَــتَ الأَعـداءُ
أَيُّهـــا المُشتَهي فَنـــاءَ قُرَيشٍ ** بِيَـدِ اللَـــهِ عُمرُهـــا وَالفَنـاءُ
إِن تُوَدِّع مِــنَ البِــلادِ قُرَيشٌ ** لا يَكُــن بَعدَهُم لِحَــيٍّ بَقـاءُ
لَو تُقَفّي وَتَترُكُ النـــاسَ كانـوا ** غَنَمَ الذِئبِ غابَ عَنها الرِعـــاءُ
هَل تَــرى مِن مُخَلَّدٍ غَيــرَ أَنَّ الـ ** لَــهَ يَبقى وَتَذهَـــبُ الأَشيـاءُ
يَأمُلُ الناسُ في غَدٍ رَغبَ الـــدَهـ ** رِ أَلا في غَدٍ يَكــونُ القَضـــاءُ

(أ) اختر الإجابة الصحيحة من بين الأقواس:

ـ «حبذا» أسلوب .... (مدح ـ ذم ـ ترحم).

(ب) انثر الأبيات نثرًا أدبيًّا بأسلوبك.

(جـ) استخرج من الأبيات محسنًا، وبيِّن نوعَه، وسَرَّ جماله.

(د) أكمل ثلاثة أبيات بعد هذه الأبيات.

٢ـ يقول الشاعر:

لَو بَكَت هَذِهِ السَماءُ عَلـــى قَـو ** مٍ كِرامٍ بَكَـــت عَلينـــا السَمـاءُ
عَينِ فَابكي عَـــلى قُرَيشٍ وَهَل يُر ** جِعُ ما فاتَ إِن بَكَيـــتِ البُكـاءُ
مَعشَرٌ حَتفُهُم سُيوفُ بَني العَـــ ** لاتِ يَخشَونَ أَن يَضيعَ اللِـــواءُ
تَرَكَ الـــرَأسَ كَالثَغامَـــةِ مِنّي ** نَكَبـــاتٌ تَسري بِهـــا الأَنبـاءُ
لَيسَ لِلَّــهِ حُرمَةٌ مِثــلُ بَيتٍ ** نَحـــنُ حُجّابُهُ عَلَيـــهِ المُلاءُ
خَصَّـــهُ اللَهُ بِالكَرامَـــةِ فَالبا ** دونَ وَالعاكِفــونَ فيـــهِ سَواءُ

(أ) ضع عنوانًا للأبيات السابقة.

(ب) ما مدى ملاءمة الأسلوب لغرض الشاعر؟

(جـ) استخرج الكلمات الصعبة التى لم يُشرَح معناها، ثم ابحث عنها فى المعجم.

(د) في أحد الأبيات تأثر بالقرآن الكريم، عينه، واذكر الآية المرادة به.

(هـ) لمن الأبيات؟ وما مناسبتها؟ وإلى أي عصر تنتمي؟

(و) ما نوع الصورة في «بكت السماء»، وما سرُّ جمالها؟

(ز) ما دلالة تكرار كلمة «بكت»؟

(ح) ما نوع الأسلوب في قوله: «عين فابكي»؟

(ط) أكمل بيتين بعد الأبيات السابقة.

(ي) تآزر الأسلوب الشعري والصور البيانية في إبراز عاطفة الشاعر. وضح.

(ك) اشرح البيت الأول والثانى بعبارة أدبية.

* * *

الموضوع السادس

خطبة الحَجَّاج بن يوسف الثقفى ـ حين ولي العراق

أهداف الدرس:

بنهاية الدرس يتوقع أن يكون الطالب قادرًا على أنْ:

١ـ يذكر ترجمة الحجّاج بن يوسف.

٢ـ يوضح مناسبة الخطبة.

٣ـ يحدد سمات شخصية الخطيب وخصائص أسلوبه.

٤ـ يشرح الخطبة بأسلوبه الخاص.

٥ـ يحفظ الفقرات المقررة من الخطبة.

٦ـ يبين أثر البيئة فى أسلوب الخطيب.

٧ـ يبين مواطن الجمال فى الخطبة.

التعريف بالخطيب:

الحجاج بن يوسف الثقفي من أدباء العرب المشهورين وخطبائهم الأعلام، محض ولاءه بني أمية، فاستصفوه وقرَّبوه، وعقدوا له لواء القيادة، فأصبح ينطق باسمهم، ويضرب بسيفهم، ويمخر في عبابهم. وهذه الخطبة من أشهر خطبه، ألقاها حين ولاه عبد الملك بن مروان أمر العراق، وهي واضحة الدلالة على إخلاصه لعبد الملك، وصدقه في توطيد ملكه وإسكات الثورات التي نشبت في عهده.

المناسبة:

أمَّ الحجاج المسجد حين وصوله الكوفة، وصعد المنبر، وقد لاث العمامة على وجهه حتى لا يعرفه أحد، ومكث على المنبر ساعة لا يتكلم، والقوم جلوس منصتون، فتربَّص بعضهم به، وهمّ بأن يحصبه، ولحظ ذلك منهم، فحسر العمامة عن وجهه، ووقف فيهم خطيبًا، يمطرهم بوابل القول، فتتساقط عليهم حممه عنيفة متسارعة مخيفة.

الخطبة: قال الحجاج حين وُلّيَ على العراق:

أنـا ابـن جَـلا وطـلاَّع الثنايا ** متى أضع العمامةَ تعرفـــوني

يا أهل الكوفة، إني لأرى رؤوسًا قد أينعت وحان قطافها، وإني لصاحبها. وكأني أنظر إلى الدماء بين العمائم واللحى.

إني والله يا أهل العراق ما يقعقع لي بالشنان، ولا يغمز جانبي كتغماز التين ولقد فُررت عن ذكاء، وفتّشت عن تجربة.

وإن أمير المؤمنين أطال الله بقاءه نثر كنانته بين يديه، فعجم عيدانها، فوجدني أَمرَّها عودًا، وأَصْلبها مكسرًا، فرماكم بـــي، لأنكم طالما أوضعتم في الفتنة، واضطجعتم في مراقد الضلال.

والله لأحزمنّكم حَزم السّلمة، ولأضربنَّكم ضرب غرائب الإبل، فإنكم لكأهل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدًا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون.إني والله ما أقول إلا وفيت، ولا أهمُّ إلا أمضيت، ولا أخلُق إلا فَريت، وإن أمير المؤمنين أمرني بإعطائكم أُعطياتكم، وأن أُوجهكم لمحاربة عدوّكم مع المُهلب بن أبي صُفرة. وإني أقسم بالله لا أجدُ رجلًا تخلف بعد أخذ عطائه بثلاثة أيـّامٍ إلا ضربت عُنقه».

معاني المفردات:

"أنا ابن جلا: أنا ابن الذي يقال له": جلا الأمور وكشفها، "الثنايا: جمع ثنية"، وهي الطريق في الجبل، "القعقعة": تحريك الشيء اليابس الصلب مع الصوت، "الشّنان": جمع شنّ، "القربة": البالية، "فُررت": اختبرت، "الكنانة": جعبة السهام، "عجم العود": اختبر صلابته، "أوضعتم": أسرعتم، "السلمة": شجرة كثيرة الشوك، "أخلق": أقدر، "فريت": قطعت.

الشرح:

اشتملت هذه الخطبة على فكرة رئيسة واحدة هي الوالي الحازم للعصاة المتمردين، وهدفه منها أن يلقي في قلوبهم الرعب، ويحملهم على الجد.

استهل خطبته ببيت سُحيم بن وثيل الرياحي، ثم خاطب أهل الكوفة بقسوة وشدَّة مهدّدًا متوعدًا.

يا أهل العراق، إني والله لست ذلك الجبان الرعديد الذي ترهبه مؤامراتكم، وتحفُّزاتكم، ولا بذلك الرجل السهل اللين الضعيف، الذي يغمز جانبه كتغماز التين، ولقد تُخيّرتُ واختبرت عن ذكاء وتجربة وحسن بلاء.

ذلك أن أمير المؤمنين استعرض رجاله الأشداء وقادته الشجعان واختبر قوتهم وصلابتهم، فوجدني أقواهم شكيمة، وأصلبهم عودًا، فاختارني لتأديبكم، لأنكم طالما سعيتم بالفتنة، وسرتم في طرق الغواية والضلال. والله لألهبن ظهوركم بالسياط حزمًا كحزم السلمة، ولأوجعنكم ضربًا كما تضرب غرائب الإبل، ثم عاد يؤكد حزمه وصدقه في تنفيذ ما اعتزم على تنفيذه، قائلًا: وإني والله ما قلت قولًا إلا وأتبعته بالعمل، ولا هممت بأمر إلا أنجزته، ولا قدّرت شيئًا إلا قطعت فيه.

ومعاني الحجاج عنيفة قاسية، هدف من ورائها كما أسلفت إلى إرهاب أهل العراق وحملهم على الطاعة، وكلها في هذه الخطبة تدور حول هذا الهدف، ولذا حشر لها الحجاج شتى وسائل التقوية والتأثير، وقسمٌ بالله، وصيغ نداء مؤثرة، واتكاء على أدوات التأكيد، واستشهاد بكتاب الله، كل ذلك ليكون لمعانيه تأثير عميق في نفوس سامعيه، وقد أفلح الحجاج في ذلك إذ كان القوم قد ملؤوا أكفهم بالحصى، وهموا أن يحصبوه، حتى إذا انتهى من خطبته تراخت أكفهم بالحصى، وركبهم الذهول، وغشيتهم الرهبة.

ولقد مزج الحجاج المنطق الوجداني بالمنطق العقلي في مخاطبة أهل العراق، وبخاصة حين استشهد بقول الله عز وجل، ليقيم عليهم الحجة، ويلزمهم بالطاعة، وكان يعتمد دومًا على التقرير الجازم الحاسم في ما يريد فرضه عليهم وأخذهم به.

ولم تكن معانيه غامضة على سامعيه، بل آثر أن تكون واضحة بينة، لتكون سريعة التأثير في نفوسهم، وقد خرجت من قريحة خطيب مفوّه، أوتي بسطة في البيان، وسعة في تشقيق أطراف القول. وقد كان لهذه المعاني الأثر الملموس البين في نفوس القوم، إذ سارعوا بعد سماع الخطبة إلى الامتثال والطاعة، وترك الفتنة والتمرد والعصيان.

من مواطن الجمال:

في قوله: «إني لأرى رؤوسًا قد أينعت وحان قطافها»، استعارة مكنية، وفى قوله: «طالما أوضعتم فى الفتنة واضطجعتم فى مراقد الضلال». استعارة تصريحية. وفى قوله: «إن أمير المؤمنين نثر كنانته بين يديه، فعجم عيدانها، فوجدني أمرها عودًا وأصلبها مكسرًا». استعارة تمثيلية، وفي قوله: «ما يقعقع لي بالشنان، ولا يغمز جانبي كتغماز التين». كناية، وفي قوله: «والله لأحزمنكم حزمة السلمة، ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل». تشبيه.

عاطفة الحجاج في الخطبة:

كلام الحجاج في هذه الخطبة متقد بشعلة عاطفته، ذلك أنه كان يتميز من الغيظ، ويشتعل من الغضب مما سمع من تمرد أهل العراق، وما شاهد من ائتمارهم به ليحصبوه، ومن هنا كانت معانيه تنطلق من نفسه المنفعلة كالحُمَم اللّاهبة، تقذف السامعين بشواظها ودخانها، وتصك أسماعهم بنار الوعيد وقذائف التهديد.

إنها معان تعكس ما كان يعتمل في نفس الحجاج من غيظ وألم واستنكار لموقف أهل العراق، وهل أدل على هذه العاطفة الجياشة الملتهبة الفوّارة من قوله في مستهل خطبته: إني لأرى رؤوسًا قد أينعت وحان قطافها، وكأني أنظر إلى الدماء بين العمائم واللحى، وتخالط عاطفة الغيظ والألم عاطفة الاعتزاز بالنفس والثقة بها في مواجهة الشدائد، ولا تخلو الخطبة من عاطفة الوفاء والولاء والاحترام لأمير المؤمنين، الذي تخيره أصلب عود في كنانته.

هذه العاطفة التي تلابس الخطبة من أولها إلى آخرها تنبثق من القلب المفعم بالمشاعر والأحاسيس، فتتسم بالصدق الذي يخلد الآثار الأدبية المنبثقة من القلب، يمد في ضرامها شعور عميق بالمسؤولية في إخماد الثورات، وتوطيد دعائم الملك، وشعور فطري بحب السيطرة في نفس الحجاج، ومن هنا اصطبغت الخطبة بالصبغة القاسية من بدئها حتى ختامها.

التعليق العام على الخطبة:

أسلوب الحجاج صورة لمشاعره المتقدة الثائرة الغضوب، ومن هنا كان يقدّ ألفاظه كالحمم المستعرة قوية فخمة جزلة، تقرع الأسماع وتهلع القلوب، كما في قوله: الدماء، العمائم، اللحى، الرؤوس، حزم، ضرب حرب.

وفي وهج العاطفة الثائرة كانت الألفاظ الجزلة الفخمة تأتلف في أماكنها من الجمل، فإذا هي تنثال على لسان الحجاج تراكيب رصينة محكمة، في الذروة من الفصاحة وحسن البيان وكل ذلك انجلى في خطبته، وعلى هذا النحو من الرصانة والفخامة وحسن السبك، تسير جمله قصيرة متتابعة، تناسب الجو الخطابي العاطفي المؤثر ذات وقع موسيقى فخم عنيف، وألفاظ الحجاج وتراكيبه عالية سامية، تليق بأديب خطيب فصيح مثله، وهذا التأثر كله بالتراث العربي الأصيل من قرآن كريم وشعر قديم، فالأثران واضحان في كلامه، وفي الرجز الذي صدّر به خطبته.

ولقد صوَّرت خطبة الحجاج شخصيته أوضح تصوير، إذ بدا فيها القائد الحازم العنيف البطَّاش، المحب للسيطرة والنظام والطاعة، والخطيب المصقع القادر على التأثير في نفوس سامعيه، وصورت – أيضًا – بيئة العراق، وما كان يموج فيها من تمرد وعصيان، وحاجتها إلى الحزم في سبيل استتباب الأمن، وسيادة النظام.

❊ ❊ ❊

تدريبات

"إني والله يا أهل العراق ما يقعقع لي بالشنان .... إلا ضربت عنقه".

١ـ اشرح التعابير التالية وبين القصد منها:

- ما يقعقع لي بالشنان.
- ولا يغمز جانبي كتغماز التين.
- فوجدني أمرّها عودًا.

٢ـ بماذا يشبه الحجاج أهل العراق؟ وضح، مبينا وجه الشبه.

٣ـ يُعَدُّ استعمال القسم والتوكيد معا من المميزات الأسلوبية التي وردت في الخطبة، أشر إلى ثلاثة مواضع استعمل الحجاج فيها هذا الأسلوب، مبينا الهدف من ذلك.

٤ـ اختار أمير المؤمنين الحجاج واليا على العراق لسببين. أحدهما خاص بالحجاج والثاني بأهل العراق. عيِّن كلًّا من هذين السببين في النص أعلاه واشرحهما.

٥ـ يذكر الحجاج في النّصّ حقًّا لأهل العراق وواجبًا عليهم. بيّنهما.

٦ـ اكتب تعريفًا موجزًا عن الحجاج.

٧ـ ما مناسبة الخطبة؟ وإلى أي عصر تنتمي؟

٨ـ علل: شيوع أساليب التوكيد في الخطبة.

٩ـ أسلوب الحجاج صورة لمشاعره، وضح.

١٠ـ بَيِّن نوع الصورة في قوله: «ما يقعقع لي بالشنان» وما سر بلاغتها؟

❊ ❊ ❊

الموضوع السابع

رسالة الحسن البصري رضي الله عنه إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه

أهداف الدرس:

بنهاية الدرس يتوقع أن يكون الطالب قادرًا على أنْ:

١ـ يذكر ترجمة الحسن البصري.

٢ـ يوضح مناسبة الرسالة.

٣ـ يحدد سمات شخصية المُرْسِل وخصائص أسلوبه.

٤ـ يشرح الرسالة بأسلوبه الخاص.

٥ـ يحفظ الفقرات المقررة من الرسالة.

٦ـ يبين أثر البيئة فى أسلوب الرسالة.

٧ـ يبين مواطن الجمال فى الرسالة.

التعريف بالمُرْسِل:

ابن أبي الحسن يسار أبو سعيد، مولى زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه. ولد عام ٢١هـ في المدينة في خلافة عمر رضي الله عنه كان سيد أهل زمانه علمًا، وعملًا، وكان يلقى دروسه في مسجد البصرة حيث كان إمامًا لأهل السنة، وكان رحمه الله فصيحًا، مهيبًا، زاهدًا، عابدًا، شجاعًا، شديدًا على المشركين في القتال توفي رحمه الله في أول رجب، سنةً ١١٠ للهجرة عن عمر يقارب التسعين عامًا.

التعريف بالمُرسَل إليه:

عمر بن عبد العزيز، من حكام بني أمية، ولد في مصر سنة ٦٠هـ، ويعد من خير خلفاء بني أمية، فقد تولى الخلافة سنة ٩٩هـ، وعدّه المؤرخون خامس الخلفاء الراشدين؛ وذلك للشبه الكبير بينه وبين جده لأمه عمر بن الخطاب رضي الله عنه في العدل والعدالة، وتوفى سنة ١٠١هـ.

الرسالة:

اعلمْ يا أميرَ المؤمنين، أن اللهَ جعل الإمامَ العادل قِوامَ كلِّ مائلٍ، وقَصْدَ كلِّ جائرٍ، وصلاحَ كلِّ فاسدٍ، وقُوَّةَ كلِّ ضعيفٍ، ونَصَفَةَ كلِّ مظلومٍ، ومفزع كلِّ ملهوف.

والإمامُ العادلُ ـ يا أميرَ المؤمنين ـ كالراعي الشفيقِ على إبلِهِ الرفيق بها الذي يرتادُ لها أطْيبَ المراعى، ويذودهُا عن مراتع الهَلَكة، ويحميها من السِّباع، ويكنها من أذى الحر والقر.

والإمامُ العادلُ ـ يا أمير المؤمنين ـ كالأبِ الحاني على ولَدِهِ، يسعى لهم صغارًا، ويعلِّمُهمْ كبارا، ويكتسبُ لهم في حياتِهِ، ويدّخر لهم بعدَ مماتهِ.

والإمام العادل كالأم الشفيقة البرة الرفيقة بولدها، حملته كرهًا ووضعته كرهًا وربته طفلًا، تسهر بسهره، وتسكن بسكونه ترضعه تارة، وتفطمه أخرى، وتفرح بعافيته، وتغتم بشكايته.

والإمام العادل ـ يا أمير المؤمنين ـ كالقلب بين الجوارح تصلح الجوارح بصلاحه، وتفسد بفساده.

معاني المفردات:

"قوام": أساس، عماد، سند، "مائل": منحرف، معوج، "قصد": استقامة، "جائر": منحرف، ظالم، متجبّر، "نصفة": إنصاف، "مفزع": ملجأ، "الملهوف": المظلوم والمضطر، "الراعي": هو الذي يرعى الماشية، "الشفيق": كثير الشفقة والرحمة، "الإبل": الجمال، الرفيق: الرحيم، "يرتاد": يختار ويفضل، "المراعى: جمع المرعى" وهو مكان الرَّعْي، المرتع، المرج، "يذودها": يدفعها ويمنعها، مراتع: جمع مرتع وهو المرعى، "يكنها": يحفظها ويصونها ويسترها، "القر": البرد، "أطيب": أفضل وأحسن، "السباع": الوحوش المفترسة، "الهلكة": الهلاك، "الحاني": العطوف، "ولد": تطلق على المذكر والمؤنث، "يسعى": يعمل ويكسب، "يكتسب": يطلب الرزق، "يدخر": يوفر. "البرة": المحسنة، "كرهًا": تعبًا، مشقة، تسكن: تهدأ، "تارة": مدة، "تفطمه": تقطع عنه الرضاعة، "عافيته": صحته، "تغتم": تحزن، "شكايته": شكواه.

الشرح:

شرع الحسن يحدد مسئوليات الحاكم بتبيان الظواهر الاجتماعية، والمظاهر السلوكية التي تسود المجتمع، وموقف الحاكم العادل منها، فالمجتمع طوائف شتى منهم الصالح ومنهم الفاسد، وهنا تظهر أهمية الإمام العادل وتتحدد مسئوليته حين يأخذ على يد الفاسدين، وينتصر للضعفاء من الأقوياء إذا ظلموهم، ويقوم المعوج، ويصلح الفاسد ويغيث الملهوف برفق وأناة تارة، وبحسم وقوة تارة أخرى. وضح ذلك الحسن البصري معتمدًا على التصوير الموحي، مستوحيًا آيات كتاب الله سبحانه وتعالى.

من مواطن الجمال:

في قوله: (اعلم): إنشاء، نوعه أمر، الغرض منه: التذكير والنصح، وقوله: (يا أمير المؤمنين): نداء للتعظيم، وبين قوله: (قوام ، مائل) وقوله: (قصد، جائر) وقوله: (صلاح، فاسد) وقوله:(قوة، ضعيف) وقوله: (نصفة، مظلوم): طباق يبرز المعنى ويوضحه بالتضاد، وقوله: (قصد ـ جائر): ألفاظ تعبر عن تأثُّر الشاعر بالقرآن الكريم، وقوله: (الإمام العادل، كالراعي): تشبيه، حيث شبَّه الإمام العادل بالراعي الرحيم بإبله، وقوله: (الشفيق على إبله، الرفيق به، الذي يرتاد):علاقتها بما قبلها تفصيل بعد إجمال، وقوله: (الإمام العادل ... كالأب الحاني): تشبيه، حيث شبَّه الإمام العادل بالأب الحاني وهو تعبير يوحي بقوة العلاقة والترابط بين الطرفين، وقوله: (يسعى لهم صغارًا، يعلمهم كبارًا): تفصيل بعد إجمال، وقوله: (صغار، كبار)، (حياته، مماته): طباق يوضح المعنى ويؤكده.

(الإمام الحسن البصري في هذا الجزء ـ متأثر بحديث رسول الله ﷺ الذي يقول فيه: (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته).

وقوله: (الإمام العادل ... كالأم الشفيقة) تشبيه يوحى بمدى العطف والحنان، وقوله: (حملته كرهًا، ووضعته كرهًا) تفصيل بعد إجمال، وهو تعبير يدل على تأثر الكاتب بالقرآن الكريم، وقوله: (ترضعه، تفطمه) طباق يوضح المعنى ويبرزه، وقوله: (تفرح بعافيته، تغتم بشكايته) مقابلة توضح المعنى وتبرزه، وقوله: (عافيته ـ شكايته):سجع يعطى نغمة موسيقية، وقوله: (الإمام العادل كالقلب بين الجوارح ...) تشبيه يدل على قيمة الحاكم العادل.

وقوله: (تصلح الجوارح بصلاحه وتفسد بفساده) طباق، يؤكد المعنى.

* * *

تدريبات

من خلال قراءتك الرسالة أجب عما يأتي:

١ـ ما الذي دفع الإمام الحسن البصري لكتابة هذه الرسالة؟

٢ـ ما ملامح شخصية الحسن البصري؟

٣ـ ما أثر البيئة في هذا النص؟

٤ـ تأثر الإمام بمعجمين مختلفتين. وضح.

٥ـ شبَّه الإمام الحسن البصري الخليفة بالراعي ـ بالأب ـ بالأم. فبم توحي تلك التشبيهات؟

٦ـ بمَ امتاز أسلوب الرسالة؟

٧ـ قال الحسن البصري رضي الله عنه: « اعلمْ يا أميرَ المؤمنين، أن اللهَ جعل الإمامَ العادل قِوامَ كلِّ مائلٍ، وقَصْدَ كلِّ جائرٍ، وصلاحَ كلِّ فاسدٍ، وقُوَّةَ كلِّ ضعيفٍ، وَنَصْفَةَ كلِّ مظلومٍ. والإمامُ العادلُ ـ يا أميرَ المؤمنين ـ كالراعي الشفيقِ على إبلِهِ الرفيق بها الذي يرتادُ لها أطْيبَ المراعى، ويذودُها عن مراتع الهَلَكة، ويحميها من السِّباع.»

(أ) بم شبه الإمام الحاكم العادل في الفقرة السابقة؟

(ب) ما واجب الراعي نحو إبله كما فهمت من الفقرة؟

(جـ) استخرج من الفقرة أسلوبين إنشائيين، وَبَيِّن نوعهما.

(د) استخرج من الفقرة محسنين بديعيين، وَبَيِّن نوعهما.

(هـ) في الفقرة صورة بيانية، استخرجها، وَبَيِّن سر جمالها.

(و) ما المقصود بقوله: « قصد كل جائر »؟

* * *

الموضوع الثامن

رسالة عبد الحميد الكاتب إلى أهله وهو منهزم

أهداف الدرس:

بنهاية الدرس يتوقع أن يكون الطالب قادرًا على أنْ:

١ـ يذكر ترجمة عبد الحميد الكاتب.

٢ـ يوضح مناسبة الرسالة.

٣ـ يحدد سمات شخصية المُرْسِل وخصائص أسلوبه.

٤ـ يشرح الرسالة بأسلوبه الخاص.

٥ـ يحفظ الفقرات المقررة من الرسالة.

٦ـ يبين أثر البيئة فى أسلوب الرسالة.

٧ـ يبين مواطن الجمال فى الرسالة.

التعريف بالكاتب:

هو عبد الحميد بن يحيى بن سعيد العامري، من أصلٍ فارسيٍّ، نشأ بالأنبار من أرض العراق، ثم انتقل إلى الكوفة حيث بدأ حياته معلِّم صبيان، ثم تحوَّل إلى الشام واتَّصل بخلفاء بني أميَّة، وكان أول مَن اتَّصل به من الخلفاء: هشام ابن عبد الملك، فكتب له، وكان آخر من صحب منهم: مروان بن محمد، مدة خلافته، واستمر وفيًّا له في محنته حتى قُتلا سنة ١٣٢ هـ.

واحتل عبد الحميد منزلةً رفيعة بين كُتَّاب عصره، حتى عُدَّ شيخ كُتَّاب الرسائل، ومن ثم قيل فيه: " بدئت الكتابةُ بعبد الحميد، وختمت بابن العميد ".

ولعبد الحميد الفضل في الارتقاء بأسلوب الكتابة وحسن تقسيمها، وجعلها واضحة طبيعية، لا يجاريه في ذلك أحد، وله رسائل طوال منها رسالته إلى الكتَّاب.

مناسبة الرسالة:

كان عبد الحميد من ألمع كُتَّاب عصره، وكان كاتبًا وفيًّا لمروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية، ولازمه في حياته، فلما تنكرت الأيام لمروان، وقام بنو العباس بثورتهم عليه، وضيقوا عليه الخناق، أبى

عبد الحميد إلا أن يلازمه في محنته، فمضى مع مروان وهو منهزم فارٌّ من وجه أعدائه، وهناك في قرية (بوصير) المصرية لقيا حتفهما على يد جنود العباسيين.

وكتب عبد الحميد هذه الرسالة إلى أهله في رحلة فراره مع صديقه؛ يخبرهم فيها بحاله.

الرسالة:

أمَّا بعد: فإنَّ الله جَعَلَ الدُّنْيَا مَحْفُوْفَةً بالمكَارِهِ والسُّرورِ، فَمَنْ سَاعَدَهُ الحَظُّ فِيها سَكَنَ إليْهَا، ومَنْ عَضَّتْهُ بِنَابِها ذَمَّهَا سَاخِطًا عَلَيْها، وشَكَاهَا مُسْتَزِيدًا لَهَا.

وقد كَانَتْ أذَاقَتْنَا أفَاوِيقَ استحليناهَا، ثم جَمَحَتْ بِنَا نَافِرةً، ورمحَتْنَا موليَة فَمَلُحَ عَذْبُها، وخَشُنَ لينُهَا، فأبعَدَتْنَا عَنِ الأوطانِ، وفَرَّقتنا عَنِ الإخْوانِ، فالدَّارُ نَازِحَةٌ، والطَّيرُ بَارِحَةٌ.

وَقَدْ كتَبْتُ والأيامُ تَزِيدُنَا منكم بُعْدًا، وإليكم وَجْدًا، فإنْ تَتِم البليةُ إلى أقصى مُدَّتها يَكُنْ آخرُ العَهْدِ بِكُم وبِنَا، وإنْ يلحقنا ظَفَرٌ جارحٌ من أظفارِ مَنْ يليكم نَرْجعْ إليكم بذلِّ الإسار، والذلُّ شَرٌ جَار.

نسألُ الله الذي يُعزُّ من يشاءُ ويذلُّ مَنْ يشاءُ أنْ يَهَبَ لنا ولكم أُلفةً جامعة في دارٍ آمنةٍ، تجمع سلامة الأبدان والأديان، فإنَّه ربُّ العالمين وأرحم الراحمين.

معاني المفردات:

"المكاره": الشدائد، "محفوفة": محاطة، "أفاويق": أوقات، والفواق ما بين الحلبتين من الوقت، "جمحت": نفرت وغلبت، "نافرة": مجافية، "رمحتنا": ضربتنا بالرمح، "نازحة": بعيدة، "بارحة": مغادرة، "الوجد": المحبة، "الظفر": الانتصار، "الإسار": الأسر، "أُلفة": اجتماع.

الشرح:

في الفقرة الأولى نجد الأفكار الجزئية الآتية:

١ـ طبيعة الدنيا التَّقلب.

٢ـ الناس فيها فريقان.

٣ـ سعيد الحظ راضٍ عنها، وسيئ الحظ ساخطٌ عليها.

٤ـ ابتسمت الحياة للكاتب فترة ثم كشرت عن أنيابها.

فعبد الحميد يحاول أن يخفف من وقع المصيبة بأهله، فيذكرهم بحال الدنيا، ويبين لهم أن شأنها السعادة والشقاء، فتغدق الخير حينًا، وتصيب بشرها أحيانًا، والناس معها حسب حظهم منها، فمنهم الشقيُّ ومنهم السعيد.

أما الذين شقوا فقد مستهم بأذاها، وعضتهم بنابها، فإذا هم ساخطون غاضبون عليها، ولكنهم راغبون في البقاء فيها، مؤملون أن تسعد حالهم وتقبل عليهم بنعيمها.

وأما الذين سعدوا فيها فهم الذين ابتسم لهم الدهر، فهم راضون عنها، فرحون بها.

ثم يذكر الكاتب لأهله أن ماضيه كان سعيدًا بما أمدته دنياه من خيرٍ، وما أنعمت عليه من آلاء، ولكنه اليوم بائس تعس؛ لأن الدنيا ولَّت عنه مدبرة، وضربته ضربة قاسية، فانقلب النعيم بؤسًا، والحلو مُرًّا، واللين خشنًا، وصارت الدار بعيدة.

وتمضي الأيام ـ وهو يكتب رسالته هذه ـ فتزيده بعدًا عن أهله وأحبابه، وحُبًّا إليهم. وفي حين أنه وصديقه يعالجان مصيبتهما، لا يدريان على ماذا تكون نهاية فرارهما؟ أهي الموت أم الأسرُ، إن لحق بهما جنود بني العباس، وهم يطاردونهما؟

وفي ختام رسالته يدعو الكاتب ربه أن يجمع شمله بأهله، وأن يهب للجميع السلامة في الدين والبدن، إنه رب العالمين وأرحم الراحمين.

من مواطن الجمال:

في قوله: «ومن عضته بنابها» استعارة مكنية حيث شبَّه الدنيا بحيوان مفترس له أنياب، ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو «الناب» على سبيل الاستعارة المكنية. وفي قوله: «فملح عذبها» بين الملوحة والعذوبة طباق، أبرز المعنى، ووضحه ومثله قوله: «وخشن لينها».

سمات الرسالة

يلاحظ على أسلوب عبد الحميد الكاتب:

سهولة العبارة، وجزالة الألفاظ، وقوة التعبير، والعناية بالمعنى، وتجنب الغريب، واستعمال الألفاظ المجازية في مواضعها بلا شطط ولا إسراف.

* * *

تدريبات

من خلال قراءتك للرسالة أجب:

١ـ (مكاره ـ محفوفة ـ نافرة ـ الوجد) ما مضاد الأولى، وفعل الثانية، ومرادف الثالثة، ومضاد الرابعة؟

٢ـ ما مناسبة الرسالة؟ وإلى أيِّ عصرٍ تنتمي؟

٣ـ ما نوع الصورة في قوله «ومن عضته بنابها»؟ وما سرُّ جمالها؟

٤ـ لِمَ قيل: «بُدئت الكتابة بعبد الحميد»؟

٥ـ قال عبد الحميد الكاتب: «وقد كَانَتْ أَذَاقَتْنَا أَفَاويقَ استحليناهَا، ثم جَمَحَتْ بِنَا نَافِرةً، ورمَحَتْنَا موليَة، فَمَلُحَ عَذْبُها، وخَشُنَ لينُهَا، فأبعَدَتْنَا عَنِ الأوطانِ، وفَرَّقتنا عَنِ الإخْوانِ، فالدَّارُ نَازِحَةٌ، والطَّيْرُ بَارِحَةٌ».

(أ) ضع عنوانـًا للفقرة السابقة.

(ب) استخرج من الفقرة صورة بيانية وبَيِّن سرَّ جمالها.

(جـ) استخرج من الفقرة محسنين بديعين وبَيِّن أثرَهما فى المعنى.

(د) تكشف الفقرة عن حالتين للكاتب، اذكرها.

(هـ) تكشف الرسالة عن ملامح شخصية الكاتب، اذكر بعض هذه الملامح.

(و) بم يمتاز أسلوب الرسالة؟.

❊ ❊ ❊

قائمة الموضوعات

تابع قائمة الموضوعات